الجمهـورية الجـزائرية الديـمقراطية الشـعبية
وزارة التعـليم العـالي والبحث العلمي
جامـعة وهـ ـران
كلية العلوم الاجتماعية
مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ
المدرسة الدكتورالية (الدين وا تمع)

دور الطائفة اليهودية بتـوات

خلال القرنين 9هـ -10هـ / 15م-16م

من إعداد الطالب :
قـ ـومي محـمد

إشراف الأستاذ :
غـازي الشمـري

2014/05/29

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ. د. دحو فغرور	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	ج. وهران
أ. د. غازي الشمري	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	ج. وهران
أ. د. عبد القادر بوعرفة	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	ج. وهران
أ. د. دادة محمد	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	ج. وهران

السـنة الجامعية 2013م – 2014م / 1434هـ-1435هـ

إهداء

إلى من قـــال الله فيهم {وبالوالدين إحسانا } .

إلى إخوتي وأخواتي في الدين والنســب.

إلى كل غيـــــور على هذا

الوطن.

إلى كل من علمني

حرفـــــــاً.

أهدي هذا العمل.

قــــــــــومي محــــمد

كلمة شكر

قال تعالى : " ومن شكر فإنما يشكر لنفسه " وعليه فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

*- أستاذي " غازي الشمـــــــــري " على تفضله بالإشراف ، وما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات طيلة فترة البحث .

*- أساتذتي الذين فتحوا لنا أبواب البحث من خلال هذا المشروع وأناروا بمعارفهم وأفكارهم نذكر منهم : الأستاذ بومدين بوزيد ، الأستاذ عبد القادر بوعرفة ، الأستاذ البخاري حمانة ،الأستاذ غياث بوفلجة، الأستاذ رابح لونيسي ، الأستاذ حسين الزاوي ، الأستاذ عمر الزاوي ، الأستاذ عمار يزلي ، الأستاذ محمد طيبي، الأستاذ أنور حمادة ، الأستاذ بن عبو سنوسي، الأستاذ طيبي غماري ، الأستاذ بوداود عبيد ، الأستاذ عمر بلبشير .

*- أساتذتي بقســـــــــم التاريخ بجامعـــة وهـــران .

*- زملائي أساتذة وطلبة علــــــم. * - أصحاب الخزائن بتوات .

* - مكتبة (c d e s) بوهران . * - القائمين على مخبر مصادر وتراجم بجامعة وهران

*- كل من ساعدني ولو بكلمة طيلة مشوار هذا البحث نخص بالذكر :

- الأستاذ مقدم مبروك الذي فتح لنا مكتبته ، وأمدنا بالمخطوطات والمعلومات خاصة حول شخصية الإمام المغيلي .

- الأستاذ رأسمال عبد العزيز (ج. الجزائر). - الأستاذ عبد الله حمادي الإدريسي (باحث)

- الأستاذ الحمدي أحمد (ج. وهران) . - الأستاذ مسعود كواتي (ج. غرداية).

- الأستاذ ختير الصافي (ج. أدرار) . - الأستاذ مولاي سليماني (مالك خزانة) .

- الأستاذ تياقة صديق (ج. تيارت). - الأستاذ بعثمان عبد الرحمن (ج. بشار) .

- الأستاذ رشيد بليل (باحث). - الأستاذ زرقو صالح (باحث) .

- الأستاذ يدا محمد السالم (باحث) . - الأستاذ مملوكي إبراهيم (باحث) .

شكـــــراً للجميع .

قومي محمد

يرجع اهتمامنا بالبحث والتنقيب في تاريخ منطقة " توات " إلى البحوث الأولى التي قمنا بها أثناء دراستنا في الجامعة، حينها لم نحدد فترة زمنية معينة بعينها، بل تعددت البحوث واختلفت حسب اختلاف الفترة الزمنية المدروسة، وتوج هذا الاختيار باشتغالي على مخطوط يتناول تاريخ المنطقة كان بمثابة موضوع مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في التاريخ والموسوم ب" نقل الرواة عمن أبـدع قصور توات " لصاحبه محمد بن عمر الجعفري البداوي تحت إشراف الأستاذ غازي الشمري، وهنا قمت بالتعامل مع الخزائن وملاكها والمخطوطات الموجودة فيها والتي تحتاج إلى من يزيل الغبار عليها ووضع محتوياتها بين أيدي القراء والباحثين، الأمر الذي هيئ لنا المجال لمعرفة الكثير من تاريخ المنطقة المجهول، وعندما فتح لنا المجال في الدراسات العليا وما بعد التدرج كانت قد توفرت لنا عزيمـــة كبيرة للبحث ودراسة تاريخ منطقة " توات ".

ويعتبر البحث والدراسة في المواضيع المتعلقة باليهود من المواضيع التاريخية الهامة والحساسة، خاصة تلك التي تتناول فترة القرون الوسطى للمجتمعات الإسلامية، وفي منطقة شاسعة المساحة ومتنوعة الأجناس والتضاريس كبلاد المغرب الإسلامي الذي عرف وجود طائفة يهودية كان لها دور هام في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وبرز اليهود كأهم الشعوب التي عاشت بها نتيجة لعددها الكبير والموزع عبر جميع مناطقه، حيث لم يقتصر وجودهم في الحواضر الكبرى وإنما تعدى ذلك إلى أبعد الأصقاع في الأرياف والبوادي .

فالمنطقة شدة انتباه الكثير من الشعوب منذ القديم ، نتيجة لثرواتها المتنوعة والموقع الاستراتيجي الذي تحتله، إذ تمثل مفترق طرق الحضارات والأسواق العالمية، فوجدت بها محطات تجارية مشهورة ذات بعد عالمي منذ الفينيقيين والقرطاجيين والرومان، فضلا عن اتساع رقعتها الجغرافية وتنوع تضاريسها من سواحل وجبال وصحراء .

والقول بأن شمال المنطقة مرتبط بجنوبها منذ عهد قديم بصلات ثقافية واقتصادية واجتماعية، قول لا يختلف فيه اثنان من المؤرخين، وقد أدت هذه الصلات إلى امتداد الثقافة والحضارة والسياسة والديانة، وهي التي سهلت السبيل لسرعة انتشار الإسلام في تلك الجهات.

ومن بين هذه الجـ ـهات الجنوبية للمغرب الإسلامي منطقة " توات " بأقاليمها الثلاث (قورارة ، توات ، تيديكلت) في جنوب الصحراء الجزائرية ، حيث شكلت المنطقة همزة وصل وتواصل بين الشعوب القاطنة في شمال المنطقة وجنوبها، إضافة إلى أهمية موقعها الجغرافي الحساس في الشبكة التجارية البرية، وتوفرها على مختلف الهياكل الضرورية للمبادلات التجارية العابرة للصحراء، وقد استفاد اليهود من أجواء الاحترام والحرية الممنوحة لهم بالمنطقة، فظهرت الأحياء الخاصة بهم وعرفت بعض المدن باسمهم لكثرة عددهم بها، وأخرى نسبت إليهم.

ولكن الدارس للتاريخ العام يلاحظ نقصا كبيرا في دراسة الشعوب والمجتمعات، وهذا ينطبق كذلك على المجتمع التواتي، فأغلب الدراسات التي تناولته لم تعطه حقه الكافي وإنما تناولته إما بشكل عام أي لم تخص فئة معينة ومحددة تفردها بالدراسة، وإما المرور به مرور الكرام، مخصصة له بعض الصفحات لذكر معلومات مكررة تناقلتها أغلب هذه الدراسات حجتهم في ذلك هو نقص المادة المعرفية وإن وجدت فهي صعبة المنال.

لذا وقع اختياري على دراسة المجتمع التواتي لتجاوز هذه الحواجز والخروج عن المكرور والمألوف من البحوث، وباقتراح من الأستاذ بوعرفة عبد القادر اقتصر بحثنا على فئة معينة من هذا المجتمع والتي همشت في بعض الدراسات ولم يعط لها حقها الكافي على ما نعتقد من الدراسة، هذه الفئة هي " طائفة اليهود " لتكون محورا للبحث والدراسة حتى يتماشى موضوع المذكرة وأهداف مشروع المدرسة الدكتورالية (الدين والمجتمع) ، وخرجنا في النهاية بموضوع بحث موسوم ب" دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين (9هـ/10هـ) أي (15م/16م) " وأما اختيار هذه الفترة بالذات فهي تعد فترة تاريخية مهمة في تاريخ توات عموما ويهودها خصوصا، إذ شهدت خلالها أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية كان لها الأثر الكبير على المنطقة.

لذلك سوف نسعى جاهدين من خلال هذا البحث أن نعالج الإشكالية التالية و المتمثلة في بيان مدى انصهار واندماج اليهود بتوات، والدور الذي لعبوه بالمنطقة في الكثير من مجالات الحياة، والجدل الذي قام حول حكم الشرع الإسلامي في معاملتهم كأهل ذمة، والذين حاربهم الإمام المغيلي وحرض العامة على هدم معابدهم، ووصفه هو وولده بالتشغيب، كما نوضح التأسيس والتأصيل الفقهي لمختلف الفتاوى التي أيدت الإمام المغيلي

من جهة، ومن جهة أخرى تلك التي أيدت الإمام عبد الله العصنوني قاضي توات آنذاك، وخلفياتها السياسية والفقهية فيما عرف" بنازلة يهود توات"، ونتائجها على المنطقة ؟ ولماذا هذا الصراع بين الإمامين المغيلي وعبد الله العصنوني ؟

وأثناء قيامي بالبحث واجهتني العديد من الصعوبات منها تحديد تاريخ اختطاط منطقة توات وكذا الإطار الجغرافي لها والشعوب المهاجرة الأولى إلى المنطقة، كما أن حساسية الموضوع وعدم الاستجابة والتقبل من المجتمع جعلتنا نموه في بعض الأحيان عنوان موضوع البحث، خاصة أثناء الجلسات واللقاءات مع من لهم دراية بتاريخ المنطقة وسكانها، وهذا بعدما وجهنا بعدم الرد والاعتذار عن المساعدة في بداية البحث، بالإضافة إلى أن معظم المعلومات المتوفرة عن يهود توات ومن الذين عايشوا تلك الفترة فتتمثل في كتب الإمام المغيلي والتي لا زال الكثير منها مخطوطا، وكذلك ما ذكره شيخه الإمام الونشريسي في كتابه المعيار، وهو ما يطرح صعوبة التقيد بالحياد والإنصاف والموضوعية في ترجيح الآراء المختلفة لنازلة " يهود توات "، كما أن الزيارات التي قمنا بها إلى القصور والمكتبات لم تكن سهلة بالمرة إذ احتاجت منا الكثير من الصبر والتضحية للحصول على مبتغانا.

وقمت بتقسيم البحث إلى أربعة فصول وكل فصل إلى ثلاثة عناصر، ففـي الفصـل الأول تطرقت فيه إلى " اليهود في شمال إفريقيا " من خلال ذكر هجراتهم الأولـى إلـى المنطقة ومواطن استقرارهم وأوضاعهم العامة بالمنطقة، أما الفصل الثاني فتناولت فيـه " اليهود في إقليم توات " من خلال كذلك ذكر الخلفية التاريخية والجغرافية لإقلـيم تـوات، ودراسة بنية المجتمع التواتي والوجود اليهودي به، أما الفصل الثالث فتمثـل فـي " دور الطائفة اليهودية بتوات" من خلال بيان دورهـم الاقتصـادي والسياسـي والاجتمـاعي والعمراني، أما الفصل الرابع فتناولت فيه يهود توات بين القبول والـرفض مـن خـلال دراسة قضية " نازلة يهود توات " موضحا موقف الفقهـــــاء مـن يهـود تـوات والآراء التي تقر بناء الكُنس و التي تقول بهدمها، و النتائج المترتبة عنها علـى مسـتوى الاقليم وبالنسبة ليهود المنطقة.

وللوصول إلى الحقيقة التاريخية فيما يتعلق بالموضوع حاولنا جمع الوقائع التاريخيـة وتحليلها، لكي نحصل على دراسة تاريخية موضوعية منتهجين منهجا علميا يساعدنا فـي

الوصول إلى الهدف المنشود من هذه الدراسة، لذلك أرتأينا استعمال المنهجين الاستقرائي و التحليلي، وهما في رأينا مناسبين لموضوع بحثنا، فقد قمنا باستخدام النصوص الأصلية الأساسية التي تيسر جمعها ومقارنتها ببعضها البعض للوصول إلى شرح وتفسير أدق لما جاء فيها مستعينا في ذلك بالنتائج التي توصل إليها الدارسون السابقون للإقليم.

أما مصادرنا ومراجعنا الرئيسة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث فتنوعت بين ما هو مخطوط ومطبوع وشفهي، فالمخطوطات تمثلت أساسا في كتابات الإمام المغيلي منهـا " مصباح الأرواح في أصول الفلاح " و " رسالة إلى كل مسلم ومسـلمة " و" رسـالة فـي اليهود " و " رسالة الاستخلاف "، حيث تعتبر المصادر الوحيدة التـي عـايش صـاحبها أحداث فترة الدراسة وساهم في بعضها، وقد ساعدتنا بشكل كبير في معرفة ما عليه اليهود في تلك الفترة من وجهة نظر المغيلي، وموقفه الشرعي من المكانة التي هم عليها يهـود توات، وتجدر الملاحظة أن المغيلي في كثير من الأحيـان لـم يعـط عنوانـا واضـحا لمخطوطاته، لذا يمكن أن تتعدد العناوين لمخطوط واحد ومحتوى واحد وهذا يرجع إلـى اجتهاد الباحثين في مؤلفاته فقط.

كذلك مخطوط " الكشف والبيان لحكم مجلـوب السـودان " لأحمـد بابـا التنبكتـي (963هـ -1036م)، والمخطوط يحتوي على أربع (04) ورقات عبارة عن فتوى على سؤال ورد على الفقيه التنبكتي تخص العبيد المجلوبين من السودان، وقـد أفادتنـا هـذه المخطوطة في معرفة الأوضاع الاجتماعية السائدة في المنطقة وموقـف الفقهـاء منهـا خاصة وأن الشيخ عاش خلال فترة الدراسة.

أما المخطوطات الأخرى التي اعتمدنا عليها فما يؤخذ عليها أنها كتبـت فـي فتـرة متأخرة بكثير عن فترة الدراسة، كما أنها لا تحتوى على مادة دسمة يمكن من خلالهـا أن نصل إلى نتائج جديدة فأغلب المعلومات التي تحتويها مكررة عن تقاييد سابقة، ومن بينها مخطوط " درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام " لصاحبه محمد بن عبد الكريم بـن عبد الحق التمنطيطي (1374هـ/1955م)، الذي يعتبر المؤرخ الوحيد الـذي تطـرق لتاريخ توات قبل مجيء الإسلام، ويحتوى المخطوط على ستين (60) ورقة، أفادنا فـي التعريف بالمنطقة والأحداث التي وقعت بها أبرزها " نازلة يهود توات " والصراعات بين القبائل التواتية فيما عرف بحرب " يحمد وسفيان ".

وكذلك مخطوط " نقل الرواة عمن أبدع قصور توات " لصـاحبه محمـد بـن عمـر الجعفري البداوي (13 هـ / 19م)، وهو يعتبر من المصادر التاريخية الهامـة التـي أولت عناية بتاريخ توات عامة ومقاطعة بودة خاصة، ومن خلال العنوان يتبـين لنـا أن مؤلفه أعتمد على الرواية الكتابية في تأليفه مثل ابن خلدون في كتابه " العبـر " خاصـة الجزء السادس منه، ويحتوى المخطوط على عشرين (20) ورقة تمثل المقدمة فقط وما تبقى منه فهو مفقود لحد ألان.

وأيضا مخطوط " القول البسيط في أخبار تمنطيط " لمحمد الطيب بـن الحـاج عبـد الرحيم المشهور (بابن بابا حيدة) المتوفى في 13هـ/19م، وقد حقق المخطـوط مـن طرف الأستاذ فرج محمود فرج الذي ذكر في تعريفه للمؤلف أنه ولد سنة 1184هـ / 1770م ، ويعتبر المخطوط مصدرا هاما في دراسة منطقة تمنطيط، حيث قدم تعريفا لهـا ومن نزل بها من القبائل والأعلام، كما أمدنا ببعض المعلومات عن يهودها، بذكره لعددهم و النشاطات التي مارسوها، لكن ما يؤخذ عليه هو اعتماده على الرواية الشفوية والأخبار المسموعة لذا يعتبر كمؤرخ راوي للأحداث التي أكدها بقوله " على مـا بلغنـا "، فعنـد الاستعانة به لابد من مقارنة ما ذكره بما هو موجود عند مؤرخين آخرين.

وحتى لا نبق حبيسي وثنية المخطوطات وتقديس ما جاء فيها استعنا بمصادر مطبوعة ككتاب " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب " لأحمد الونشريسي خاصة الجزء الثاني، الذي أنفرد بـذكر رسـالة القاضـي عبـد الله العصنوني وأجوبة الفقهاء حول " نازلة توات " إضافة إلى رأيه في هذه النازلة. كما يعتبر " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السـلطان الأكبـر " لأبـن خلدون من المصادر الهامة والأولى التي أرخت للإقليم خاصة في جزئه السادس، ويعـد كتاب " أحكام أهل الذمة " لأبن القيم الجوزية من المصادر التي اعتمدنا عليها في معرفـة الوضعية القانونية لأهل الذمة في ظل الشريعة الإسلامية، أما كتاب " الدرر النفائس فـي شأن بناء الكنائس " للقرافي فاعتمدنا عليه في التعريف بالكنس وموقف الإسلام من بنائها.

أما كتب الجغرافيا والرحلات والتراجم فساعدتنا في التعريـف بالبلـدان والأمـاكن والأعلام، فقد استعنا بها خاصة تلك التي تيسر لنا الوصول إليها وهي كثيرة، و أعطينـا الأولوية في ذلك للتي تطرقت إلى الاقليم وأصحابها قـاموا بزيارتـه أو زيـارة إحـدى

مقاطعاته، ومن أبرزها: كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لأبن بطوطة (757هـ-1356م)، الذي مر بمقاطعة " بودة " أثنـاء عودتـه مـن رحلتـه المشهورة ، كتاب " وصف إفريقيا " للحسن الوزان (1550م- 957هـ) ، وكتاب " ماء الموائد المشهور برحلـة العياشي (1661م-1663م) " للعياشي اللذين قدما لنا وصـفاً دقيقاً عما وجدوه في مقاطعة تسابيت.

كما استعنا كذلك بآراء ونتائج الباحثين المحدثين الذين أولوا عناية بدراسة اليهود فـي بلاد المغرب، نذكر منهم على وجه الخصوص، عبد الرحمن بشير " اليهود في المغـرب العربي (22هـ/462هـ) (642م/1070م) "، عطا أبو ريه ، " اليهـود فـي ليبيـا وتونس والجزائر" ، إضافة إلى عبد الواحد وافي في كتابه " اليهودية واليهود ".

أما الدراسات التي تناولت الاقليم تاريخيا فنذكر كتاب فرج محمود فرج " إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين " ومن عنوان هذه الدراسة يبدو أنهـا تناولت فترة متأخرة بالنسبة لموضوع دراستنا إلا أننا استفدنا منها في معرفـة الخلفيـات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للإقليم، كما يعتبر كتاب " قصور قـورارة وأولياؤهـا الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية " لرشيد بليل مرجعا هاما فـي معرفة تأسيس القصور في منطقة قورارة ودور اليهود بها، خاصـة وأن هـذه الدراسـة اعتمدت على مصدر مهم في الدراسات التاريخية وهو الموروث الشفهي كما هو موضـح في عنوان الكتاب .

ومن المراجع الأجنبية:

كتابي مارتان: فالأول (أربعة قرون من تاريخ المغرب)

Quatre Siècles D'histoire Marocaine

والثاني كتاب (الواحات الصحراوية)

Les Oasis Sahariennes

وهاذين الكتابين يمثلان موسوعة كبيرة ومرجعين مهمين لكل دارس للمنطقة فلا مناص من الاستعانة بهما، لأن المؤلف قام بتعريف شامل ومفصل للمنطقة كما تطرق إلى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بها والأحداث الاجتماعية التي شهدها الإقليم.

إضافة إلى كتاب اليهودي جاكوب أوليال (اليهود في الصحراء ، توات في العصور الوسطى)

Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age

الذي عاش في المنطقة ودفعه الحنين إلى أن يتحدث عن يهودها، حيث أفادنا في معرفة أصول الهجرات اليهودية إلى المنطقة، وأهم القصور التي استقروا بها، ودوافع الإمام المغيلي وراء إجلائهم منها، وهذا من خلال وجهة نظره التي تعطي لهم الأحقية في المنطقة.

كذلك مقال لعبد الرحمن سلكة (نبذة حول توات)

Notice sur le Touat

وهي عبارة عن نتف من دارسة قام بها للمنطقة تعرض فيها للتقسـيم الإداري للمنطقـة والحياة الاجتماعية والاقتصادية بها.

أما الرسائل الجامعية فتعددت واختلفت في عناوينها، لكنها اتفقت في مضمونها، نخص بالذكر منها: محمد أعفيف " مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسـي لواحـات الجنوب المغربي توات في القرن 19م " ، أحمد الحمدي " محمد بن عبد الكريم المغيلـي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثره"، ومجملها عرجت على محاور دراستنا سواءا بالتفصيل أو بالاختصار.

ومن المقالات التي أفادتنا هي ما جاء في أعمال المـ ـ ـ ـلتقى للتعريـف بتـاريخ منطقـ ـ ـ ـة ادرار(الشيخ بن عبد الكريم المغيلي 1405هـ ـ / 1985م)، والملتقـى الوطني الأول – العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضـر المغـرب الإسـلامي – جامعة أحمد دراية ، ادرار 2009م، وكلا الملتقيين اكتفوا بإعادة سرد الإحداث بدل مـن إعادة قراءة نصوصها.

تمهيد :

قمنا في هذا الفصل بدراسة :

اليهود في شمال إفريقيا : وتناولنا فيه .

- **هجراتهم إلى المنطقة** : وذلك بإلقاء نظرة مجملة عن تاريخ اليهود العام وبداية شتاتهم .
- **استقرارهم في المنطقة** : وذلك بالبحث عن أسباب ومواطن استقرارهم في الأقاليم الثلاثة للمنطقة (المغرب الأدنى ، والأوسط ، والأقصى) .
- **أوضاعهم العامة في المنطقة** : قبل وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، مع معالجة إشكالية تهويد بعض القبائل البربرية .

1. هجـرات اليـــهود إلى شـمال إفريقيا :

1-1. نظرة مجملة في تاريخ اليهود :

من الدراسات التاريخية العسيرة على الباحثين والمؤرخين، دراسة تـاريخ اليــهود[1]، فاليهود منذ أن وجدوا على مسرح التاريخ العالمي وهم يغلفون تاريخهم بالأسرار والألغاز ويظهرون من أمور حياتهم غير ما يبطنون [2]، معتمدين في ذلك على التوراة [3]، يستقون منه تاريخهم، والتوراة التي بين أيديهم، حسب ما ذهب إليه أغلب الباحثين ملطخة بسواد التحريف والتغيير والزيف والتضليل، وامتزجت فيه الحقيقة بالخرافة بالخيال*، فلا يستطيع المؤرخ أن يعتمد عليه كمصدر يستقي منه معلوماته [4]؛

1 - اليهود: قيل هم الذين هادوا ، أي مالوا عن دين موسى عليه السلام ، أو الذين تهودوا ، وقيل هم الذين يتحركـون عند قراءة التوراة أي يتهودون ، وقيل هم الذين مالوا عن الإسلام وعن دين موسى عليه السلام . أنظر : تفسير ابـن كثير ، ج1 ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ص103 ، ج2 ، ص08 ، ج3 ، ص35 . بينمـا يقـول الكتـاب المقـدس ص1084 : أطلقت هذه الكلمة أولا على سبط أو مملكة يهوذا تمييزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سـموا إسـرائيل . أنظر : سليم إلياس ، الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان(كتب الشريعة اليهودية ، والتلمود) ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، الطبعة الأولى ، 1428هـ/2008م ج03 ، ص09 ، ج04 ، ص07 . بينما يرى جودت السعيد ، إن هذا المصطلح ((يهود)) أو ((يهودي)) ، استعمل أول مرة من قبل البابليين إشارة إلى من جيء بهم من يهوذا (وهو الاسم الكنعاني لمنطقة أورشليم) ، أنظر : جودت السعيد ، أوهام التاريخ اليهودي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمـان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1998م ، ص147 . وتتكون كلمة " يهودي " من قسمين : " يهوه " وتعني " الـرب " ، و" ودي " وتعني في الأصل السامي " الاعتراف والإقرار والجزاء " .أنظر : عبد الوهاب المسيري ، موسـوعة اليهـود واليهودية والصهيونية ، دار الشرق ، مصر ، الطبعة الثانية ، 2005م ، ج01 ، ص102 .

2 - انظر : داود عبد العفو سنقراط ، أبناء يهوذا في الخفاء (جذور الفكر اليهودي) ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ط1 ؛ 1403هـ ، 1983م ، ص191 .

3 - التوراة : استخدم اليهود كلمة التوراة للإشارة إلى الشريعة اليهودية . أنظر: عبد الوهاب المسيري، نفس المرجـع السابق ، ج05 ، ص22 .

*- يؤكد ذلك ما ورد في الكتاب المقدس أن لوط " النبي" قد " زنى" بابنتيه؟ . نقرأ في سفر التكوين ، إصـحاح 19 ؛ الفقرات 30-وما بعدها. ما نصه : " وصعد لوط من صوغر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خـاف أن يقـيم فـي صوغر فأقام في المغارة هو وابنتاه (31) فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها (32) تعالي نسقي أبانا خمرا ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلا ." فكيف يمكـن لنبـي أن يزنـي بابنتيه؟ .

4 - داود عبد العفو سنقراط ، أبناء يهوذا في الخفاء (جذور الفكر اليهودي) ، المرجع نفسه ، ص11 .

لأن أسفاره ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام بأمد غير قصير تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل [1].

إذن فهي تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القـرآن الكـريم أنهـا كتـاب سماوي مقدس أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام[2]، والى هذا يشير القرآن إذ يقول: فَويلٌ ِللذين يكْتُبون الْكتَاب بِأَيديهم ثُم يقُولُون هذَا من عنْد الله ِليشْتَروا بِه ثَمنًا قَليلًا فَويلٌ لَهم مما كَتَبتْ أَيديهم وويلٌ لَهم مما يكْسبون [3]، ويقول أيضا : والله أَعلَـم بِأَعـدائِكُم وكَفَى بِالله وِليا وكَفَى بِالله نَصيرا . من الذين هادوا يحرفُون الْكلم عـن مواضـعه [4]؛ ويقول: فَبِما نَقْضهِم ميثَاقَهم لَعنَاهم وجعلْنَا قُلُوبهم قَاسيةً يحرفُون الْكلم عـن مواضـعه ونَسواْ حظّاً مما ذُكرواْ بِه [5]. ومن المغالطات والتحريفات على سبيل الذكر لا الحصـر ما يظهر في تسميتهم ، فتارة يسمون أنفسهم العبرانيين[6]، وتـارة يسـمون أنفسـهم بنـي

---

1 - علي عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القـاهرة ، ط5 ؛ 2005م ، ص14 . ويضيف محمد على في رسالته الأولى من كتابه ، الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهوديـة والنصـرانية ، مخاطبـا التوراتيين قائلا : " أما توراتكم فقد شيبت الحروب صحائفها فجعلتها بيضاء لا صحة فيها ولا حقيقة ولا قوة لهـا ولا نفع ، بل مزقت الأحوال و الاضطهادات ورقاتها حتى أصبحت في خبر كان " أنظر : محمد على ، الأقوال الجلية فـي بطلان كتب اليهودية والنصرانية (الرسالة الأولى) ، مطبعة المنار ، مصر ، الطبعة الأولى ، ص40 .

2 - علي عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ، المرجع نفسه ، ص15 .

3 - سورة البقرة ، الآية 79 .

4 - سورة النساء ، الآية 45 و 46 .

5 - سورة المائدة ، الآية 13 .

6 - العبرانيين: كلمة " عبري" أقدم التسميات التي أطلقت على أعضاء الجماعات اليهودية ، وتختلف المصـادر فـي تحديد أصلها ، فيرى البعض أنها مشتقة من كلمة "عبيرو" ، وآخرون مشتقة من العبور في إشارة الـى عبـور سـيدنا يعقوب عليه السلام الفرات ، ويرى آخرون أن التسمية ترجع الى " عابر" حفيد سام ، وكان أول شخص يشار إليه بأنه عبري هو إبراهيم عليه السلام ، وكانت تعنى الكلمة الغريب الذي لا حقوق له . أنظر : عبـد الوهـاب المسـيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج01 ، مرجع سابق ، ص103 . وجاء في سفر التكوين أن لفـظ العبرانـي ورد في قصة يوسف عليه السلام مع زوجة سيده بعد أن رفض أن يصغى لها لما راودته عن نفسها فحاولت أن تفتري عليه ونعتته بالعبراني كإهانة إلى أصله ." صاحت بأهل بيتها وقالت لهم أنظروا كيف جآءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا آتاني ليضاجعني فصرخت بصوت عال " : سفر التكوين ، إصحاح 39 ، فقرة 14. وورد أيضا تعبير عبرانـي علـى لسان يوسف بعد أن أودع السجن وهو يخاطب زميليه السجينين من أجل أن يتوسطا له عند فرعون." لأني قد خطفـت من أرض العبرانيين وهاهنا أيضا طرحوني في هذا الجب من غير أن أفعل شيئا " : سفر التكـوين ، إصـحاح 40 ؛ فقرة 15 . وأيضا لما صنع يوسف مأدبة لإخوته فقد أجلسهم على مائدة وأجلس المصريين على مائـدة أخـرى (لان

إسرائيل[1]، أو الساميين[2]، أو الموسويين[3]، أو اليهود، فهل هذه الأسماء ذات دلالة واحـدة؟ أم لكل منها مدلوله ووظيفته الخاصة به؟.

إن ظهور اليهود ارتبط تاريخيا بظهور أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السـلام إذ قدموا معه في هجرات من مسكنهم الأول* في أرض ما بين النهـرين حسـب الوثـائق والآثار التي تم اكتشافها في هذه الأخيرة ، إلى أرض كنعان[4] ، في الألـف الثانيـة قبـل

المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين) ، " فقدموا له وحـده ولهـم وحـدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم لأن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين ": سفر التكوين ، إصحاح 43، فقرة 32.

1 - بني إسرائيل : كلمة إسرائيل مركبة من أسر أي عبد أو صفوة أو مهاجر، وأيل بمعنى الله ،أي بمعنى عبـد الله ، وقد جاءت بعدة معاني فمنها أنها تعني بالعبرية " صارع الإله " والقصة موجودة في سفر التكوين ، فقرة 32 ،وهنـاك من يرجعها إلى أن كلمة (إسرائيل) من يسر الله وليس يجاهد الله أي يصارعه ، والبعض يعتقد أن أسر تعني العبـد ، وبذلك يصبح معنى اسم إسرائيل يعني عبد الله ، وهو اسم أطلق على يعقوب نبي الله من طرف الـرب حسـب سـفر التكوين .أنظر : إسماعيل ناصر الصمادي ، نقد النص التوراتي ، دار علاء الدين للنشر ، الطبعة الأولـى ، 2005م ، دمشق ، سوريا ، ص126 / عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج01 ، مرجع سـابق ، ص103.

2- الساميين : نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، جد الشعوب السامية الأكبر، وقد أخذت هذه التسمية من التـوراة (سفر التكوين ، الإصحاح العاشر ، الآية : 1 ; 21 . قاموس الكتاب المقدس 531/1) ، وأول من أطلقها وأذاعها بـين العلماء علما على هذه الشعوب ، عالم نمساوي اسمه " أوغست لودويك شلوتسر " أطلقها عام 1781م ، فشـاعت منـذ ذلك الحين ، وفي 1869م قسم العلماء اللغات السامية إلى مجموعتين : المجموعة السامية الشمالية والمجموعة السامية الجنوبية ، وتتألف المجموعة الشمالية من العبرانية والفينيقية والآرامية والأشورية والبابلية والكنعانية ، وأما المجموعة السامية الجنوبية فتتألف من العربية بلهجتها والحبشية . أنظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسـلام ، جامعة بغداد ، الطبعة الأولى ، 1413هـ/1993م ، ج01 ، ص223 .

3- الموسويين : نسبة إلى نبي الله موسى عليه السلام حيث توجهوا معه إلى سيناء تمهيدا لدخول الأراضي المقدسة . أنظر : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 1407هـ/1987م ، ص77 .

*- يرى أحمد سوسة أن الأخبار التي شاع ترديدها و تناقلتها كتب المؤرخين العرب والإفرنج من أن جماعة من اليهود هاجروا مع إبراهيم الخليل من العراق وفلسطين أغرب ما قيل فيها عدد اليهود الدين رافقوا إبراهيم الخليل في رحلتـه من العراق ، ويضيف بأن هذا هراء ليس له أي نصيب من الصحة ولا أي سند من واقع التاريخ. أنظر: أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ، دار العربي ، دمشق ، الطبعة الثامنة ، ص572 ص573 ص574 .

4- كنعان : بالفتح ثم السكون وعين مهملة وأخره نون ، قال ابن الكلبي ولد لنوح حام وسام ويافث وشالوما وهو كنعان وهو الذي غرق ودال لا عقب له ، ثم قال الشام منازل الكنعانيين .وأما الأزهري فقال : كنعان بن سام بن نـوح إليـه

الميلاد[1] ، ومن ذرية إبراهيم الخليل نبي الله يعقوب وذريته (الملقب بإسـرائيل)، حيـث هاجر هو وأولاده وحفدته من بلاد كنعان حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد[2] نتيجـة المجاعة والجفاف[3] الذي أصاب موطنهم إلى أرض مصر مستنجدين بهـا و بعزيزهـا (الوزير الأول) نبي الله يوسف عليه السلام أحد أبناء يعقوب نفسـه ، فـأكرم مثـواهم[4] وأقطعهم بأمره أرضا في أخصب البقاع [5]، وإبتداءا من هذه الفترة ابتـدأ هـو وإخوتـه الحلقات الأولى من تاريخ بني إسرائيل انطلاقا من مصر الفرعونية ، وانقسم بنو إسرائيل إلى اثنتي عشرة قبيلة تنحدر كل قبيلة من أحد أولاد يعقوب ألاثني عشر وهم الذين يعبـر عنهم في القرءان الكريم بالأسباط [6].

وقد عاشت سلالات بني إسرائيل في أرض مصر حينا من الـدهر تمكنـوا بفضـل الامتيازات والمكانة التي حصلوا عليها من المصريين من تنمية ثرواتهم وتكـاثر عـددهم حتى زاد على عدد المصريين أنفسهم[7] إلى الحد الذي لم يرض سـكان مصـر، فتحـول الترحيب والتقدير إلى حقد وقمع، ومما زاد في ذلك انغلاق وانطواء بني إسـرائيل علـى أنفسهم ورفضهم الاختلاط والاندماج في المجتمع المصري واستعلائهم عليه ، فضلا عـن إضراره بحياته الاقتصادية عن طريق ممارسة الاحتكارات التي سببت لمصر اخـتلالات

ينسب الكنعانيون .أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صـادر ودار بيـروت ، بيـروت ، 1957م ، ج16 ؛ ص483 ص484 .

1 - محمود السيد ، تاريخ اليهود القديم والحديث ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، 2007م ، ص12 .

2 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، مرجع سابق ، عن قاموس(Larousse) L3، ص 21.

3 - عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ، نفس المرجع السابق ، ص 112 .

4- أنظر القصة كاملة في هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر في سورة يوسف من القرءان الكريم ، وسفر التكوين مـن إصحاح 46 إلى أخر السفر.

5 - سفر التكوين ، إصحاح 47 ، فقرة 11 .

6 - الأسباط : من بني إسرائيل كالقبائل من العرب ، وسموا بالأسباط ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسـحاق عليهمـا السلام ، وأما الأسباط فمشتق من السبط والسبط ضرب من الشجر ترعاه الإبل ويقال الشجرة لها قبائل ، فكذلك الأسباط كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة وإسماعيل بمنزلة شجرة أخرى وكذلك يفعل النسابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلـة الشجرة والأولاد بمنزلة أغصانها .أنظر : ابن منظور ، لسان العـرب ، دار صـادر، بيـروت ، الطبعـة الثانيـة ، 1414هـ/1994م ، ج07 ، ص310 ص311 .

7 - عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، ص113.

واضطرابات وأزمات اقتصادية واجتماعية خطيرة[1]،فأصبحوا موضع مقتهم واضطهادهم بين ذلك الله عز وجل في القرءان الكريم إذ يقول: يسومونَكُم سوء الْعـذَابِ يـذَبحون َأبنَاءكُم ويستَحيون نساءكُم [2].

في ظل هذه الأوضاع الصعبة أرسل الله إليهم وإلى فرعون وقومه موسى عليه السلام الذي اختار معه لهذه المهمة أخوه هارون ليشدد به أزره ويشركه في أمره، وهذا لإدراكه مدى صعوبة المهمة ، وهما رسولين إسرائيليين من نسل لآوي أحد أبناء يعقوب عليه السلام ، قدما لهم شريعة سماوية سمحة هي الديانة اليهودية [3]، التي قبل بها بنو إسرائيل ورفضها فرعون مصر رمسيس الثاني (1304ق.م – 1237ق.م) الذي أجبر موسى وقومه على الخروج من مصر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد[4] إلى صحراء سيناء[5] والمناطق المتاخمة لها ماكثين فيها مدة أربعين سنة تائهين في أرضها حسب تعبير القرءان الكريم [6]، في عدد قدر ب 06 آلاف نسمة وبعض الإحصائيات تقول تقول 600 آلف نسمة [7]، ومن خلال هذه الأعداد نجد أن عنصر المبالغة أشد وضوحا فهذه الأعداد غير معقولة ومناسبة بالنسبة لجماعة خرجوا مع نبي الله موسى ويفترض بهم

---

1 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، ص22 .

2 - سورة البقرة ، الآية 49 .

3 - عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ، ص113

4 مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق و الدار الشامية، بيروت، الطبعة الطبعة الأولى، 1416هـ/1995م ، ص55 .

5 - سيناء: هي شبه جزيرة تمتد شرقا من قناة السويس وخليج السويس إلى خليج العقبة وخط الحـدود بـين مصـر وفلسطين ، وهي تشكل مثلثا متساوي الأضلاع تقريبا قاعدته شاطئ البحر الأبيض المتوسط ورأسه على البحر الأحمر عند نقطة التقاء خليج السويس وخليج العقبة ، لها موقع استراتيجي بالغ الأهمية ، لذا لم يكـف الغـزاة ابتـداءا مـن الهكسوس عن التوافد إليها، وعندما قام الهكسوس بغزو مصر كان أكثر الناس الذين تعاونوا معهم هم اليهود الذين كانوا يسكنون شمال مصر في ذلك الحين ، وتقول بعض الدراسات إن الهكسوس هم بعض من القبائل العبرية المتفرقة .أنظر : مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الشركة العالمية للموسوعات ، لبنان ، طبعة ثالثة ، 2005م ، ج19 ، ص47 ص48 .

6 - سورة المائدة ، الآية 26 .

7 - مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد ، اليهود في العالم القديم ، نفس المرجع السابق ، ص53 .

أنهم تاهوا في صحراء سيناء، حيث استقر بهم المقام في أرض كنعان من جديد ، وهذه الهجرة هي الهجرة الثانية لليهود إلى فلسطين[1].

.1 .2. بداية الشتات :

في أرض كنعان عمل بنو إسرائيل على إقامة ملك لهم فكان أول ملوكهم هو " شاؤول " (1010ق.م – 1000ق.م)[2] ثم خلفه نبي الله داوود عليه السلام ، ليخلفه فيما بعد ابنه سليمان بعد وفاته ، ومن أهم انجازاته بناء الهيكل المعروف بهيكل سليمان وتوحيد قومه ولم شملهم[3] ، هذه الوحدة التي انتهت بوفاته وانقسمت مملكتهم إلى مملكتين متصارعتين نشبت بينهما حروب أهلية كثيرة[4] ، " مملكة يهوذا " نسبة إلى قبائل يهوذا بالجنوب و " مملكة إسرائيل " بالشمال[5] ، ونتيجة لهذا الوضع أصبحا فريسة سهلة في أيدي الممالك المجاورة ، حيث استولى الأشوريين[6] على مملكـة إسـرائيل سنـة 722ق.م (السبي (السبي الأشوري)[7] ، بينما استولى البابليون بقيادة نبوخذ نصر (بختنصر) على مملكة يهوذا بين سنتي 596ق.م و587 ق.م (السبي البابلي)[8] ، حيث استولى على القدس ونهبها ونهبها وحطم الهيكل وشرد اليهود وشتتهم واعتقل منهم مئات الآلاف وساقهم أسرى إلى بابل[9] وقضى على حلمهم في إقامة مملكتهم ، وعاشوا بعده تحت رحمة وسيطرة الفرس تارة ثم الرومان تارة أخرى ، فقد تعرضت الجماعات اليهودية بعد سنة 70م إلى بعض

---

1 - أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، مرجع سابق ، ص576.

2 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، ص22 .

3 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، ص22 .

4 - عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ، ص116 .

5 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، ص22 .

6- الأشوريون هم قوم ساميون استوطنوا القوم الشمالي من العراق منذ الألف الثالث قبل الميلاد، انظر: يوسف رشاد، رشاد، بداية النهاية- اعتراف حاخام يهودي " السبي الأخير لبني اسرائيل سيكون على أيادي أبناء اسماعيل عليه السلام " ، دار الكتاب العربي، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2009 ، ص 14

7 - إسماعيل ناصر الصمادي ، التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية ، منشورات دار عـلاء الدين ، الطبعة الثانية ، دمشق ، سوريا ، 2008م ، ص141 .

8 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، ص23 / وكذلك إسماعيل ناصر الصمادي ، التأريخ التاريخي ما بـين السـبي البابلي وإسرائيل الصـ ـ ـ ـهيونية ، نفس المرجع السابق ، ص15 ص22 .

9 - عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ، ص116 .

الاضطهادات في أنحاء متفرقـة مـــن الإمبراطورية الرومانية [1] ، ففي عهد الإمـــبراطور الروماني هادريان(Hadrien) (76م – 138م) قام اليهود بثورة في فلسطين من سنة 130م إلى 135م تصدى لها الرومان واستخدموا في إخمادها أعنف وسائل البطش فدمروا بلادهم وهدموا هيكلهم وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا مشتتين هائمين على وجوههم في مختلف بقاع الأرض[2] ، يعيشون كأقلية اجتماعية وثقافية ودينية في مختلف البلدان التي هاجروا إليها.

1. 3. هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا :

لم يتفق المؤرخون* حول تاريخ محدد لهجرة اليهود إلى شمال إفريقيا ، لكنهم يؤكدون على أن تواجدهم قديم وحسب بعضهم يرجع إلى العهد الفينيقي ، بدأ بمزاولة التجارة مع المستعمرات الفينيقية في سواحل شمال إفريقيا منذ الألف الثانية قبل الميلاد ، وانتهى بقدوم موجات يهودية أخذت لنفسها مواطن استقرار على سواحل إفريقيا الشمالية وبعضها فضل الداخل بل وحتى الصحراء متخذين في ذلك طرق مختلفة ومسالك شتى .

من بين هذه الطرق ما ذكره "جان شارلي أمبير" (Jean Charles Humbert) في كتابه " اكتشاف الصحراء في 1900 "[3] وأكده الأستاذ " محمد داده " في رسالته للماجستير[4] ، إن اليهود هاجروا إلى شمال إفريقيا قادمين من فلسطين (الشرق الأدنى) عن طريق مصر مرورا بليبيا فاستقر بعضهم في مصر خاصة في الإسكندرية واضعين

---

1 - إسماعيل ناصر الصمادي ، التأريخ التاريخي ، نفسه ، ص141 .

2 - عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود ، ص116 . يوسف رشاد: مرجع سابق، ص 138.

*- نذكر من بينهم : عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي (22هـ - 462هـ) ، (642م – 1070م) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ، الطبعة الأولى ، 2001م / عطا أبو ريه ، اليهود في ليبيـا وتونس والجزائر ، ايتراك للنشر والتوزيع ، مصر الجديـدة ، الطبعـة الأولـى ، 2005م / Martin , a.g.p. ,les oasis sahariennes , alger , 1908

3- Jean Charles Humbert . la découverte du Sahara en 1900 . Edition L harmattan . paris . France . 1996. p111

4 - أنظر : محمد داده ، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القـرن 18م حتـى 1830م) ، رسـالة ماجستير مرقونة في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف محمد خير فارس ، جامعة دمشق ، كلية الأدب ، قسم التاريخ ، دمشق 1985م ، ص11 .

بذلك النواة الأولى لليهود بالمدينة [1] ، أما بعضهم الأخر فأرسل إلى منطقة برقة [2] لينتشروا في البلدان المجاورة ، وهناك موجة أخرى هاجرت هذه المرة عن طريق الجزيرة العربية واليمن في القرن الثاني قبل الميلاد [3] إلى إثيوبيا [4] بعد ما عبرت البحر الأحمر ، وبعد فترة من الزمن انتشرت واستقرت بالقصور الصحراوية [5].

زيادة على ذلك ما ذكره أندري شوراقي (André chouraqui) بأن الإمبراطور الروماني تيتوس(Titus) (39م – 81م) قام بترحيل اليهود إلى شمال إفريقيا في 12 سفينة بعد ما طردهم من روما [6] ، وتواصلات الهجرات اليهودية إلى شمال إفريقيا خاصة القادمة من أوربا لعل أهمها بعد قرار فرديناند (Ferdinand) (1452م – 1516م)

---

1 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، ص27 .

2 - برقة : هي بفتح أوله والقاف ، تشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية ، وهي أرض خلوقية بحيث ثياب أهلها أبدا محمرة لذلك ، ويحيط بها البرابر من كل جانب ، وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل : جوز ولـوز وأترج وسفرجل، وبينها وبين الإسكندرية مسيرة شهر .أنظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج01 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص462 ص463 . / محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانيـة ، 1984م ، ص91 / ابـن حوقـل ، صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ب ت ، ص69 / البكري ، المغـرب فـي ذكـر بـلاد إفريقيـا والمـــــــــغرب (جزء من المسالك والممالك) ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص05 / مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1987م ، ص143 / ابن سـعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م ، ص147 / اليعقـوبي ، البلدان ، تحقيق محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعـة الأولـى ، 1422هـ ـ/2002م ، ص181 .

3 - محمد داده ، المرجع السابق ،ص11 ص12 .

4 - إثيوبيا : أو الحبشة وهي دولة في شرق إفريقيا على البحر الأحمر بين السودان وكينيا والصـومال وجيبـوتي ، عاصمتها أديس أبابا ، أرضها عبارة عن هضبة تنتشر فيها الجبال والقمم المتفرقة خاصة غربي البلاد تتخللهـا أوديـة عميقة وأنهر عديدة أهمها النيل الأزرق الذي ينبع منها في الجنوب الغربي .أنظـر : مسـعود الخونـد ، الموسـوعة التاريخية الجغرافية ، ج01 ، مرجع سابق ، ص99

5 - Jean Charles Humbert . la découverte du Sahara en 1900 . Op .cit . p11.

6 - André chouraqui . la saga des juifs en Afrique du nord . Edition hachette littérature . 1972 . p47 .

وإيزابيلا (Isabella) (1451م – 1504م) طرد اليهود[1] والمسـلمين من اسبانيـا عام

1492م[2] حيث فرت جماعات[3] منهم إلى المغرب الإسلامي [4] ، وقد أطلق على اليهود الوافدين من أوربا الى بلاد المغرب المغيوراشيم ، وهم ينقسمون إلى سفارديم[5]

---

1 - أصدر الملك فرديناند مرسوما ملكيا في 31 مارس 1492م يقضي بطرد اليهود خارج إسبانيا ، وأهم ما جاء فيـه ما يلي : " ... يعيش في مملكتنا عدد غير قليل من اليهود ، ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتي عشرة سـنة ، وهـي تعمل دائما على توقيع العقوبة على المذنبين وبناءا على التقارير التي رفعتها لنا محاكم التفتيش ، ثبت بأن الصدام الذي يقع بين المسيحيين واليهود سيؤدي إلى ضرر عظيم وهو القضاء على المذهب الكاثوليكي ، ولذا قررنا : نفي اليهـود ذكورا وإناثا خارج حدود مملكتنا والى الأبد ، وعلى اليهود جميعا الذين يعيشون في بلادنا ومملكتنا ، ومن غير تمييـز في الجنس أو العمر ، أن يغادروا البلاد في غضون مدة أقصاها نهاية جويلية من نفس العام ، وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أي ظرف أو سبب ، ومن أجل أن يتدبروا أمورهم منحناهم حمايتنا الملكية ، وضمنا أملاكهم وأرواحهم حتى أخر جويلية القادم ، ونسمح لهم بأن ينقلوا معهم برا وبحرا ما يملكون باستثناء الذهب والفضة والعملة الذهبيـة ، والأشـياء الأخرى التي يشملها قانون المنع العام " . وكما جاء في القرار فإن سبب صدوره هو احتدام الصراع بـين المسـيحيين الكاثوليك واليهود في إسبانيا . أنظر : حسين محمد عبد الرحمن ، العرب واليهـود فـي الماضـي والحاضـر ، دار المعارف ، الإسكندرية ، (د.ت)، ص13 . نجوى طوبال ، طائفة اليهود بمجتمع الجزائر ، دار الشروق ، الجزائـر ، 2008م ، ص65.

2 - عندما مات هنري الرابع ملك قشتالة ورثته أخته إيزابيلا عرش المملكة ، وكانت قد تزوجت قبل ذلك بفرديناند ابن عمها ولي عهد مملكة أرغوانة واشترطت عليه في هذا الزواج أن يتعهد بمحاربة المسلمين ، حتـى إذا كانـت سـنة 884هـ/1479م مات يوحنا الثاني ملك أرغوانة ، فأصبح فرديناند ملكا على أرغوانة وقشتالة معا ، وكان هـذا مـن أعظم الأحداث التي أصيب بها المسلمين في الأندلس ، إذ أصبحوا هدفا لمملكة قوية متحدة ، ودخل فرديناند وإيـزابيلا غرناطة في مظهر صليبي رهيب ، وانقرض أخر مظهر للسيادة الإسلامية بالأندلس بعد ثمانية قرون من فتحها على يد طارق ابن زياد وموسى بن نصير . أنظر : محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م ، ص247 ص250 .

3 - " أبيطبول " يذكر خروج 160 ألف يهودي من إسبانيا على الأقل سـنة 1492م ، فـي حـين يـذكر " حـاييم الزعفراني " خروج حوالي 200 ألف يهودي في نفس السنة . أنظر :

abitbol , M , le passe d’une discorde , juifs et arabe du 07 siècle a nos jours , Perrin , paris , 1999 , p82 .

Zafrani , H , juifs d’Andalousie et du Maghreb , Maisonneuve et larose , paris , 1996 p214 .

4 - كمال بن صحراوي ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات ، بيت الحكمة للنشـر والتوزيـع ، العلمة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2009م ، ص30 .

5 - السفارديم : هم اليهود الذين انحدروا من أصل اليهود الذين هاجروا من شبه الجزيرة الأيبيرية ، إذ طـردوا مـن إسبانيا سنة 1492م ، وهاجروا إلى جنوب أوربا وشمال إفريقيا وبلدان الشرق الأوسط . أنظر : أحمد سوسة ، العرب

وأشكيناز[1]، ولم تتوقف حركة الهجرة اليهودية ، بل تواصلت طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين[2] .

ومن هنا يتضح لنا أن الهجرات اليهودية إلى شمال إفريقيا أتت من مختلف جهاته برا وبحرا ، مدفوعة بضغط الحوادث التي وقعت لهم خاصة في الشرق الأدنى وأوربا.

2- مواطن استقرارهم في شمال إفريقيا :

2-1. أسباب استقرارهم :

لم يعرف اليهود منذ القديم كيان سياسي يستقرون فيه ويلم شملهم كونهم عاشوا في عصور غلب عليها من الناحية السياسية النظام الإمبراطوري كنظام سياسي للدولة و فيه انتشرت الوثنية البعيدة عن التجريد والتوحيد اللذين دعت إليهما الديانة اليهودية ، فقلة هم من أعتنق دينهم بالإضافة إلى جنسهم من بني جلدتهم فأصبحوا بذلك هدفا لأصحاب السلطان ، مما أذى إلى تفرقهم وفرارهم إلى المناطق البعيدة عن أعين السلاطين ، فوجدوا في شمال إفريقيا مبتغاهم وفي القبائل البربرية المعادية للسلطة الرومانية الحماية ، في منطقة جغرافية متنوعة التضاريس (جبال ، صحراء ، ...) شكلت لهم درعا وحصنا آمنا وواقيا من الملاحقات الرومانية ، فهل سيجد اليهود في هذه المنطقة الجديدة والغريبة عليهم ما يدعوهم إلى الاستقرار فيها ؟ وما هي الأماكن التي تواجدوا بها ؟ وكيف كانت معاملة البربر لليهود المستقرين بينهم ؟ وما الذي ساعدهم على نشر ديانتهم بين القبائل البربرية ؟ .

واليهود في التاريخ ، مرجع سابق ، ص699 . عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج01 ، مرجع سابق ، ص82 .

1 - الاشكيناز : وتنسب هذه الطائفة إلى اليهود الألمان ، عاشوا في القرون الوسطى في البلدان التـي كانـت تـتكلم الألمانية ثم امتدوا إلى الشرق والغرب . أنظر : أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، نفس المرجـع السـابق ، ص698 / عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج01 ، نفس المرجع السابق ، ص83 .

2 - نجوى طوبال ، طائفة اليهود بمجتمع الجزائر ، مرجع سابق ، ص62 .

هناك أسباب عدة في ميادين عديدة جعلت اليهود يفرون إلى شمال إفريقيا ويأتون إليها من مختلف الجهات ، فمنها الأسباب الجغرافية المتمثلة في الموقع الاستراتيجي ذو الأهمية البالغة لشمال إفريقيا إذ يقع في مفترق طرق الحضارات القديمة جعله مطمع العديد من الشعوب وليس فقط اليهود ، كما أن اتساع رقعته الجغرافية وتنوع تضاريسه عكس ما عرفوه في الشرق وأوربا جعلهم يختاروا المناطق الجبلية التي حققت لهم الأمان [1] ، إضافة إلى الأقاليم الصحراوية [2] ، مستغلين بذلك الترحيب والاستضافة التي قدمت لهم من طرف القبائل البربرية .

أمام الأسباب الدينية فلعل أهمها نشر الديانة اليهودية وضرورة اتساع هذا الدين لغير اليهود من شعوب العالم ، لذا استمالوا إلى دينهم عدد من الأمم الأخرى وتضاعف عددهم بسرعة ، ونتيجة لوجود بعض القبائل البربرية تعبد الشمس والقمر والنجوم مثل اليهود [3] ، كانت التعاليم الدينية اليهودية ومبادئها أقرب إلى عقلية البربر من المسيحية [4] ، كما أن القبائل البربرية وجدت في اليهودية دينا سماويا ، فأعتنقها بعض أفراد من القبائل التي جاورت اليهود كقبائل نفوسة وجراوة ومديونة[5] ، ومن ثم كانت بلاد المغرب أكثر سكان بلدان العالم يهودا بعد ظهور الإسلام [6] ، وكان لهذا الأثر الكبير على القبائل البربرية [7] ؛

1 - عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي (22هـ - 462هـ) ، (642م – 1070م) ، مرجع سابق ، ص07 .

2 - عطا أبو ريه ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر ، المرجع السابق، ص30 .

3 - عطا أبو ريه ، نفس المرجع ، ص33 .

4 - كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ؛ 1988م ، ص28 .

5- ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1983م ، ج07 ، ص08.

6 - عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي (22هـ - 462هـ) ، (642م – 1070م) ، نفس المرجع السابق ، ص08 .

7 - ذكر فوزي سعد الله أطروحة أخرى مفادها : " إن الأطروحة الأقرب إلى الحقيقة إذن هي أن البربر كانوا يدينون بالديانات التي كانت سائدة في وقتهم من مجوسية ووثنية ونصرانية ويهودية ، وإذا كانت النصرانية هي الديانة الأكثر

حيث تسربت الأفكار التوحيدية والتعاليم اليهودية [1] ، كما عملت الأديان السماوية اليهودية والمسيحية على التعجيل بانهيار الوثنية [2] ، وكانت عاملا في تنوع الوعي الديني[3] لدى القبائل البربرية لكون اليهودية شريعة متكاملة تناولت الحياة من جميع نواحيها [4] ، عكس البربر الـذين عبدوا الأوثـ ـان وغيرها [5] .

أما من الناحية الاقتصادية فنجد اليهود ركزوا جل اهتمامهم على النشاطات الاقتصادية خاصة التجارية منها ، وقد وفرت لهم القبائل البربرية التي حلوا بها الحماية لتجارتهم ، وقبلوا دخول رؤساء القبائل البربرية في ديانتهم ودفع الإتاوات ليأمنوا غاراتهم[6] ، وتقربوا من علية القوم وسراتهم من غير اليهود ، فما أن أسس البربر مدنا جديدة حتى طرقها اليهود واستقروا بها لتحقيق هدفين هما : القرب من الحكام ، وإحكام السيطرة على اقتصاديات الدول ، لما تتمتع به العواصم عادة من اهتمام وازدهار الأنشطة عامة والاقتصادية خاصة [7] ، واختاروا منها ذات الأهمية التجارية والأمنية .

وأما من الناحية الاجتماعية فالبربري كان لا يحتمل الخضوع لأي سلطان، ثائرا ضد الظلم ، يعيش في مجتمع قبلي يخضع لزعيم القبيلة ، هذا ما دفع اليهود إلى البحث عن نقاط مشتركة معه اجتماعيا ، فأظهر اليهود بأنهم والبربر من نسل واحد خاصة وأنهم يجعلون الأمم كلها من نسل أدم ثم إبراهيم عليهما السلام، وباعتبار البربر إحدى قبائل

انتشار قبل الفتح الإسلامي أي الديانة الأولى من حيث الأهمية فإن اليهودية كانت محصورة في بعض القبائل فقط ، بل في بعض أوساط أو أفراد هذه القبائل وربما أمكن القول بأن مكانتها كانت أضعف من المجوسية والوثنية الأقدم وجودا في شمال إفريقيا " . أنظر : فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، مرجع سابق ، ص36 .

1 - عطا أبو ريه ، المرجع السابق ، ص33 .

2 - كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص28 .

3 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، المرجع السابق ، ص36 .

4 - عطا أبو ريه ، المرجع السابق ، ص34 .

5 - الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بـدوي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، 1969م ، ص65 .

6 - عطا أبو ريه ، المرجع السابق ، ص35 .

7 - عبد الرحمن بشير ، المرجع السابق ، ص 08 .

العرب[1] تكون بذلك القرابة معه من ناحية أبناء عم [2] ، وكان هذا التزييف محاولة لكسب تعاطف البربر في مواجهة الاضطهاد الذي تعرضوا له من الرومان وغيرهم لذا وجدوا في مصاهرتهم وخاصة أغيارهم فرصة كبيرة لزيادة أعدادهم فتزاوجوا فيما بينهم ودخلوا في علاقات مع بعضهم البعض[3].

2-2. مواطن استقرارهم :

إن دراسة الطائفة اليهودية ببلاد المغرب[4] وبيان دورها ومشاركتها في صنع تاريخه تاريخه سلبا أو إيجابا ، تدفعنا وتجرنا إلى رصد ومعرفة تواجدهم في بلاد المغرب بأقاليمه الثلاثة التي عرف بها في فترة الوسيط[5] ، بدأً بالمغرب الأدنى ، ثم المغرب الأوسط ، والمغرب الأقصى .

---

1 - لم يتفق المؤرخون حول ألأصل العرقي للبربر أو الامازيغ ، أي السكان الأصليين لشمال إفريقيا سواءا قدموا من حضر موت من اليمن نفاهم بعض الملوك من بلاد اليمن إلى أقاصي المغرب ، أو من أي مكان أخر مـن المعمـورة . أنظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت ، 1390هـ / 190م ، ص191 . / أحمـد بـن نعمـان ، فرنسـا والأطروحة البربرية في الجزائر ، منشورات دار حلب ، الجزائر ، 1900م ، ص19 .

2 - ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السـلطان الأكبر ، مصدر سابق ، ج11 ، ص183 ص185 .

3 - عطا أبو ريه ، نفس المرجع ، ص37 .

4 - بلاد المغرب : يشمل كل ما يلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي ، أما لفظ المغرب فالمراد به هو كل ما يقابل المشرق من البلاد ، وقد أختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله ، فجعله البعض يشمل بلاد شـمال إفريقيا بالإضافة إلى الأندلس وجميع الممتلكات الإسلامية في حوض البحر المتوسط مثـل صـقلية وجنـوب إيطاليـا وجزيرتي سردينيا وكورسيكا وجزر البليار أو الجزر الشرقية ، وقد اعتبر بعض المؤرخين مصر من بـلاد المغـرب باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة المغربية في الفترة الإسـلامية الأولـى ، إلا أن جمهـرة المؤرخين والجغرافيين العرب اتفقوا على تحديد كلمة مغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلـى المحـيط الأطلسي. أنظر : الاصطخري : المسالك والممالك ، تحقيق عبد العال الجني ، القاهرة ، 1961م ، ص21 ص36 ./ البكري ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص21 . السلاوي ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر محمد الناصري ، الدار البيضاء ، 1954م ، ص63 . / عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، 1990م ، ص12ص13 . / أبو الفدا ، تقـويم البلدان ، دار السلطانية ، باريس ، 1830م ، ص122 .

5 - العصر الوسيط : العصر الوسيط بالتقسيم الغربي ، أطلق على الفترة بين القرن الخامس وفجر النهضة الأوربيـة الحديثة في القرن الخامس عشر الميلادي ، وظهر هذا المفهوم بعد القرن الخامس عشر الميلادي . أنظر : نور الـدين

وقد تواجد اليهود في بلاد المغرب في الكثير من مناطقه وجهاته المختلفة نتيجة هجرتهم إليه من مختاف جهاته كما أسلفنا الذكر، نكاد نجدهم يتواجدون في كل بقعة منه في الشمال والجنوب والشرق والغرب، مفضلين بذلك مدن دون سواها، للاستقرار فيها وممارسة نشاطاتهم التي يقومون بها أينما حلوا وسكنوا ، لذا سوف نقوم برصد أهم المدن التي استقروا فيها في بلاد المغرب حسب ما ذكرته كتب الجغرافيا في ظل غياب وندرة المصادر المتاحة وهذا ما أقره أغلب الباحثين المعاصرين في تاريخ اليهود في بلاد المغرب[1]، وكذلك رصد العوامل التي ساعدت اليهود على الاستقرار في هذه المناطق، وما يميز المدن المستقرين فيها .

أ)- المغرب الأدنى:

جعل التقسيم الجغرافي لبلاد المغرب أن يكون المغرب الأدنى في مقدمة استقبال كل ما هو آت من المشرق لقربه منه مقارنة بالمغربين الأوسط والأقصى، وعند هجرة اليهود من المشرق إلى المغرب كان هذا الإقليم أول البلاد المغربية استقبالا لهم ، ومن بين المدن التي عاش بها اليهود ، مدينة برقة ذات الأهمية التجارية ، قبل الفتح الإسلامي[2]؛ وتعرف المدينة تواجد كبير لأهل الذمة[3] ، يؤكد هذا مقدار الجزية[4] المفروضة عليهم والمقدرة بثلاثة عشر ألف دينار يؤذونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم[5]، ومعظم هذه الجزية دفعها يهود هذا الإقليم خاصة بعد الفتح الإسلامي نتيجة

حاطوم ، تاريخ العصر الوسيط في أوربا ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1386هـ/1967م ، ج01 ، ص03 ص04 .

1 - علي سبيل الذكر لا الحصر ، يمكن العودة إلى : بشير عبد الرحمن ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق / فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، مرجع سابق / عطا أبو ريه ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائـر ، مرجع سابق .

2 - عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص34 .

3 - أنظر : ابن عبد الحكم ، فتوح أفريقية والأندلس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1987 ، ص29 .

4 - الجزية : أنظر العنصر الثالث .

5 - أنظر : ابن عبد الحكم ، نفسه ، ص29 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج03 ، مصدر سابق ، ص26 . ابن الآبار ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ج01 ، ص13 . البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، 1377هـ/1957م ، ج01 ، ص264 .

نزوح معظم النصارى من الروم منه[1]، وقد عاشوا في ظل الحكم العربي ودفعوا الجزية[2]؛ وكانوا يسارعون بإرسال جزيتهم إلى الدولة ولا ينتظرون جابي الخراج لجمعها[3] ، وهذا ما يعني رضاهم بالوضع الإسلامي الجديد ، ووفرة أرباحهم من أموال التجارة وتمسكهم بالاستقرار في الإقليم الذي يعد منبر ينزله القادم من مصر متجها إلى القيروان[4]، و بها من التجارة وكثرة الغرباء في كل وقت مالا ينقطع طالبا لما فيها من التجارة وعابرين عليها مغربين ومشرقين[5] .

وعرفت المنطقة الممتدة من برقة شمالاً إلى مدينة زويلة[6] المتاخمة لحدود بلاد السودان[7] جنوبا موطن الذهب والرقيق انتشارا واسعا لليهود ، حيث استقروا في المدن والقرى ذات الأهمية الاقتصادية عامة والتجارية خاصة ، ولهذا السبب استوطنوا زويلة

---

1 - عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص35 . عطا أبو ريه ، اليهود في ليبيا وتـونس والجزائر ، مرجع سابق ، ص191 .

2 - البلاذري ، فتوح البلدان ، ج01 ، مصدر سابق ، ص222 .

3 - ابن عبد الحكم ، ص30 .

4 - القيروان : أنظر : البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص22 ص23 . الـدباغ ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق عبد المجيد خيالى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ؛ 1426هـ/2005م ، ج01 ، ص41 ص42 ص43 . أبو الفدا ، تقـويم البلـدان ، مصـدر سـابق ، ص145 . / اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق ، ص185 ص189 .

5 - ابن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص69 .

6 - زويلة : أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج03 ، مصدر سابق ، ص159 ص160 . البلاذري ، فتـوح البلدان ، مصدر سابق ، ص314 ص315 . البكري ، ص11 . الحميري ، مصـدر سـابق ، ص295 ص296 . مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص146 . أنظر : اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق ، ص183 .

7 - بلاد السودان : تتكون من أجناس عدة مثل : النوبة والبجة والزغاوة والمراوة والاستان والبربر وأصناف الزنج ، ، واشتهر اليهود بالتجارة مع بلاد السودان .أنظر : ابن النديم ، الفهرست ، دار الكتب العلميـة ، بيـروت ، لبنـان ، الطبعة الأولى ، 1416هـ/1996م ، ص31 . نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1967م ، ج01 ، ص09 . وينقسم السودان إلى ثلاثة أقسام هي :

1- السودان الغربي : وهو يشمل حوض السنغال ألان وغامبيا وبوركينا فاصو (فولتا العليا سابقا) والنيجر .
2- السودان الأوسط : وهو يشتمل على المناطق المحيطة ببحيرة تشاد .
3- السودان الشرقي : وهو يشتمل على مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة .

أنظر : عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت ، ص11 .

التي اشتهرت كمحطة توزيع الرقيق إلى أفريقية[1] ، واستقر بعضهم في طلميثة " وهي مدينة مشهورة وبها قصر فيه يهود تحت حماية العرب ومنه تحمل المراكب الشعير والعسل إلى غيرها ، وقصور اليهود المذكورة على هيئة برج كبير ، وتبعد عن الإسكندرية نحو مسافة شهر والمراكب ترسوا قبالة قصر اليهود ، وبالقرب منه تحضر العرب وتبايعهم بالبضائع مقايضة "[2] .

وتعد مدينة آجدابيا أكثر المدن التي أستقر بها اليهود نظرا لكونها مركزا تجاريا تحوي الكثير من الفنادق والأسواق[3] ، وفي مدينة درنة التي وجد بها أحد القصور الذي كان يأوي اليهود ، وكلهم كانوا يدفعون الجزية[4] ، أما في سرت[5] فوجدت عدة قرى خاصة باليهود يمارسون في سوقها جميع الأنشطة التجارية[6] ، ولا يستبعد وجودهم أيضا بمدينة سوسة[7] إحدى المدن المهمة على ساحل البحر[8] ، كما عثر على شواهد قبور لبعض

1 - أفريقية : أطلق اللاتينيون في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد اسم الأرض إفريقية (africa terra) على القسم الذي خضع للنفوذ الفنيقي من تونس الشمالية وهو الجزء الذي كانت تقطنه قبائل تعرف باسم أفري من أبناء البلاد ونقصد به الجزء الذي جعلت منه روما ولاية إفريقية بعد تدمير قرطاجة عام 146ق.م ، وبناءا على ذلـك فـإن كلمة إفريقية في حدود العرف الإداري الروماني كانت تعني الولايات الشمالية التي يسكنها البيض لمقابلة المنطقة التـي يسكنها السود الإثيوبيون ، ثم أطلقت التسمية عينها أي إفريقيا على كل جزء كان يتم كشفه إلى أن عمت القارة كلها بعد ذلك . أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج02 ، مصدر سابق ، ص228 ص229 ص230 . الحميري ، مصدر سابق ، ص47 . شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا ، ترجمة طلعة عوض أباظة ، نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ص05 .

2 - أبوالفدا ، تقويم البلدان ، مصدر سابق ، ص148 ص149 .

3 - أجدابيا : أنظر : أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص69 . / الإدريسي ، نزهة المشتاق في إختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مج01، ص310 .

4 - ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، مصدر سابق ، ص147 .

5 - سرت : أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص70 .

6 - أنظر : اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق ، ص182 .

7 - سوسة : أنظر : أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص74 .

8 - عطا أبو ريه ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر ، مرجع سابق ، ص194 .

لبعض اليهود في مدينة مصراته[1] تحمل تواريخ تنبئ أن أصحابها عاشوا فيها خلال القرنين السادس والسابع الهجريين والثاني والثالث عشر الميلاديين[2] .

وفي إقليم طرابلس تواجد به اليهود منذ العهد الروماني كان له الأثر حتى على أسماء مدنه ، فنسب بعضها إلي اليهود مثل مدينة اليهوديتين الواقعة على الطريق الساحلي بين برقة وطرابلس[3] ، وفي منطقة جبل نفوسة[4] خاصة في منطقة شروس ، ومدينة جادو ، التي أطلق عليها أم قرى جبل نفوسة لكثرة أسواقها واتساع عمرانها[5] .

وامتد نشاط اليهود واستقرارهم إلى مدن عديدة ذات مواقـع متميـزة مثـل مدينـة غدامس[6] إحدى القواعد الصـحراوية التجاريـة الكبـرى ، وفـي جزيـرة جربـه[7] ؛ ومدينة قابس[8] حيث عاشوا حياة آمنـة ، فسـكنوا ضـواحي المدينـة فـي منطقـــة نفزاوة[9] جنبـا إلى جنب مع المسلمين[10] ، وفـي مـدن إفريقيـة مثـل قـــفصه[11]

---

1 - مصراتة : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، ص11 .

2 - روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهايـة القـرن 15م ، ترجمـة حمـادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1988م ، ج01 ، ص431 .

3 - أبن حوقل ، صورة الأرض ، نفسه ، ص71 .

4 - جبل نفوسة : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، ص105 .

5- مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص144 . / البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغـرب ، مصـدر سابق، ص09.

6 - غدامس : في الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة ، وهي مدينة لطيفة قديمة أزليـة ، إليهـا ينسـب الجلـد الغدامسي ، وأهلها بربر مسلمون وملثمون على عادة بربر الصحراء من لمتونة ومسوفة وغيرهم . أنظر : الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سابق ، ص427 . مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص145 .

7 - جربه : جزيرة في بحر إفريقية ، أقرب بلاد إليها قابس ، طولها ستون ميلا من المغرب إلى المشرق ، وعـرض الرأس الشرقي خمسة عشر ميلا . أنظر : الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سابق ، ص158 . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، مج01 ، مصدر سابق، ص305 .

8 - قابس : أنظر : أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص72 .

9 - نفزاوة : أنظر : مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص107 . ياقوت الحموي ، معجـم البلـدان ، ج05 ؛ مصدر سابق ، ص296 .

10 - عطا أبو ريه ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر ، مرجع سابق ، ص197 .

11 - قفصة : مدينة من بلاد الجريد ، وهي كبيرة وقديمة ، بين القيروان وقابس . أنظر : مجهـول ، الاستبصـار ، مصدر سابق ، ص151 . الحميري ، الروض المعطار ، نفسه ، ص477 ص478 .

والحامة[1] وباجة[2] وتبسة[3] وصفاقس[4] والرقة[5] عرفـت كـذلك انتشـار لليهـود ، أمـا أما عواصم الإقليم التي عرفها مثل: القيروان والمهديـة[6] وتـونس[7] فقـد اسـتقر بهـم اليهود ، بحكم موقعهم كعواصـم لهـم وزنهـم السياسـي والاقتصـادي والاجتمـاعي والثقافي ، ففي القيروان تتحدث المصادر التاريخيـة اليهوديـة عـن مئـات العـائلات اليهودية التي تشتغل بالتجارة وبمختلف الحرف ، قد انتقلـت مـع الفـاتحين المسـلمين إلى شمال إفريقيا بمحض إرادتها وتحت رعاية عقبة بن نـافع[8] ، الـذي اسـتعان بهـم

1 - الحامة : مدينة عريقة في القدم ، بناها الرومان داخل الأراضي على بعد نحو خمسة عشر ميلا من قابس ، يحـيط بها سور مبني بالحجر الضخم المنحوت نحتا جيدا . أنظر : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، مصدر سـابق ، ص92

2 - باجة : في إفريقية ، وهي مدينة كبيرة قديمة ، وهي على جبل شديد البياض ، وهي كثيـرة الأنهـار والعيـون . الحميري ، الروض المعطار ، نفسه ، ص75.

3 - تبسة : من بلاد إفريقية بقرب وادي ملاق ، وبها بساتين كثيرة وفواكه عجيبة ، وهي ألان إحدى الولايات الشرقية الشرقية للجزائر . أنظر : مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص162 . / الحميري ، الروض المعطار ، نفسه ، ص129 ص130 . / البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص49 ص145 .

4 - صفاقس : مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط أيام محاربتهم الرومان ، ومعظم سكانها نساجون وبحارون وصيادون . أنظر : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، مصدر سابق ، ص87 . أبـو الفـدا ، تقـويم البلدان ، مصدر سابق ، ص145 .

5 - الرقة : مدينة تعرف قديما بأم الأصبع ، وكان بها عدد من التجار اليهود . أنظر : رحلة التيجاني ، ص66 ، نقلا نقلا عن عطا أبو ريه ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر ، ص198 .

6 - المهدية : أنظر : مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص117 . ياقوت الحموي ، معجـم البلـدان ، ج05 ؛ مصدر سابق ، ص229 . ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، مصدر سابق ، ص144 . / الحميري ، المصـدر السـابق ، ص561 ص562 . / أبو الفدا ، المصدر السابق ، ص145 .

7- تونس : أنظر : الدباغ ، معالم الإيمان ، ج01 ، مصدر سابق ، ص60 . / المالكي ، رياض النفـوس ، ج01 ؛ مصدر سابق ، ص48 .

8 - عقبة بن نافع : من كبار القادة الفاتحين لبلاد المغرب ، باني مدينة القيروان ، وكان ابن خالته عمر بن العاص هو هو الذي وجهه إلى إفريقيا سنة 42هـ واليا فافتتح كثير من تخوم السودان ، ولاه معاوية إفريقيا سنة 50هـ ، ثم عزله سنة 55هـ ، فعاد إلى المشرق ثم ولاه يزيد سنة 62هـ وبلغ البحر المحيط ثم استشهد في الزاب ، وفي بغية الـرواد مولده قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة . أنظر : يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك مـن بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1400هـ/1980م ، ج01 ، ص76 . / ابن الآبار ، الحلة السيراء ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، 1381هـ ـ/1962م ، ص462 ص463 . محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكيـة (التتمـة) ، دار الفكـر ، ص96 . /

بهم في تعمير مدينة القيـروان ، وذكـر الحاخـام والمـؤرخ اليهـودي الجزائـري " موريس إيسنبات " بأن عقبة بن نافع يكـون قـد عمـر القيـروان مدينتـه الجديـدة ب 1000 عائلة قبطية ويهودية مصرية[1] ، وهذا ما يؤكـد مـا أورده الرقيـق القيروانـي بأن اليهود في القيروان كانت لهم سوق خاصة بهم سميت بسوق اليهودية.

أما مدينة المهدية فنتيجة حصانتها المنيعة وكثرة التجارة بها ، فلم تعرف القلاقل ولا الثورات إلا مع خروج[2] أبو يزيد مخلد بن كيداد[3] ببلاد المغرب ، بالإضافة إلى وفرة الحمامات والخانات[4] ، فقد عرفت إقامة بعض اليهود مستغلين تسامح الفاطميين معهم ، أما مدينة تونس فقد عاش فيها بعض اليهود زمن الخليفة الفاطمي الثالث المنصور بن القائم[5] .

موسى لقبال ، عقبة بن نافع – أساس نظام الفهريين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب ، دار هومه ، الجزائر ، طبعة 2002م ، ص07 .

1 - فوزي سعد الله ، مرجع سابق ، ص39 .

2 - الخروج : من الخوارج ومفردها خارجي ، وهم أتباع أقدم فرقة في الإسلام ، نشأت أثناء معركة صـفين ، بـين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله ، وأحدثوا اضطرابات كثيـرة فـي الدولتين الأموية والعباسية ، وقدر لبعض حركاتهم النجاح فترة من الزمن .أنظر : عصام الدين عبد الرؤوف الفقـي ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1990م ، ص143 . / دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمـة أحمد الشناوي وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج08 ، ص469 .

3 - أبو يزيد مخلد بن كيداد : هو خارجي نكاري ملقب بصاحب الحمار ، ولد حوالي سنة 270هـ/883-884م فـي السودان ، خالط جماعة من النكارية وأخذ تعاليم مذهبهم عن إمامهم أبي عمار الأعمى ، استقر به المقام في قسطيلة أين كان يعلم الصبيان ، واستغل منصبه ليبث أفكاره المناوئة للنظام الفاطمي ، ثم التجأ إلى جبل أوراس أين أخذ في نشـر دعوته علانية ، وانطلق في ثورته على الفاطميين وعمره لا يقل عن ستين سنة ، أواخر جمادي الأولى 322هـ / يناير 944م ، إلى أن تم القضاء عليها وموته يوم الأحد 24 محرم 336هـ / 15 أغسـطس 947م . أنظـر : فرحـات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ / 909-975م) ، ترجمة حمادي السـاحلي ، دار الغـرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1994م ، ص247 . / دائرة المعارف الإسـلامية ، ج08 ، ص469 ./ غازي جاسم الشمري ، أثر الحركة النكارية على الدولتين الرستمية والفاطمية من خلال المصادر التاريخية والجغرافية، مجلة عصور ، عدد 6-7 ، جوان-ديسمبر 2005م ، جامعة وهران ، الجزائر ، ص214 ص215 .

4 - ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص73 .

5 - أحمد طه إبراهيم ، تونس من سقوط الدولة الصنهاجية ، مرجع سابق ، ص149 .

ب)- المغرب الأوسط :

عرف المغرب الأوسط تواجد لليهود منذ القديم ، ابتداءا من العهد الفينيقي في شمال إفريقيا أي قبل أكثر من 3000 سنة قبل الميلاد [1] حيث أقام الفينيقيون مراكز تجارية على طول الشريط الساحلي ، وذلك لميلهم للأنشطة التجارية [2] ، لكن بعد الفتح الإسلامي وحسب ما نقلته كتب المؤرخين والجغرافيين فإن تواجدهم بالمغرب الأوسط شمل عديد مدنه ، في الشمال والجنوب خاصة التجارية منها، فاستقروا في مدينة بجاية قاعدة المغرب الأوسط[3] ، حيث وصفها الجغرافيون على أنها مدينة تجارية ، وذكر الإدريسي في وصفها بأن " ... السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع أليها مجاوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار و بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار الغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق "[4] ، وهذا ما يبين ويؤكد تواجد اليهود بها لانتشارهم بين القرى والمدن التي تناسب طموحاتهم التجارية ، لذا غاب تواجدهم في المراكز التجارية الكبيرة وعلى طرق التجارة[5] .

ومدينة تنس الواقعة على مقربة من البحر المتوسط ، شيدت من طرف أهل الأنـدلس سنة 262هـ/875م لتكون مرفأ لتجارتهم مع بلاد المغرب[6] ، أصبحت من المـدن التـي يتغذي إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سـواها[7] ؛

---

1 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، مرجع سابق ، ص24 .

2 - Rchard ayoun et bernard cohen . op . cit . p27

3 - ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، مصدر سابق ، ص142 .

4 - الإدريسي ، مج01، مصدر سابق ، ص260 ، محمود مقديش ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبـار ، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنـان ، الطبعـة الأولـى ، 1988، ج1 ؛ ص92.

5 - بشير عبد الرحمن ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص43 .

6 - البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص60 . / ياقوت الحموي ، معجم البلـدان ، ج2 ، مصدر سابق ، ص48 .

7 - محمود مقديش ، ج1 ، نفسه ، ص78 .

كمدن بلاد المغرب أو بلاد السودان أو المشرق[1] ، أي بمثابة همزة وصل بـين الأنـدلس وهذه الأقطار، مما جعلها تتوفر على مـوارد اقتصـادية عديـدة ومتنوعـة كـالخراج[2] والصدقـات[3] والأعشار[4] والجوالي[5] المفروضة على أهل الذمة.

أما قلعة بني حماد عاصمة الحماديين والتي بناها حماد بن بلكين[6] سنة (398هـ/1007م)[7] ، فبالرغم من عمرها القصير إذ لم تعمر إلا حوالي ستة عقود[8] ، إلا إلا أنها كانت مقصدا لليهود من جهة كونها عاصمة سلطوية لبني حماد واليهود معروفون برغبتهم في التقرب والعيش بجوار السلطة ، ومن جهة أخرى تعتبر محل التجار القادمين من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب[9] ، ونقل بشير عبد الرحمن عن

1 - ابن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص78 .

2 - الخراج : قال بعضهم هو المال الذي يجبى ويؤتى به لأوقات محدودة ، ذكره ابن عطية ، وقال الأصمعي الخراج الجعل مرة واحدة ، وقال الأزهري : الخراج اسم لما يخرج من الفرائض في الأموال ويقطع على القرية وعلى الفـئ ويقع على الجزية وعلى الغلة ، والجزية تسمى خراجا . وذكر أبو يوسف الخراج هو خراج الأرض . أنظـر : أبـو يوسف ، كتاب الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص23 . الفراء الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، تحقيق عبد الله الصديق ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص04 ص05 .

3 - الصدقات : تجب في الإبل والبقر والغنم والخيل . أنظر : أبو يوسف ، كتاب الخراج ، مصدر سابق ، ص76 .

4 - الأعشار : العشور ضريبة ورسوم تؤخذ على الأراضي التي يزرعها المسلمون وعلى أموال وعروض تجارة أهل الحروب ، وأهل الذمة المارين بها على ثغور البلاد الإسلامية والأراضي تلك هي أراضي اسلم أهلها عليها ، وهي في أيديهم ، وأراضي أحياها المسلمون وأخرى أخذت عنوة ثم قسمت على المحاربين وأراض جلا عنها العدو فاستولى عليها المسلمون ، وأراض تعرف بالصفايا وهي التي كانت ملكا للأسرة الحاكمة من الأعداء كما سلف . أنظر : جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابـع الهجـريين (9-10م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ت ، ص402 .

5- الجوالي : جمع جالية وأصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطنا أخر ثم أطلقت على أهل الذمة الذين أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن جزيرة العرب " جالية " ثم نقلت هذه اللفظة إلى الجزية التي أخذت منهم . أنظر : أبو يوسف ، كتاب الخراج ، مصدر سابق ، ص03 .

6 - حماد بن بلكين : صاحب (قلعة بني حماد) وعم باديس ، المنصور بويع وهو صغير السن فتولى حماد أعماله ، كانت بينه وبين ابنه أيام وحروب ، توفي سنة 419هـ . أنظر : خير الدين الزركلي ، ترتيب الأعلام على الأعـوام ، رتبه وعلق عليه زهير ظاظا ، دار الارقم ، بيروت ، لبنان ، ج01 ، ص315 .

7 - الإدريسي ، نزهة المشتاق ، مج01، ص261 .

8 - خرب الهيلاليون القلعة سنة 460هـ/1067م نتيجة الغزو الهلالي الذي عرفه بلاد المغرب .أنظر : عبد الحلـيم عويس ، دولة بني حماد ، بيروت ، 1980 م ، ص90 .

9 - البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص49 .

أحد المؤرخين اليهود بأن في هذه القلعة ولد أحد العلماء اليهود الذي داع صيته في شمال إفريقيا والأندلس ويدعى " إسحاق الفاسي" وأحد رجال الدين اليهودي ويدعى " أبراهام القلعي " والقلعي نسبة إلى قلعة بني حماد[1].

كما استوطن اليهود مدينة أشير[2] وهي مدينة بناها زيري بن مناد الصنهاجي[3] سـنة 324هـ/935م[4] ويشير أحد الباحثين المغاربة إلى أن تسمية المدينة جاءت متشابهة مـع اسم قبيلة يهودية قديمة ورد ذكرها في التوراة باسم (أشير)[5] لكن يبـدو أن لا علاقـة بينهما وربما اختلط على هذا الباحث اسم المدينة (أشير) باسم مدينة أخرى في العـراق تسمى (أشور) والتي قال عنها بن سعيد المغربي بأنها مذكورة في التوراة ، و بها كـان الملوك الأشوريين الذين خربوا بيت المقدس[6] ، وعندما انتقل الحكم لبلكين يوسـف بـن زيري[7] نقل عددا من السكان المتمردين في تلمسان أعوام 361هـ، 362هـ/972م[8] ومن

ومن

1 - أنظر : بشير عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص44 ، نقلا عن إبرهام شتال ، تاريخ يهود المغرب (بالعبريـة) ، القدس ، 1974م ، ص55 .

2- أشير : هي مدينة بجانب تلمسان اتخذها زيري بن مناد قاعدة له . ابن الأثير، مصدر سابق ج07 ، ص205 .

3 - زيري بن مناد الصنهاجي : هو زيري بن مناد بن منقوش بن زناك بن زيد الأصغر ، باني مدينة أشـير وكـان حسن السيرة تام السياسة شجاعا صارما ، قتل في رمضان سنة 360هـ/971م ، وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضـة المصـرية ، القـاهرة ، ج02 ؛ ص90./ محمود مقديش ،ج1 ، مصدر سابق ، ص361 ص362 .

4 - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص202 .

5 - بشير عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص46 .

6 - ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، مصدر سابق ، ص157 .

7- بلكين يوسف بن زيري : (337-362هـ/ 972-983م) كان نائبا للخليفة المعز لدين الله الفاطمي حيث أطلـق عليه اسم " يوسف " وكنية عسكرية هي " أبو الفتوح " ، ولي على الجهة الغربية للدولة الفاطمية ، قام بحملات تأديبيـة ضد المغرب الأقصى ، حتى فاجأه الموت عام 373هـ/984م . ،نظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1978 ، ج01 ، ص286 .

8 - هاجم مدينة تلمسان انتقاما لمقتل أبيه زيري بن مناد .أنظر : ابن خلدون ، كتاب العبـر ، ج7 ، ص27 ص77 . وقتل منهم في مواطن كثيرة خلقا لا يحصهم إلا الله .أنظر : الايلاني ، مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوباية دار أبي الرقراق ، الرباط ، الطبعة الثانيـة ، 2008م ، ص108-109-110 .وبعـد أن رحـل المعـز إلـى مصـر سـنة 362هـ/973م ، قامت دولة بني زيري الصنهاجية في شمال إفريقيا فثار أهل تلمسان سنة 362هـ/973م ، فحاصرها بلكين حتى استسلم أهلها ونقل منهم أعدادا كبيرة إلى مدينة أشير .أنظر : ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص293.

بينهم أعدادا من السكان اليهود[1] .

وتواجد اليهود في عاصمة الرستمين تاهرت [2]، التي ابتناها عبد الرحمن بن رستم[3] (162هـ/168هـ) (779م/784م) أعلى تاهرت القديمة ، وسماها تاهرت الجديدة بعيدا عن موضع القرية القديمة[4] ، وكانت لديها علاقات تجارية بينها وبين بلاد السودان[5]؛ وبينها وبين مدينة سجلماسة عن طريق واركلا[6] ، بل تعدت الى جميع بلدان بلاد المغرب[7] وبعد الزحف الفاطمي الذي شهدته المدينة سنة 296هـ/908م تزايد الوجود اليهودي بالمدينة، لان الفاطميون كانوا أكثر تسامحا معهم يمارسون كافة نشاطاتهم المتنوعة بحرية تامة[8] .

أما مدينة تلمسان[9] عاصمة الزيانيين وقفل بلاد المغرب لا بد للداخل والخارج الاجتيـاز بهـا[10] ، وجدت بهـا جماعة يهوديـة قديمـة تتعـامل مـع اليهـود فـي

المختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص316 . أبن أبي دينار ، المؤنس في أخبـار إفريقيـة وتـونس ، ص96 ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24 ، ص171 .

1 - بشير عبد الرحمن ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص46 .

2 - تاهرت : للاطلاع أكثر أنظر : ابن الفقيه ، مختصر البلدان ، ص79 . / ابن خردانبـة ، المسـالك والممالـك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص88 .ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز ، الجزائر ، 1986م ، ص19 . / البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، ص67 ص68 . / مجهـول ، الاستبصـار لوساطة عقد الأمصار ، ص178 . / الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص126 ص127 . أبو الفـدا ، تقويم البلدان ، مصدر سابق ، ص124 . / اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق ، ص195 ص196 ص197 .

3 - عبد الرحمن بن رستم : مؤسس مدينة تاهرت (بالجزائر) وأول من حكم الرستميين كان من فقهاء الاباضـية ، فارسي الأصل. أنظر: خير الدين الزركلي ، ترتيب الأعلام ، ج1 ، مصدر سابق ، ص202 .

4 - أنظر : حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، ج1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيـروت ، لبنـان ، الطبعة الأولى ، 1412هـ/1992م ، ص323 .

5 - ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، مصدر سابق ، ص32 .

6 - حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، ج1 ، مرجع سابق ، ص333 .

7 - ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، نفسه ، ص32 .

8 - بشير عبد الرحمن ، يهود المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص75 .

9 - تلمسان : أنظر : ابن خردانبة ، المسلك والممالك ، مصدر سابق ، ص88 . إبن خلدون ، كتاب العبـر ، ج06 ؛ ص142 .

10 - الإدريسي ، نزهة المشتاق ، مج01 ، ص248 .

مايوركة[1] التي تصلها بالمواد المختلفة القادمة من إفريقيا السوداء[2] ، حيث مارسوا بها مختلف نشاطاتهم التجارية ، وتدعم وجودهم بإخوانهم اللاجئين من شبه جزيرة أيبيريا[3] فرارا من قمع القوط[4] لهم سنة 613م وسنة 622م ، وبسبب المضايقات التي تعرضوا لها لها فروا الى الصحراء الكبرى[5] وتمركزوا في مدن شمال الصحراء مثل غرداية[6]

1 - مايوركة : وردت بلفظ " ميوركة " وهي جزيرة في البحر المتوسط ، فتحها المسلمون سنة 190هـ ، وتغلب عليها الاسبان سنة 626هـ ، وذكر المخزومي بأن المسلمون قاموا بأول محاولة لغزوها سنة 98هـ بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير ، ولم يستطيعوا بسط نفوذهم عليها إلا في عهد الدولة الأموية بالأندلس سنة 290هـ/903م ، تاريخ فتح الجزيرة بشكل نهائي ، ويقول ابن خلدون : " كان فتح مايورقة سنة 290هـ على يد عصام الخولاني " . أنظر : ابن خلدون ، كتاب العبر ، مصدر سابق ، ج04 ، ص196 . المخزومي ، تاريخ ميورقة ، تحقيق محمد بن معمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1428هـ/2007م ، ص26 . المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1418هـ/1998م ، ج01 ، ص131 . الحميري ، الروض المعطار ، نفسه ، ص567 .

2 - محمد داده ، مرجع سابق ، ص19 ص20 .

3 - شبه جزيرة أيبيريا : هو أسمها العربي ، وتسمى كذلك الأندلس والكلمة ذات أصل أعجمي ، وأيبيريا نسبة إلى الشعوب الأيبيرية ، وهم مجهولوا الأصل والمصدر ، عاصروا في إسبانيا القديمة الفينيقيين واليونان والرومان ، وبالتالي هم أقدم أمم غربي أوربا . أنظر : المقري ، نفح الطيب ، مصدر سابق ، ج01 ، ص130 . دائرة المعارف الإسلامية ، ج03 ، ص35 .

4 - القوط : الشعب القوطي تنحدر من الشعوب الجرمانية ، وأنقسم إلى قسمين القوط الغربيين الذين سمحت لهم الإمبراطورية الرومانية بالاستقرار في حوض الدانوب الأدنى وهم أول الشعوب الجرمانية اعتناقا للمسيحية ، أما الفرع الشرقي من الشعب القوطي وهم القوط الشرقيون فتخلفوا في جنوب روسيا مشكلين مملكة مستقلة قوية تمتد من مصب نهر الفستولا حتى جبال القوقاز .أنظر : كريستوفر دوس ، تكوين أوربا ، ترجمة سعيد عبد الفتاح عاشور و محمد مصطفى زيادة ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1967م ، ص104 ص105 .

5 - الصحراء الكبرى : عرف كل من الزبيدي في تاج العروس و ابن منظور في لسان العرب ، الصحراء من الأرض بأنها " المستوية في لين وغلظ دون القف " ، وقيل إنها الفضاء الواسع وقال ابن شميل : " الصحراء من الأرض ، مثل ظهر الدابة الاجرد ليس بها شجر ولا آكام ، ولا جبال ، ملساء " والصحراء الكبرى هي أوسع صحاري العالم ، حيث أنها تمتد شرقا من البحر الأحمر عبر النيل ، حتى المحيط الأطلسي غربا ، ومن الجنوب إلى الشمال بين بلدان إفريقية الشمالية وبلاد السودان . أنظر : إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983م ، ص13 .

6 - غرداية : هي عاصمة وادي مزاب ، تأسست سنة 474هـ/1092م ، وهي واجهة فاخرة للاقتصاد الاباضي . إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، مرجع سابق ، ص156 ص157 .

والقرارة[1] وتوات[2] وتمنطيط[3] وورقلة[4] والوادي[5] ، والتي تقع على الطريق المؤدي الى بلاد السودان الغربي[6] ويبين " محمد بن عمر الطمار" في كتابه " تلمسان عبر العصور " خريطة لتلمسان بها ثمانية أسواق متنوعة ومتعددة الاختصاصات وبوسط المدينة بيعة لليهود[7] ، أما الجغرافي " حسن الوزان " فيتحدث عن زيارته للمدينة مع نهاية العصور الوسطى ، وجد فيها قرابة خمسمائة منزل يهودي كلهم أغنياء[8] ، وعلى ضوء هذا العدد يتبين لنا أن اليهود بتلمسان تمتعوا بحرية اقتصادية جعلتهم يجنون ثروة كبيرة .

وفي الصحراء الكبرى جنوب المغرب الأوسط ، نجد مدينة وارجلان التي عرفت كذلك استقرار اليهود بها ، وهي بلاد نخل وعبيد ، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير[9] ، وهي بذلك إحدى المحطات المهمة في خطوط التجارة بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان[10] ، بل اعتبرها البعض رأس طريق القوافل القادمة من إفريقية والمغرب الأوسط إلى بلاد السودان[11] ، ويذكر ابن خلدون عدد الرحلات التي كانت

1 - القرارة : إحدى المدن الخمس لوادي مزاب ، تأسست في سنة 1040هـ . إسماعيل العربي ، الصحراء الكبـرى وشواطئها ، مرجع سابق ، ص156 .

1 - توات : أنظر الفصل الثاني .

2 - تمنطيط : أنظر الفصل الثاني .

4 - ورقلة : وتسمى قديما " واركلان " أو " وارجلان " وهي في طرف الصحراء مما يلي إفريقية ، وهي بلد خصيب كثير النخيل والبساتين ، وبينها وبين الجريد أربعة وعشرون يوما ، وبينها وبين غدامس نحو عشرين يومـا ، وأهلهـا بربر . أنظر : مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص244 . الحميري ، الروض المعطار ، نفسـه ، ص600 . البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص182 .

5 - الوادي : وهي مجموعة من واحات النخيل تقع في الصحراء الشرقية على الحدود التونسية الجزائرية . إسـماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، مرجع سابق ، ص139 .

6 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، مرجع سابق ، ص38 . / عطا أبو ريه ، اليهود فـي ليبيـا وتونس والجزائر ، مرجع سابق ، ص203 .

6 - محمد بن عمر الطمار ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسـة الوطنيـة للكتـاب ، الجزائـر ، 1984م ، ص324 ص325 .

7 - حسن الوزان ،وصف إفريقيا ، مصدر سابق ، ص390 .

8 - ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، مصدر سابق ، ص126 .

10 - البكري ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص82 ، / مجهول ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص224 . / ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، مصدر سابق ، ص126 .

10 - بشير عبد الرحمن ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص44 .

تخرج منها إلى بلاد السودان وإن كان فيها بعض المبالغة باثني عشرة ألف رحلة كل عام[1] ، هذه المؤهلات التي تزخر بها المدينة جعلتها محط اهتمام اليهود فسكنوها ومارسوا بها التجارة ، وذادوا عنها ضد أي خطر يحدق بها متضامنين مع أهلها خاصة ضد الخطر الشيعي الفاطمي[2] .

جـ)- المغرب الأقصى :

إن الحديث عن التواجد اليهودي في المغرب الأقصى ، يختلف عن حديثنا عنهم في المغربين الأدنى والأوسط ، لان التواجد اليهودي في المغرب الأقصى تميز بعدة مميزات ، منها أن اليهود كانوا بأعداد كبيرة ، و أن تواجدهم لم يقتصر على المدن والحواضر الكبرى للمغرب الأقصى فقط ، بل عاش أكثرهم متمركزين في الأقاليم الجنوبية في القرى وعلى قمم الجبال[3] ، وربما يرجع هذا العدد الكبير لليهود في هذا الإقليم من بلاد المغرب إلى تهويد بعض القبائل البربرية القاطنة به ، إذ يذكر بن خلدون أن عددا من هذه القبائل دان باليهودية وهي : " قندلاوة ، ومديونة ، وبهلولة ، وغياتة ، وبنوفازان " [4] ، كما أن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوربا وشبه الجزيرة الأيبيـ ـرية جعلهم يهاجرون إليه (المغرب الأقصى) لكونه أقرب جغرافيا إلى أوربا .

وقد عاش اليهود في مدينة سبته التي بناها الرومان[5] ، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس[6] ، وأكثر أموال أهلها من الزرع حنطة وشعير

---

1 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج07 ، مصدر سابق ، ص52 .

2 - أبو زكريا ، سير الأئمة وأخبارهم ، ص113 .

3 - عطا علي محمد شحاتة ريه ، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسـ ـيين ، دار الكلمـ ـة ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1999م ، ص65 .

4 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج06 ، مصدر سابق ، ص126 .

5 - الحسن الوزان ،وصف إفريقيا ،ج01 ، مصدر سابق ، ص316 .

6 - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج10 ، مصدر سابق ، ص182 .

وحبوب[1] ، وقد استقبلت المدينة اليهود الفارين من الاضطهاد القوطي في شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح الإسلامي وبقوا فيها لمدة جاوزت الثلاث قرون[2] .

أما فاس فهي مدينة عظيمة وقاعدة المغرب[3]، تقع على نقطة تقاطع بين محوريين كبيرين ، محور يمتد من الشمال إلى الجنوب بين البحر المتوسط وبلاد السودان، ومحور ثاني من الغرب إلى الشرق ، وهي مقسمة إلى عدوتين ، عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين[4] ، عرفت هي الأخرى استقرار لليهود قبل بناء المدينة على يد إدريس الثاني[5] (192هـ/193هـ) (807م/808م)[6] وقد أطلق عليها " فاس اليهود " لكونها أكثر بلاد المغرب يهودا ، يشغلون شارعا طويلا وعريضا جدا فيه دكاكينهم ومعابدهم[7] ، ويذكر محمود مقديش في كتابه نزهة الأنظار أن السلطان المريني عبد الحق الحق ابن السلطان أبي سعيد أوكل " لهارون اليهودي بتولي أمور المسلمين بفاس هو وجماعته فصاروا يحكمون في المسلمين بل ويهينونهم فتحدث الناس مع مزوار الشرفاء محمد بن علي بن عمران الإدريسي وقاموا على من بفاس من اليهود فقتلوهم وقتلوا

---

7 - أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص79 .

8 - بشير عبد الرحمن ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص49 .

3 - انظر : الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سابق ، ص424. القلقشندي ، صبح الأعشى فـي صناعة الإنشاء ، ج05 ، مصدر سابق ، ص154 . / البكري ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، مصدر سـابق ، ص115 .

4 - أنظر : الإدريسي ، مج01 ، مصدر سابق ، ص242 . / محمود مقديش ،ج1 ، مصدر سابق ، ص69 ./ ابن ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص89 .

5 - إدريس الثاني : هو إدريس بن إدريس ويلقب بإدريس الأزهر ، تمييزا له عن أبيه إدريس الأكبر(دخل المغـرب عام 170ه) ، هو الذي اختط أو أتم بناء مدينة فاس عام اثنين وتسعين ومائة ووسع منطقة نفوذه فشملت ما بين السوس الأقصى وواد الشلف بالمغرب الأوسط إلى أن توفي عام ثلاثة عشر ومائتين تاركا من الأولاد اثني عشر ذكرا . أنظر : محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، ج01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1417هـ/1996م ، ص184 . بهلولي سليمان، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسـط (173ه-342ه/789م-954م) ، تقديم غازي الشمري ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2011م ، ص205 .

6 - ذكر ابن زرع في بنائها : " وكان تأسيس إدريس لمدينة فآس على ذكره المؤرخون الذين عنوا بتاريخها وبحثـوا عن إهداء أمرها في يوم الخميس غرة ربيع الأول المبارك سنة اثنتين وتسعين ومائة للهجرة أسس عدوة الأنـدلس ... وبعدها بسنة أسس عدوة القرويين وذلك في غرة ربيع الأخر من سنة ثلاث وتسعين ومائة " أنظر : ابـن أبـي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فآس ، مصدر سابق ، ص19 .

5 - الحسن الوزان ،وصف إفريقيا ،ج01 ، مصدر سابق ، ص284 .

السلطان عبد الحق واليهودي هارون حبرا "[1] ، وهذا ما يدل على كثرة اليهود بالمدينة وحجم معاناة سكانها المسلمين ، حتى قيل فيها " فاس بلد بلا ناس "[2]، وقد ازداد عددهم وتكاثر حتى أنه لم يعد بالإمكان معرفة عددهم[3] ، ودخلوا في صراع وتنافس مع سكان المدينة ، ما دفع بأبي يوسف المريني أن يقوم في سنة 677م بإنزال اليهود بالملاح حول فاس الجديد ، وأخرجهم من فاس الإدريسية بعد نهب أمتعتهم وقتل منهم عدد كثير[4] .

كما عاش اليهود في مدينة تادلا التي تقع بين نهر العبيد ونهر أم الربيع عند منبعه[5]، ورغم أن المدينة صغيرة المساحة إلا أن تواجد اليهود بها كان بكثرة ، ففيها قرابة مائتي بيت لليهود كلهم تجار أو صناع[6]، أما في مدينة أفزا وهي إحدى مدن إقليم تادلا فيسكنها عدد كثير من المسلمين واليهود[7]. وفي مدينة آيت عتاب عاش اليهود بها وكان لهم دور في موت قائدها بعدما تعرض للسم من يهودي بإيعاز من الملك " فاس محمد الوطاسي " (863هـ/875هـ) (1458م/1470م)[8] ، وكذلك بآيت عياض حيث تواجد اليهود الذين أشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم بالصناعة[9] ، وقد حوى إقليم تادلا شتات اليهود من قبيلة جراوة بعد هزيمتهم على يد حسان بن النعمان[10] أحد الفاتحين المسلمين لبلاد المغرب[1] .

---

6 - محمود مقديش ،ج1 ، مصدر سابق ، ص531.

7 - البكري ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص115 .

1 - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ،ج01 ، مصدر سابق ، ص284 .

2 - أنظر : محمد المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية ، ص26 .

3 - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج01 ، مصدر سابق ، ص176 .

4 - الحسن الوزان ، نفسه ، ص176 .

5 - الحسن الوزان ، نفسه ، ص183 .

6 - الحسن الوزان ، نفسه ، ص184 .

7 - الحسن الوزان ، ص185 .

10- حسان بن النعمان : أحد الفاتحين المسلمين لبلاد المغرب ، دخل المغرب سنة 74هـ/693م على رأس جيش كبير لم يدخل من قبل المغرب جيش مثله ، وازداد عدده إلى الأربعين ألف مقاتل بعد أن انضم إليه المسلمين من البربـر ، عاد حسان إلى المشرق سنة 86هـ/705م وطلب الاستعفاء من الخليفة فعفاه . أنظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج04 ، مصدر سابق ، ص369 . ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج01 . السلاوي الاستقصا في أخبار دول المغرب الاقصا ، ج01 ، ص92 . / الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ص55 ص56 . محمد بن محمـد

أما إقليم سجلماسة[2] الواقع على الحدود الجنوبية للمغرب الأقصى والذي يطل على الصحراء الكبرى ومنها إلى بلاد السودان[3] ، وأهله أغنى الناس وأكثرهم مالا بسبب تجارتهم مع بلاد السودان ، بالإضافة إلى تواجده على طريق تجارة الذهب[4] ، جعله منطقة جذب لليهود الذين تواجدوا فيه بأعداد كبيرة مشتغلين بالصناعة والتجارة[5] ، وكان تمركزهم بشكل خاص في بعض مدنه مثل " تبعصامت " وهي على بعد نحو خمسين كيلومتر (50كلم) من سجلماسة ، ومدينة المأمون وهي حصن كثير السكان خصوصا منهم التجار اليهود والمسلمين[6] .

وإما مدينة درعة الواقعة في جهة سجلماسة وهي مدينة عامرة آهلة و بها أسواق حافلة كثيرة ومتاجر رائجة[7] ، وهي تمثل قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة[8] ، عرفت كذلك تواجد لليهود بها ، يعملون كصائغين في طرف الإقليم المقابل لموريطانيا (موريتانيا) على الطريق الرابطة بين تمبكتو[9] و فاس[1] وهذا بسبب حرصهم

مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (التتمة) ، مصدر سابق ، ص107 . / نهلة شهاب الدين ، تـاريخ المغرب العربي ، دار الفكر ، المملكة الأردنية ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1430هـ/2010م ، ص72 ص77 .

9 - أبو الفدا ، تقويم البلدان ، مصدر سابق ، ص135 .

1 - سجلماسة : للاطلاع أكثر أنظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص198 . دائرة المعارف الإسلامية ، ج11 ، ص298 .

3 - أنظر : ياقوت الحموي ، ج10 ، مصدر سابق ، ص192 . / البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص148 . عطا محمد شحاتة أبوريه ، اليهود في المغرب ، ص77 .

3 - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، مصدر سابق ، ص127 . / ياقوت الحموي ، ج10 ، مصدر سـابق ، ص192 .

4 - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، مصدر سابق ، ص125 .

5 - الحسن الوزان ، نفسه ، ص126 .

7- الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سابق ، ص235 . يـاقوت الحمـوي ، ج02 ، مصـدر سابق، ص451 .

7 - الإدريسي ، مج01 ، مصدر سابق ، ص227 .

9 - تمبكتو : اسم مدينة بناها ملك يدعى " منسا سليمان " عام 610هـ على بعد نحو اثنتي عشر ميلا من أحد فـروع النيجر . الحسن الوزان ، ج02 نفسه ، ص165 . عبد الرحمن السعدي ، تاريخ السودان ، ترجمة هوداس ، باريس ، 1964 ، ص20 . وذكر حسن إبراهيم حسن في تأسيسها سنة 1100م على ضفة نهر النيجر . أنظر : حسن إبـراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، 1963م ، ص218 . كما يمكن معرفتها حاليا من خلال الرحلة التي قام بها رضى داود بريكسي المعاصرة . أنظر :

على التواجد بالقرب من مناطق إنتاج الذهب واتصالهم ببلاد السودان[2] ، وفي قصر بني صبيح[3] وهي بلدة من إقليم درعة استوطنتها أعدادا من اليهود .

واستقر اليهود في مدن أخرى جنوب المغرب الأقصى مثل مدينة أغمات إيلان وهي إحدى مدن إقليم أغمات المتكون من مدينتين هما أغمات وريكة[4] و أغمات إيلان[5] ؛ وهذه الأخيرة مدينة صغيرة في أسفل جبل درن وهي في الشرق من أغمات وريكة[6] " وأهلها تجار مياسير يدخلون بلاد السودان بقناطير الأموال من النحاس الملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب الآفاويه[7] والعصر وآلات الحديد المصنوع "[8] ، ويشير الإدريسي على أن المدينة سكنها اليهود لحسنها وخصوبتها ووفرة نعمها[9].

أما مراكش فتعد من كبريات عواصم العالم واشرف مدن إفريقيا بناها يوسف بن تاشفين[10] (454هـ) بعدما اشترى أرضها من أهل أغمات[1] ، وذكر الإدريسي أن

Réda Daoud brixi , un algérien a Tombouctou (récit de voyage 2004-2005) , Alger – livres éditions , Alger , 2009.

9 - الحسن الوزان ، ج02 ، مصدر سابق ، ص119 .

1 - إبن خردانبة ، المسالك والممالك ، مصدر سابق ، ص88 . اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق ، ص359 .

2 - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، مصدر سابق ، ص119 .

4 - أغمات وريكة : أسفل جبل درن من جهة الشمال ، كثيرة الأعشاب والنبات والمياه . الإدريسي ، مج01 ، مصدر سابق ، ص231 .

4 - البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص153 .

5 - الإدريسي ، مج01 ، ص235 . محمود مقديش ، ج01 ، مرجع سابق ، ص62 .

7- الافاويه : جمع أفواه ، والأفواه جمع فوه ، والفوه هو النور وضروبه . أنظر : المعلم بطرس البسـتاني ، محـيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة 1987م ، لفظ (فوه) ، ص707 .

7 - الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سابق ، ص46 .

8 - الإدريسي ، مج01 ، ص235 .

10 - يوسف بن تاشفين : كان رجلا شجاعا عادلا مقداما ، أختط مدينة مراكش بالمغرب سنة 454هـــ، واسـتغرق بناؤها خمس سنوات في حدود سنة 459 ه وهو أول من تسمى بأمير المسلمين ، ولم يزل على حاله وعزة وسلطانه إلى أن توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من محرم سنة 500هـ/1106م ، وعاش تسعين سنة ، ملك منها مدة خمسين سنة . أنظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج10 ، مصدر سابق ، ص417 . / ابن خلكان ، وفيات الأعيـان ، ج06 ؛ ص111 ص138 . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م ، ج02 ؛ ص703 .

اليهود لم يكونوا يسكنون المدينة وإنما كانوا يأتون إليها في النهار ثم يخرجون منها في المساء وهذا بأمر أميرها على بن يوسف. " وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف ، ولا تدخلها إلا نهارا وتنصرف عنها عشية، وليس دخولهم في النهار إليها إلا لأمور له، وخدم تختص به، ومتى عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه ، فكانوا ينافرون المبيت فيها حياطة على أموالهم وأنفسهم "[2] ، مفضلين بذلك التوجه إلى أغمات نظرا لقربها من مراكش (تبعد عنها مسافة 38.5كلم) ، لكن بعد تدمير مدينة أغمات من طرف المرينيين عاد اليهود إليها[3] ، وهذا ما أشار إليه "مارمول كربخال" على أن المدينة كان يوجد بها حي خاص باليهود ويضم أكثر من ثلاثة آلاف منزل به ديارا وبيعا ومعابد مفصولين عن المسلمين [4] .

3- أوضـ ـاعهم العـ ـامة في شمال إفريقيا :

3-1. في العهد الفينيقي القرطاجي :[5]

من المتفق عليه لدى اغلب الباحثين على أن هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا كان منذ العهد الفينيقي ، إلا أنهم يجمعون على قلة الشواهد التاريخية التي تدل على هذه الهجرة ، جاعلين الازدهار التجاري الذي عرفته المدن الفينيقية المقامة على سواحل شمال إفريقيا ، عامل جذب لكل من لديه اهتمام بالتجارة ، وهي المهنة التي عرف بها اليهود منذ القديم ، هذا ما دفع بعض المؤرخين إلى اعتبار الوجود الحقيقي لليهود في

---

10 - الإدريسي ، مج01 ، ص235 . / الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج01 ، مصدر سابق ، ص126 .

1 - محمود مقديش ،ج1 ، مصدر سابق ، ص62 .

2 - الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج01 ، ص135 ص136 .

3 - مارمول كربخال ، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة ، الرباط ، 1409هـ ـ/1989م ، ج2 ؛ ص55 .

5 - أسس الفينيقيون محطات تجارية يلتقي فيها السكان المحليون بالفينيقيون بقصد التبادل التجاري على سواحل منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ليتم اختيارها أماكن تصلح لبناء المدن خاصة على شواطئ بلاد المغـ ـرب . أنظر ، محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992م ، ص66 .

شمال إفريقيا لا يتعدى المرحلة الرومانية[1] ، وبالتالي يصعب علينا معرفة أحوالهم في هذا العهد ، فلا وجود لمعلومات دقيقة تسمح لنا بأخذ فكرة واضحة عنهم ، وما وصل قليل جدا لا يمكنه إبراز حقائق واضحة ومطلقة[2] ، كاستخدامهم من طرف بطليموس الذي كان واليا على مصر من قبل أسرة الاسكندر للتدخل في شؤون قورنيا ، كما أن سياسة اللين والتسامح التي أتبعها البطالسة تجاه اليهود أوجد لهم مكانا أمنا وبيئة صالحة للاستقرار مكنتهم من أن يصبحوا عنصرا هاما من عناصر السكان له دوره وإسهاماته في مختلف مجالات الحياة آنذاك[3] ، لكن الذي يمكن الإشارة إليه هو أن اليهود في بلاد المغرب قد تمسكوا بديانتهم اليهودية الديانة السماوية الوحيدة آنذاك ، كما تأثر بعضهم بالديانة المحلية التي وضعها الفينيقيون فعبدوا الإله "بعل" الذي يمثل للفينيقيين اله الجبال والمطر والعواصف والجو[4] ، وهنا يتضح لنا مدى التأثير الفينيقي في حياة اليهود خاصة الدينية منها .

3-2. في العهد الروماني :[5]

بعد سقوط قرطاجة سنة 146ق،م بين أيدي الرومان ، والذي كان بمثابة إنذار بمصير مشابه بالنسبة لباقي المماليك المغرب[6]، وبعد أن ألحق ما تبقى من بلاد المغرب بالإدارة الرومانية ، قاموا بفرض نظام إداري على السكان وأطلقوا على الخارجين عن

---

5 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، مرجع سابق ، ص25 .

2 - مسعود كواتي ، اليهود في بلاد المغرب الإسلامي ، دار هومه ، الجزائر ، 2000م ، ص17 .

2 - مصطفى أمحمد الشعباني ، يهود ليبيا ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، الطبعة الأولى ، 2006م ، ص85.

3 - أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص45.

5 - استمر الاحتلال الروماني لبلاد المغرب خمسة قرون تقريبا من 46ق.م إلى 429م . أنظر : محمد البشير شنيتي ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب – سياسة الرومنة 146ق.م – 40م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م ، ص45 / عبد القادر جغلول ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط ، ترجمة فضيلة الحكيم ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1982م ، ص15 .

6 - محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني- بحث فـي منظومـة الـتحكم العسـكري (اللـيمس الموريطاني) ومقاومة المور ، ديوان المطبعات الجامعية ، الجزائر ، 1999م ، ص41 .

هذا النظام الثوار أو العصاة أو المتمردين أو البرابرة [1] ، ولم يسلم من هذه النظم الإدارية اليهود ، حيث وضع لهم مجلس يتكون من تسعة (09) أعضاء[2] يتم اختيارهم من طرف اليهود المقيمين في المقاطعة التي يسهر على تسيير شؤونها ، ولم تقتصر مهام المجلس على الصلاحيات الإدارية والدينية بل جاوزه إلى القضايا الاجتماعية كتقديم المساعدات للمحتاجين والموافقة على بناء البيع والمدارس والاهتمام بالمكتبات وتعيين المتصرفين الإداريين[3] .

ويلاحظ أن هذا المجلس سيطر عليه أصحاب الثروة والجاه من اليهود لتقربهم من الرومان ، حيث ميزوهم عن باقي اليهود بلقب " اتنارك " (ethnarque) [4] ، ويبدو أن حياة اليهود في العهد الروماني تحسنت كثيرا نتيجة توفر الأمن الذي سمح لهم بالتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وأصبحوا يمتلكون الثروة بفضل نشاطاتهم التجارية التي مارسوها بكل حرية ، لكن هذا لم يخل من الصراع والمواجهة بين اليهود ورما ، والذي اتضحت معالمه مباشرة بعد انتهاء حملة تيتوس (titus) سنة 70م ، وأصبحت منطقة برقة مركزا لثورات اليهود ضد الحكم الروماني تضامنا مع اخونهم بفلسطين[5] ، مما دفع بالسلطات الرومانية إلى مواجهتها والتصدي لها بكل قوة وعنف ، أدى بسكانها اليهود إلى للهجرة إلى جوف الصحراء الليبية هربا من الاضطهاد بعد ما قتل منهم الكثير[6].

إذن فحضور اليهود في العهد الروماني كان بارزا في مختلف الميادين ، خاصة الاقتصادية والتجارية ، بل تعداها إلى ميادين أخرى حسب بعض الكتاب الرومانيين الذين عاشوا ما بين القرن الثالث والقرن الخامس الميلاديين ، حيث عكست

---

1 - محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، نفسه ص14 .

2 - ذكر مسعود كواتي بأن عدد أعضاء هذا المجلس تسعة ، بينما ذكر عطا أبو ريه مثال عن ذلك في مدينة بنغـازي بأن عدد أعضاء مجلسها عشرة ، أنظر : مسعود كواتي ، ص22 / عطا أبو ريه ، ص29 .

3 - مسعود كواتي ، نفسه ، ص22

4 - أنظر : كمال بن صحراوي ، ص24 / وذكر عطا أبو ريه ، ص29 أن اسم هذا اللقب هو " أراخته " ، وكلاهمـا يعرفانه على أنه كلمة يونانية تعني الرئيس أو الحاكم ، وهو نفسه الذي كان يمـنح لـرئيس الجماعـة اليهوديـة فـي الإسكندرية .

5 - عطا أبو ريه ، مرجع سابق ، ص29 .

6 - أورسيوس ، تاريخ العالم ، ص424 ، نقلا عن عطا أبو ريه ، مرجع سابق ، ص29 .

مؤلفاتهم الدور الذي لعبه اليهود في الحياة العامة في شمال إفريقيا ، والتخوف الشديد على الديانة المسيحية الحديثة العهد من التآمر اليهودي عليها ، خاصة بعدما تبناها الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول (الأكبر) ، كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية ، (274م – 337م) .

3-3. في العهد الوندالي :[1]

يعتبر الوندال أعداء المسيحيين الكاثوليك[2] ، والمحتلين الجدد لشمال إفريقيا وعلى يهود بلاد المغرب الذين دخلوا في صراع ديني مع الإمبراطورية الرومانية المسيحية ، فقد تمتع اليهود في عهدهم بنوع من الحرية التامة[3] ، ولم يجد الغزاة الجدد لشمال إفريقيا مقاومة تذكر من طرف اليهود ، فحاربوا المسيحية أكثر مما حاربوا اليهودية[4] ، لذا عرفت هذه الفترة تسامح وتقارب كبير بين اليهود و الوندال وهو ما شجعهم على ازدهار تجارتهم .

3-4. في العهد البيزنطي[5]:

حمل البيزنطيون على عاتقهم استرجاع مجد الإمبراطورية الرومانية كما كانت في سيرتها الأولى ، مستعملين كل الوسائل لتحقيق حلمهم ، كالعمل على استرجاع منطقة المغرب[6] إلى الإمبراطورية الرومانية والحظيرة الكاثوليكية[1]، وهو ما تم سنة 533م ،

---

1 - انتقل الوندال من إسبانيا إلى إفريقيا في شهر ماي 429م ، حسب اتفاقية هيبون في سنة 435م يدخل الوندال في خدمة الإمبراطور بصفتهم أعضاء في إتحاد فيدرالي وعليهم أن يدفعوا ضريبة خفيفة . أنظر : محفوظ قداش ، الجزائر في العصور القديمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1993م ، ص234 .

2 - كمال بن صحراوي ، مرجع سابق ، ص24 .

3 - أنظر كل من : مسعود كواتي ، مرجع سابق ، ص37 . كمال بن صحراوي ، مرجع سابق ، ص24 .

4 - عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج01 ، ص95 .

5 - أنظر : محفوظ قداش ، الجزائر في العصور القديمة ، مرجع سابق ، ص249 .

6 - جهز الإمبراطور البيزنطي " جيستنتان " جيشا بقيادة " بلزاريوس " الذي اسـتطاع أن ينتصـر علـى الجيـوش الوندالية في معركتين حاسمتين قرب قرطاجة ، وبذلك عادت منطقة المغرب إلى الإمبراطورية الرومانية .أنظر : عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م ، ج02 ، ص30 / إبراهيم حركـات ، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1405هـ/1985م ، ج01 ، ص65 .

وكذا إعادة هيبة الكنيسة الكاثوليكية وذلك بمحاربة بقية العقائد الدينية ولعل في مقدمتها اليهودية ، حيث أجبر اليهود على اعتناق المسيحية بالقوة وحولوا معابدهم إلى كنائس[2] ; وهذا ما دفعهم إلى الاحتماء لدى القبائل البربرية في بلاد المغرب التي رحبت بهم واستضافتهم في الجبال و الأقاليم الصحراوية[3]. هذا الاضطهاد البيزنطي لليهود جعلهم يتخلون عن مبدأ الانغلاق ويعملون على نشر ديانتهم بين القبائل البربرية ، لتعزيز مكانتهم السياسية والاجتماعية في المنطقة قبل وصول تيار التبشير المسيحي الذي دخل في منافسة مع عملية التهويد[4].

3-5. إشكالية تهويد القبائل البربرية:

إن الحديث عن العلاقات اليهودية- البربرية يحتم علينا ضرورة الإشارة إلى تحول بعض القبائل البربرية الوثنية لليهودية ، إذ أخذت هذه العملية من الاهتمامات والتأويلات ما يزيد عن حجمها ، ولا نعرف كيف تم هذا التحول سواءا كان تبشيرا يهوديا بين القبائل أم دعوة مباشرة؟ أو انتشار غير مباشر للديانة اليهودية بين هذه القبائل ؟ ، ولا تتوفر لدينا إحصائيات دقيقة حول عدد الأفراد والجماعات التي تهودت ، بل جلهم ينطلقون مما ذكره ابن خلدون في تاريخه حول هذه العملية إذ يقول " ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهود أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه منهم ، كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح ، كما كانت نفوسة من برابرة افريقية ، و فندلاوة و مديونة و بهلولة و غياتة و بنوفازان من برابرة المغرب الأقصى "[5] ، لكن ابن خلدون نفسه يقول في معرض أخر : " كان منهم من تهود ومن تنصر وآخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والأصنام "[6] ، ثم يضيف " وكان دينهم دين

1 - فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، تعريب محمد مصطفى زيادة والسيد ألبـاز العرينـي ، دار المعـارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة السادسة ، 1976م ، ص48 .

2 - كمال بن صحراوي ، مرجع سابق ، ص25 .

3 - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، مرجع سابق ، ص38 / كمال بن صحراوي ، ص25 / عطا أبو ريه ، مرجـع سابق ، ص30 .

4 - أحمد سوسة ، المفصل في تاريخ العرب واليهود ، مرجع سابق ، ص627 .

5 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص126 .

6 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص126 .

المجوسية شانهم الأعاجم بالمشرق والمغرب إلا في بعض الأحايين يدينون بدين من غاب من الأمم ، فان الأمم أهل الدول العظمى "[1] ويضيف" ولا ينالهم الروم والإفرنج في ضواحيهم ... وعنهم كلهم اخذوا دين النصرانية "[2]. وعند استقراء هذه النصوص لابن خلدون نرى أن عملية التهويد ليست بالضخامة التي يقول بها الكتاب اليهود، ففي النص الأول نراه يجيب على أصحاب هذا الادعاء عندما يذكر كلمة (ربما) والتي تعني الاحتمال وليس اليقين وكلمة (بعض) التي تعني القلة وليس الكثرة[3] ، أي حتى وإن تحولت هذه القبائل إلى الديانة اليهودية ، فالأمر لا ينطبق على جميع أفرادها بل على البعض منهم ، أما في النصوص الأخرى فان ابن خلدون تعرض لديانة البربر قبل الإسلام فعرفوا الديانة اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية أي ديانة من غاب عليهم من الأمم العظمى مثل الروم ، وكما يذكر في مقدمته : " في أن المغلوب مولعا وأبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده "[4] ، فلربما دان البربر بالديانة اليهودية لإتقان اليهود فن التجارة ، والذي نتج عنه ازدهار المناطق البربرية التي استوطنوا فيها ، وهو ما جلب إعجاب البربر بهم فرحبوا بهم واستضافوهم كما أسلفنا الذكر ، يضاف إلى ذلك أن أفكار الديانة اليهودية مست جميع نواحي الحياة عكس الوثنية البربرية ذات الفكر المحدود .

3-6. وضعية اليهود في بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي :

بعد دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا بداية من (22هـ/642م) سوف يجد اليهود أنفسهم في وضع يختلف عن ما ألفوه من قبل ، هذا الوضع فرضه الدين الجديد المتمثل في الإسلام والذي جاء ليكون بديل عن الديانات السماوية الأخرى (اليهودية ، المسيحية) ، قال تعالى : إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ [5] وقال أيضا : لا إِكْرَاهَ فِي

1 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج06 ، ص125 .

2 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج06 ، ص125 ص126 .

3 - عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص61 .

4 - ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ، 1424هـ/2003م ، ص116 .

5 - سورة آل عمران ، الآية رقم 19 .

الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ [1] . والمجتمعات الإسلامية لم تعرف تجانسا من حيث الديانة والملة ، بل وجد في الدولة الإسلامية غير المسلمين من أهل الأديان الأخرى[2] ؛ يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين ، إذن كيف ستكون معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية أو بالأحرى الإسلام ؟ وما هو الإطار القانوني الذي شرعه الله لغير المسلمين حتى يكونوا محل ترحيب في المجتمعات الإسلامية ؟ .

أ) تعريف أهل الذمة :

التعريف الاصطلاحي :

الذمة بالكسر العهد والأمان والكفالة ; ورجل ذمي أي له عهد ، والذمة جمعها ذمام ، يقال فلان له ذمة ، أي له حق ، والذمام أو الذمامة هي الحرمة . قال الشاعر :

قَلاَ تَنشُدونَا من أَخيكم ذمامةً ويسلم أصداء العوير كفيلها[3]

التعريف الفقهي :

الذمة عند الفقهاء هي معنى يصير به الإنسان أهلا لوجوب الحق له أو عليه ، وفي الحديث : « من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله فَأَنْظُر يا ابن آدم لا يطلُبنّك الله بشئ من ذمته »[4] .

ومما نتج عن انتشار الإسلام وتوسعه ظهور طوائف أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس[1] ممن لم يدخلوا في الإسلام[2] ، وقد ارتبط هؤلاء مع الدولة

---

6 - سورة البقرة ، الآية رقم 256.

2 - يصنف غير المسلمين في البلاد الإسلامية إلى صنفين : أما أهل عهد وأما أهل حرب ، وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة وأهل هدنة وأهل أمان .أنظر : حسن الممي ، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ، دار الغرب الإسـلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1998م ، ص27 .

3 - أنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج12 ، ص221 / الفيروز آبادي ، القاموس المحـيط ، دار أحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنـان ، الطبعـة الأولـى ، 1417هـ ـ/1997م ، ج02 ; ص1463 / المعلم بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مصدر سابق ، ص311 .

4 - مجموعة من المستشرقين ، المعجم المفهرس ، ترجمة أحمد الطيـب ، دار الـدعوة بأسـتانبول ، 1988 ودار سحنون بتونس 1988 ، ج02 ، ص185 .

الإسلامية بعقد تضمن الأمان على الأرواح والأموال في دار الإسلام والبقاء على دينهم مقابل دفع الجزية، وقد اتفق الفقهاء على مشروعية " عقد الذمة " للنص عليه في القرآن والسنة وإجماع المسلمين .

ففي القرآن قال تعالى: قَاتِلُواْ الذين لاَ يُؤْمِنُون بِاللّه ولاَ بِالْيوم الآخِرِ ولاَ يحرمون ما حرم اللّه ورسولُه ولاَ يدينُون دين الْحق من الذين أُوتُواْ الْكتَاب حتى يعطُواْ الْجِزيةَ عن يد وهم صاغرون [3] ، فمنذ لحظة نزول هذه الآية الكريمة بعد فتح مكة ، حددت نهاية القتال بإعطاء الجزية .

ومن الأحاديث التي دلت على مشروعية عقد الذمة كثيرة ، تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من غير المسلمين ، منها الحديث الذي رواه عمرو بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي[4] وكانوا مجوسا .

---

1 - المجوس : كان أول ملوكهم " كومرث " فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بهـا زرادشـت ، وكانوا يقولون أن الله – تعالى عن ذلك – شخص روحاني ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة ، وكان من ما سنه زرادشت عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم . أنظر : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، عنى به هيثم جمعة هلال ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1425هـ/2004م ، ص85 ص86 . / ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ج04 ، ص178 .

2 - ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415هـ/1995م ، ج01 ، ص24 .

2 - سورة التوبة الآية : رقم 29 .

4 - العلاء بن الحضرمي : (21هـ/642م) ، من رجال الفتوح في صدر الإسلام ، أصله من حضر مـوت ، ولاه الرسول صلى الله عليه آله وسلم البحرين سنة 8هـ ، وجعل له جباية الصدقة ، أقره أبو بكر ثم عمر ووجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق ، وقيل مات في البحرين . خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مطبعة كوستاتسوماس ، الطبعـة الثانية ، 1373هـ/1954م ، ج05 ، ص45 .

ب) تعريف الجـ ـزية :

عرف ابن القيم الجوزية، الجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا وصغارا[1] ، أما الماوردي فيعرفها مع الخراج على أنهما حقان أوصل الله سبحانه وتعالى المسلمين إليهما من المشركين[2] .

إذن فالجزية هي ضريبة على رقاب أهل الذمة تجب عليهم مرة واحدة في السنة، وتتمثل في مقدار زهيد من المال اختلاف الفقهاء في تحديده ، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما، وأوساط : يؤخذ منهم أربعة وعشرون ذرهما، وفقراء : يؤخذ منهم اثنا عشر درهما ، ومنع من اجتهاد الولاة فيها . بينما أوكلها الإمام مالك إلى اجتهاد الولاة . وذهب الإمام الشافعي إلى أنها مقدرة الأقل بدينار، لا يجوز الاقتصار على أقل منه، وعنده غير مقدرة الأكثر، يرجع فيه إلى اجتهاد الولاة ، وهي لا تجب إلا على الرجال الأحرار العقلاء[3].

والجزية مشتقة من الجزاء ، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا ، وإما جزاءا على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا[4] ، وقد وجهت الكثير من الانتقادات من طرف الكتاب الأوربيون واليهود على حد سواء للدولة الإسلامية لفرضها الجزية على غير المسلمين ، وخلطوا بين الجزية و الإتاوات والخراج واعتبروهم من الشروط المجحفة في

---

1 - ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، مصدر سابق ، ج01 ، ص34 .

2 - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، والولايات الدينية ، تحقيق سمير مصطفى رباب ، المكتبة العصـرية ، صـيدا- بيروت ، الطبعة الأولى ، 1421ه/2000م ، ص163 .

3 - " .. لا تجب على النساء والصبيان ولا تؤخذ من المسكين ، ولا من أعمى لا حرفة ولا عمل ولا ذمـي يتصـدق عليه ولا من مقعد ، وأهل الصوامع ، ولا من مسلم إلا أن يكون أسلم قبل خروج السنة ، وإن مات ذمي قبل أن تؤخـذ منه لم يؤخذ بذلك ورثته ، وإن أسلم وقد بقي عليه شيء من جزية رأسه لم يؤخذ بذلك ، ولا تؤخذ من الشـيخ الكبيـر الذي لا يستطيع العمل ، ولا شيء له ، وكذلك المغلوب على عقله . أنظر: أبو يوسف ، كتاب الخـراج ، بتصـرف ، مصدر سابق، ص122 ص123 . الماوردي ، مصدر سابق، ص165 .

4 - الماوردي ، ص163 .

حقهم بل أرجعوا سقوط الدولة العربية (الإسلامية) نتيجة لفرض هذه الضرائب على غير المسلمين ويرون في أن دخول الإسلام يعفي صاحبه من جميع الضرائب على الإطلاق وتعفى الأرض التي يملكها غير المسلم من الضرائب إذا تحول المالك إلى الإسلام ، أو إذا باعها إلى مسلم . ترتب عنه أن نشأ دافع اقتصادي قوي لدخول الإسلام تهربا من هذه الالتزامات تجاه السلطة الإسلامية[1] ، بدل الوقوف على ما جاء فيه من تعاليم .

لكن لو نتأمل في أصل وضع الجزية لوجدناها كما سبق أنها وضعت صغارا وإذلالا للكفار القادرين على دفعها من الرجال ، ثمن زهيد قدر عند المالكية مثلا بأربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق[2] ، ولو كان الأصل فيها جمع المال لأوجبت على جميع أهل الذمة دون استثناء ، كما ورد النهي حتى عن التشديد فيها على أهل الذمة ، والحث والرفق واللطف بهم في كل حال وأن لا يكلفوا ما لا يطيقون[3] وكما جاء في " كتاب الخراج " لأبو يوسف أن عمر رضي الله عنه أمر" أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم "[4] .

ومن سماحة الإسلام أن الذمي مهما ارتكب من كبيرة لا ينقض بذلك عقده ولا ينقض عقده كبائر الأفعال كالامتناع من الجزية وقتل المسلم وسب النبي صلى الله عليه وسلم والزنا بالمسلمة كل هذه الأفعال يعاقب عليها الذمي في القانون كأحد من الجناة[5] . وثبت للذمي على الذمي ، كالمسلم على المسلم عند جميع فقهاء الإسلام[6] .

1 - دانييل دنييت ، الجزية والإسلام ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله ، مراجعة إحسان عبـاس ، دار مكتبـة الحيـاة ، بيروت، ص30 .

2 - ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، مصدر سابق ، ج01 ، ص36 .

3 - المودودي أبو الأعلى ، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، دار الفكر ، ص22.

4 - أبو يوسف ، كتاب الخراج ، مصدر سابق ، ص125 .

5 - المودودي أبو الأعلى ، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص17 .

6 - ابن قدامه ، المغنى ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو ، دار عالم الكتاب ، الرياض الرياض ، الطبعة الرابعة ، 1419هـ/1999م ، ج07 ، ص525 .

وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بيهودي ويهودية قد زنيا ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال " ما تجدون في التوراة على من زنى " قالوا نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما و يطاف بهما ، قال: " فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين " ، فجاؤا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم ، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال له عبد الله بن سلام وهو مع الرسول صلى الله عليه وسلم : " مره فليرفع يده " فرفعها فإذا تحتها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجما[1] . و أراد الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا أن يلزمهم بما يعتقدون به .

وجملة القول أن الجزية على الذمي كالزكاة على المسلم وليس هذا أن الذمي في معنى المسلم[2]، فكلاهما ملزمان بدفعها بعد حولان الحول . يدفعان إلى بيت مال المسلمين ليستفيد منه من هم في حاجة إليه.

جـ) وضعية اليهود في بلاد المغرب الإسلامي:

يجمع أغلب الذين كتبوا عن اليهود خاصة من المسلمين أن اليهود نعموا في ظل دولة الإسلام بالأمن والسلام وسياسة العدل والتسامح التي جرى عليها حكام الدول الإسلامية في العصور الوسطى ، تماشيا مع ما جاء في الشريعة الإسلامية الغراء ، وضع لم يعرفوه في أي دولة من بلدان العالم . وإذا ما استثنينا عقد الذمة والمتمثل في دفع الجزية فإنهم كانوا يعتبرون كسائر الأفراد لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، فلا فرق بينهم وبين المواطن المسلم .

1 - الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ودار الكتاب المصري ، القاهرة ، باب رجـم اليهـود أهل الذمة في الزنى ، الرقم 1699 ، ج03 ، ص1326 .

2 - ابن قدامه ، المغنى ، مصدر سابق ، ج07 ، ص525 .

وفي بلاد المغرب الإسلامي تمتعوا بحياة حرة ومزدهرة نتيجة الأوضاع التي وجدوها ، ففتحت أمامهم الأبواب في شتى الميادين الاقتصادية والتجارية والاجتماعية وحتى السياسية ، لكن ما أن يتمكنوا ويسيطروا حتى يظهرون الانحراف عن طريق الغش واستعمال الحيل ، فحسب ما تمليه عليهم تعاليم التلمود بأن " حياة غير اليهودي ملك لليهود فكيف بأمواله "[1]، لذا تعرضوا إلى عملية اضطهاد من المجتمعات التي عاشوا فيها فسادا ، مثل ما حدث لهم في أوروبا العصور الوسطى إذ نجد توتر قائم في العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية ويهودها ، إذ كانت تنظر باحتقار شديد وعداء متأصل إلى كل من يمت بصلة إلى التجارة والمال والربا ، لأن هذا النوع من النشاط في نظرها قائم على السرقة والغش ، فنظرت باحتقار إلى اليهود وثرواتهم وأعمالهم واعتبرتهم ملعونين من قبل الله لعنة أبدية[2] .

وفي الجهة الغربية من أوروبا وبالتحديد في اسبانيا استفادت الطبقة الإقطاعية الحاكمة أيام فرديناند وإيزابيلا من طرد اليهود ، بتخليصها من منافسين غير مرغوب فيهم ومرتبطون بالأعمال المالية الربوية المكروهة ، فقد اتجه قطاع منهم (اليهود) نحو التمركز في ميدان الربا وأخذ رأسمالهم يفقد طابعه التجاري وأصبح رأسمالاً ربوياً خالصاً مما عرضهم لأسوء أنواع الاضطهاد والمذابح الدموية من كافة الجهات ، وحسب تعبير " كارل ماركس " فإن الرأسمال الربوي اليهودي لعب دوراً ثورياً في هذه المرحلة[3].

1 - عبد الله التل ، خطر اليهود العالمية على الإسلام والمسيحية ، المؤسسة الوطنية للكتــاب ، الجزائــر ، 1989م ، ص74 .

2- صادق العظم ، الصهيونية والصراع الطبقي ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1975 م ، ص 19.

3- صادق العظم ، نفسه ، ص 34 .

وقد برع يهود بلاد المغرب في التجارة ووجد منهم الأثرياء لاسيما في المدن التي تواجدوا فيها بكثرة ، مثل مدينة فاس[1] نظرا لما تتمتع به هذه المدينة من موقع جغرافي هام على طريق التجارة المؤدية إلى بلاد الذهب[2]. واتبع الأدارسة سياسة تقوم على اللين وترك لليهود الحرية في ممارسة شعائرهم وكانوا على مقربة من بلاط القصر ليتمكنوا من حمايتهم في حال حدوث اضطرابات أو قلاقل بينهم وبين المسلمين[3] ، ومنذ سنة 736هـ / 1335م أخذ يظهر الفساد في نقود مغشوشة ضربت من طرف اليهود وقد لقيت هذه الظاهرة مقاومة شديدة من طرف الحكام في بلاد المغرب[4] .

وفي تلمسان ذكر صاحب " باقة السلوان " أن الطائفة اليهودية عاشت في المدينة في إطار التسامح الإسلامي يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية ، ويورد قصة مرض بنت أحد سلاطين تلمسان لم يذكر اسمه وعجز الأطباء المسلمون عن معالجتها ، وكان من بين الوافدين من اليهود على تلمسان حكيم يدعى " أفرا يم أنكاوة " فعالجها وكان شفاؤها على يده ، فسأله السلطان عما يستحقه من الجزاء ، فقال جزائي أن تأذن لليهود بالنزول داخل تاقرارت أي تلمسان الحديثة ، فأذن لهم السلطان حينئذ بالنزول بالمكان الذي كان معروفا بالمرجة والتي صارت تعرف بدرب اليهود ، أما حكيمهم" أفرا يم أنكاوة " فقد مات في تلمسان عام 845هـ/1442م وقبره لا يزال محط رحال اليهود الذين يأتون لزيارته إلى يومنا هذا[5] .

---

1 - عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجـري ، دار الغـرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1424هـ/2003م ، ص109 ص110 .

2 - عبد الحميد حسين حمودة ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولـة الفاطميـة ، الدار الثقافية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1428هـ/2007م ، ص377 .

3 - ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م ، ص327 . عبد الحميد حسين حمودة ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص376 .

4 - محمد المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية ، مرجع سابق ، ص99 .

5 - الحاج محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيـان ، ديـوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995م ، ص364 ص265 .

وقد عرف اليهود أيام الاغالبة والفاطميين وخلفائهم في بلاد المغرب بعدما انتقلوا إلى مصر ، وضعية لم تتح لهم من قبل بحيث تقربوا من الحكام ومنحوهم أعلى المراتب في الدولة وقربوهم منهم ، ثم أقصوهم عنها لما بدا منهم من الانحراف الذي يعاكس التابعة الإسلامية ، فقد عمل في بلاط الفاطميين والزيريين أطباء يهود ، وبلغوا من التقرب أن رافقوهم في رحلاتهم وحروبهم[1] ، ووصل بهم الأمر إلى تقلد منصب الوزارة في الدولة الزيرية الذي سوف يتيح لهم إمكانية المشاركة في تحديد حكام الدولة حسب ما يرونه لصالحهم ، وهو ما قاموا به مع سيف الدولة الصنهاجي بلكين بن باديس (456هـ/1064م) الذي كان يكره اليهود نتيجة تسلطهم وتحكمهم في مقاليد الحكم ، فما كان له إلا أن أصبح ضحية مكر وغدر أحد اليهود المقربين من أبيه ، وزيره إسماعيل بن تغرلة اليهودي ، فقام بدس السم له ، وبذلك وضع حدا لحياته[2] .

لذا لا نجد غرابة في العمل الذي قامت به بعض الدول في بلاد المغرب ضد اليهود ، نتيجة الخطر الذي أصبح يهدد سلطانهم وشعوبهم ، وما قام به الموحدون[3] من أعمال ضد اليهود إلا نموذج يبين لنا مدى الخطر الذي أصبحوا يشكلوه مما دفعهم إلى الهجرة نحو بلاد المشرق من جديد[4].

ومن خلال ما سبق نرى أن اليهود هاجروا إلى بلاد المغرب مثله مثل باقي بلدان العالم التي هاجروا إليها ، وقد أعطيت لهم فرصة للعيش كسائر الناس في البلاد التي يلجئون إليها في إطار ما وفرت لهم تعاليم الإسلام من حقوق وواجبات، لكن ما لبثت هذه

---

1 - عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص72 .

2 - خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، ج02 ، ص52 .

3 - من المعروف أن الدولة الموحدية أعظم دولة إسلامية قامت في بلاد المغرب بما كان لها من سعة الرقعة وانبساط النفوذ في الشمال الإفريقي والأندلس ، ثم أخذ يبدو ضعف الموحدين بعد موقعة العقاب (609هـ/1209م) ، محمـد المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية ، مرجع سابق ، ص05 .

4 - عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص114 . / روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، مرجع سابق ، ص430 .

البلدان أن غيرت نظرتها لهم ، بعد أن تبين لها خطرهم الذي هدد السكان الأصليين بالدمار الأخلاقي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي[1] .

1 - عبد الله التل ، خطر اليهود العالمية على الإسلام والمسيحية ، مرجع سابق ، ص106 .

تمهيـ ـد:

خصصنا هذا الفصل لدراسة **اليهود في إقليم توات** حيث تناولنا فيه :

- **تعريف تاريخي وجغرافي لإقليم توات** : وذلك بالبحث عن أصل تسمية الاقليم ، وموقعه الجغرافي ، والخلفية التاريخية له .

- **المجتمع التواتي** : وذلك من خلال تناول تركيبته البشرية والطبقية التي يتشكل منها .

- **يهود توات** : وذلك بتطرقنا إلى هجراتهم إلى الاقليم وأماكن وعوامل استقرارهم في المناطق التي استقروا فيها.

1-الخلفية التاريخية والجغرافية لإقليم توات

1-1- أصل تسمية الإقليم :

أصبح التطرق إلى أصل تسمية الإقليم " توات " فاتحة أغلب الدارسين لهذا الإقليم ، من شتى نواحيه ، مستعرضين مختلف الآراء التي أوردها المؤرخون الأوائل حول أصل تسمية هذا الإقليم [1] ، دون أن يتوصلوا إلى شبه إجماع حول رأي من هذه الآراء ، مكتفين باستقراء وعرض هذه الآراء المختلفة .

وحتى لا نقع في تكرار من سبقونا إليه سوف نستعرض هذه الآراء مع مناقشتها ومحاولة إيجاد رأي أقرب ما يكون من الوجهة التاريخية والجغرافية إلى الصحيح في حدود ما توفر من معلومات حول هذا الموضوع ، فالمؤرخون الأوائل للإقليم اختلفوا في تأصيل كلمة " توات " ، فحسب الروايات التي وردت في تقاييدهم فأصل التسمية يرجع إلى عدة أسباب هي :

الرواية الأولى :

مـا ذكره عبـد الرحمـان السعـدي فـي كتـابه " تـاريخ السـودان " فـي أن أصل الكلمة جاء من منطقة التكرور [2] ويورد في ذلك قصـة وقعت لسلطـان

---

1 - يمكن الرجوع إلى بعض الدراسات على سبيل الذكر لا الحصر : أنظر : محمد باي بلعالم ، الرحلة العليـة إلـى منطقة توات ، دار هومه ، الجزائر ، بدون ط ، 2005م ، ج01 ، ص09 ص10 . أحمد أبا الصافي جعفري ، رجال في الذاكرة (محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وآثاره) ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر ، الطبعـة الثانيـة ، 1428هـ/2007م ، ص25 ص26 . الصديق حاج أحمد آل المغيلي ، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ ـ إلى القرن 14هـ ، دار الحبر ، بني مسوس ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2011م ، ص27 ص31 . عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2007م ، ص15 ص16 .

2 - التكرور : كلمة التكرور أصل إطلاقها كان على منطقة السنغال الشرقية حاليا وربما من أيام المرابطين ثـم عـم إطلاقها خارج بلاد السودان الغربي كله . أنظر : عبد القادر زبادية ، الحضارة الغربية والتأثير الأوربي فـي أفريقيـا جنوب الصحراء ، مرجع سابق ، ص21 . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج02 ، ص38 . محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد السـعيد ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1965م ، ص132 .

مالي[1] (كنعان موسى) عند مروره بالمنطقة في رحلته إلى الحج فيقول : " ومشى بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات فتخاف هناك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها فسمي الموضع باسم تلك العلة " [2].

الرواية الثانية :

لصاحبها محمد بن عمر البداوي حيث اعتبر أن " السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يحكى أنه لما استفتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب ووصل ساحله ، ثم عاد لواد نول[3] ودرعة وسجلماسة والفائجة[4] ووصلت خيله توات وذلك في تاريخ 62هـ اثنتين وستين من الهجرة النبوية فسألهم عن هذه البلاد يعني توات ، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف ، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب ينزلهم بها أو يجليهم بها ، فأجابوه بأنها تواتي ، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف " [5] .

الرواية الثالثة :

وهي لأبو عبد الله محمد الأنصاري صاحب " فهرست الرصاع " إذ يقول : " والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ومنهم طوائف التوارق ولمطة ولمتونة والتوات " [6].

---

1 - مالي : ظهرت في القرن الثالث عشر ، عقب سقوط إمبراطورية غانة في المنطقة ، التي تمتد بين أعالي النيجـر والسنغال . أنظر : إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، مرجع سابق ، ص297 .

2 - أنظر : عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان ، مرجع سابق ، ص07 .

3 - واد نول : تنطق أحيانا وادي "نون" أما أصل التسمية فهو "نول" وهي منطقة تقع في جنوب المغرب بتخوم بـلاد سوس والنسبة إليه وادي نوني ، أنظر : حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، مصدر سابق ، ص108 .

4 - الفائجة : تقع نواحي السوس ودرعه ، بينهم مجالا للتجارة وممرا لأبناء السبيل يغدو فيه المسافر ويـروح آمنـا على نفسه وماله ، الناصري السلاوي ، الاستقصا في أخبار دول المغرب الاقصا ، ج08 ، مرجع سابق ، ص107 .

5 - محمد بن عمر البداوي ، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات ، مخطوط بخزانة بودة ، ورقة ص 05 .

6 - أبو عبد الله محمد الأنصاري ، فهرست الرصاع ، تحقيق وتعليق محمد العنابي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، طبعة 1976م ، ص127 .

الرواية الرابعة :

لمحمد بن المبارك الذي يذكر أن كلمة " توات " أصلها أعجمية قد أطلقتها قبائل من لمتونة عندما التجأت للإقليم في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، منتصف القرن السادس الهجري على المكان بعد أن وجدوا المكان يناسبهم (يواتيهم)[1] .

الرواية الخامسة :

ما اعتمده محمد أعفيف في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ حيث يذكر أنها جمع لكلمة " تيط " البربرية والتي تعني " عين " [2].

الرواية السادسة :

صاحبها محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنطيطي ، الذي ذكر في كتابه " درة الأقلام في أخبار المغرب قبل الإسلام " أن سبب تسمية الإقليم " توات " يرجع إلى الاتوات التي كان يدفعها أهل البلاد ، وبعد حذف المضاف وأقيم المضاف إليه صارت الكلمة " توات " والتي أطلقت على المنطقة الممتدة جغرافيا من تبلكوزة إلى عين صالح ، وكانت تسمي بالصحراء القبلية [3].

الرواية السابعة :

وهي للمؤرخ الفرنسي " مارتان – a . g . p. martin الذي أورد في كتابه les oasis sahariennes بأن أصل التسمية يعود جذورها إلى مفردة (وا = oua ouah oa) التي توجد في عدة لغات ، كالعربية والإغريقية ، كما وجدت لذى السكان المحليين "زناتة"، وهي تعبير لغوي أضيف إليه حرف التاء في المقدمة والمؤخرة فتحولت الكلمة

---

1 - أنظر : محمد بن المبارك ، تاريخ توات ، ورقة ص1 ص2 ، نقلا عن ، فرج محمود فرج ، إقليم تـوات خـلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2007م ، ص26.

2 - محمد أعفيف ، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغربي توات في القرن 19م ، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، تحت إشراف جرمان عياش ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، شعبة التاريخ ، 1982م ، ص57 .

3 - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنطيطي, درة الأقلام في أخبار المغرب قبل الإسلام , مخطـوط خزانة المطارفة , ورقة 03 .

إلى " توات " والبربر هم من أضاف الى الكلمة الحرف الاول والحرف الاخير ، ومما يدل على أن التسمية غير عربية هو مجئ عقبة بن نافع الذي وجد الكلمة متداولة أصلا [1].

الرواية الثامنة :

وهذه الرواية هي الأخرى لأحد الكتاب الغربيين وهو ماندوفيل (mandeville) الذي يرى أن إسم " توات " أطلقه التوارق والعرب على مجموعة الواحات التي تنتشر بالمنخفض العميق لواد الساورة ، وواد مسعود [2].

الرواية التاسعة :

وهي كذلك لأحد الغربيين ويدعى روكليس (reclus) حيث يرى أن " توات " هي كلمة بربرية متداولة في اللهجات المحلية معناه الواحة [3].

الرواية العاشرة :

وهي لمولاي أحمد الإدريسي الطاهري الذي يرى في كتابه " نسيم النفحات " أن سبب تسمية المنطقة بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة [4].

الرواية الحادي عشر :

هذه الرواية لصاحبها الأستاذ أحمد بوساحة الذي يرى أن كلمة توات هي تسمية جغرافية تطلق على الأماكن المنخفضة حسب اللهجات البربرية [5].

1 - Martin , a.g.p. ,les oasis sahariennes , op , cit , p41.

2 - أحمد العماري , توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب , نقلا عن الصديق حاج أحمد آل المغيلي ، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ , مرجع سابق , ص30 -31 .

3 - أحمد بوساحة ، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر ، دار هومه ، الجزائر ، 2007م، ص79.

4 - مولاي أحمد الإدريسي ، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، مخطوط بخزانة كوسام ، ورقة ص03 .

5 - أحمد بوساحة ، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر ، المرجع نفسه ، ص79 .

مناقشة الروايات :

من خلال هذه الروايات وعددها إحدى عشر رواية التي استطعنا جمعها من التقاييد والتي تناولت الإقليم بالدراسة تبين لنا أن ما ورد في أصل تسميته يختلف اختلافا كبيرا بين معظم هذه الروايات ، فالأحداث والوقائع التي ذكرت في هذه الروايات لم تجب عن الكثير من الأسئلة المتعلقة بتسمية الإقليم ، فهي لم تحدد الشخص أو المجموعة التي أطلقت هذا الاسم علي الإقليم ، ولا حتى الزمن الذي أطلقت فيه هذه التسمية ، وكيف كانت تسمي من قبل أن يطلق عليها هذا الاسم ، و حدود المنطقة التي يدل عليها .

هذا الاختلاف نجده متباينا وواضحا بين المؤرخين المحليين المنتمين إلى الإقليم والمؤرخين الأجانب ، فالمؤرخين المحليين كمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التنمنطيطي صاحب الرواية السادسة أرجعها إلى الضرائب التي كانت تدفعها المنطقة والمعروفة آنذاك ب" الاتوات " ، أما محمد بن عمر البداوي ومولاي أحمد الإدريسي الطاهري صاحبي الروايتين الثانية والعاشرة على التوالي فسرها على أنها تواتي ، فالأول لنفي المجرمين على لسان الفاتح عقبة بن نافع ، والثاني للعبادة ، وهذا تفسير لغوي عربي لأصل التسمية قال به المؤرخين المحليين ، أما المؤرخين الأجانب فأجمعوا على الأصل البربري للكلمة إلا السعدي صاحب الرواية الأولى الذي أرجعها إلى الأصل التكروري موطنه الأصلي .

وبالنظر إلى الأسماء التي تحملها هذه القصور نلاحظ أن بعضها ذو أصول زناتية وبالتالي اختطت من قبل القبائل البربرية مثل (تمنطيط ، تيط ، تماسخت ، ...) ، والبعض الآخر يحمل أسماء عربية نسبة إلى العائلات التي أسستها مثل (أولاد أحمد ، أولاد إبراهيم ، زاوية كنتة ، ...) ، كما أن بعض هذه القصور اختط من طرف اليهود مثل (تازولت ، تاخفيف ، غرم علي ، ...).

فالمؤرخون القدامى التي ورد ذكر أسم توات في كتبهم كابن خلدون والرحالة ابن بطوطة لم يتناولوا أصل هذه التسمية وإنما تحدثوا عن الإقليم في جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مثل ما فعلوا ذلك مع البلدان الأخرى ، فطرح هذا الإشكال في كتب المؤرخين خاصة المحليين منهم بدأ بعد القرن الثامن الهجري (8هـ)

الرابع عشر ميلادي (14م) علي أقصى تقدير بعدما اكتملت التركيبة الاجتماعية والازدهار الاقتصادي للإقليم ، حيث عرفت المنطقة صراعات سياسية واجتماعية واقتصادية سخر لها مختلف الوسائل وأسالت الكثير من الحبر .

1- 2- جغرافية الإقليم :

إن معرفة الإطار الجغرافي لأية دراسة تاريخية يكتسي أهمية كبيرة ، فالتوصل إلى تحديده بدقة يضع بين أيدينا معطيات يمكن بواسطتها معرفة الأشياء المؤثرة في حياة الناس ونمط معيشتهم ، وقبل أن نبث في تحديد جغرافية إقليم توات لابد من الإشارة إلى إن الحد الجغرافي لهذا الإقليم لا زال مبهم وليس من السهل معرفته ، ،لأننا أمام منطقة شاسعة متداخلة تشمل كل من فجيج[1] والساورة[2] وتافيلالات وواحات توات[3] ، لذا فأن ما قيل وكتب عن حدود الإقليم فهو يعني جهة جغرافية أكثر مما يعني منطقة حدودية له .

عند تصفح الكتب الجغرافية فإننا نجد ذكر إقليم توات ارتبط كغيره من الأقاليم الصحراوية بتجارة القوافل والمسالك العابرة للصحراء ، لكننا نجد كبار الجغرافيين المعروفين أمثال البكري وابن حوقل والإدريسي يهملون ذكر توات رغم أنهم أفاضوا في ذكر سجلماسة والمسالك التي تربطها بالصحراء ، ولم يصبح هذا الاسم متداولا في المصادر التاريخية إلا بعد القرن الرابع عشر الميلادي /الثامن الهجري[4].

ويعتبر كل من المؤرخ ابن خلدون (ت. 808هـ/ 1406م) والرحالة ابن بطوطة (ت. 779 هـ/ 1377م) من أقدم الذين أعطوا فكرة عن جغرافية الإقليم ، فابن خلدون

---

1 - فجيج : مدينة بالصحراء الجنوبية الغربية للجزائر . أنظر : عبد العزيز بنعبد الله ، الموسوعة المغربية ، ج01 ، مرجع سابق ، ص157 .

2 - الساورة : نسبة إلى واد الساورة ، وهو من الوديان الواقعة أقصى الجنوب يصل إلى الطرف الجنوبي الأقصى ، ومعظم مياهه تستمر في فرع يتجه نحو أعالي واحة توات . أنظر : إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشـواطئها ، مرجع سابق ، ص28 .

3 - محمد أعفيف ، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغربي توات في القرن 19م ، مرجع سابق ، ص25 .

4 - محمد أعفيف ، نفسه ، ص55 .

يذكر في تاريخه إسم توات على أنها المقاطعات الواقعة بمحاذاة نهر كبير ينحدر من ناحية المغرب بعدما ذكر بأن توات من جملة ما اختطته زناتة إذ يقول " وينبع مع هذا النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى القبلة مشرقا بعض الشئ، ويقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة، ثم بعدها إلى تمنطيت، ويسمى لهذا العهد كير وعلية قصورها. ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويروغ في قفارها ويغور في رمالها، وهو موضع مغامه قصور ذات نخل تسمى وركلان وفي شرق بودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء. وفي شرقي تسابيت إلى ما يلي الجنوب قصور تيكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد فينحدر من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من قبائل زناتة "[1] ، أما ابن بطوطة فمر به وبالضبط بمقاطعة بودة التي أقام فيها بضعة أيام عند عودته من مالي في طريقه إلى المغرب الأقصى سنة (754هـ) أثناء قيامه برحلته الشهيرة ، يقول عنها : " ثم وصلنا إلى بودة وهي من أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ ... وأقمنا ببودا أياما " [2] .

لكن هذا التحديد نجده أكثر دقة عند المؤرخين الذين أتوا من بعدهم ، فالعياشي (ت. 1090 هـ/ 1679م) الذي مر به أثناء رحلته لأداء فريضة الحج حدده من قرية عريان الرأس بمقاطعة تسابيت والتي يقول عنها بأنها " أول عمالة توات "[3] ، وأما ليون الإفريقي (حسن الوزان)[4] (ت. 957 هـ/ 1550م) فاكتفى بوصف مقاطعتي تسابيت وتيكورارين ، فالإقليم يقع في الصحراء الغربية الجزائرية وهي تمثل جزء من الصحراء

1 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج06 ، مصدر سابق ، ص119-120 .

2 - ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تعليق محمد السعيد محمد الزينـي ، المكتبـة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، ص629 .

3 - العياشي ، الرحلة العياشية (ماء الموائد) ،تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، دار السويدي ، أبو ظبـي ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، 2006م ، ج01 ، ص20 .

4 - حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 133 .

الإفريقية الكبرى أما المؤرخ الفرنسي مارتان فقد حدد جغرافية الإقليم من بودة شمالا إلى رقان جنوبا[1] .

وقد تطرق بعض المؤرخين المحليين لجغرافية الإقليم في مؤلفاتهم كصاحب التقييد[2] الذي حدد المنطقة من تبلكوزة إلى فقارة الزوى ، والمؤرخ البداوي محمد بن عمر أعتبر أن الإقليم يضم مجموعة من الواحات في الصحراء الكبرى ومركزها عين صالح معتمدا في ذلك على ما جاء في كتاب " النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية " إذ يقول : " ومن الواحات الشهيرة غربا الادرار وتسكنها قبائل الازواد وهم مغاربة مسلمون ومركزها ودان ومن مدنها شنقيط ثم تافانت ومركزها تيشيت ثم ولاتة وشمال واحة الجلية و وارقلة ووسط واحة توات ومركزها عين صالح " [3].

من خلال هذه التحديدات الجغرافية للإقليم نرى بأن هناك تحديدين مختلفين فالأول يشمل المقاطعات الثلاثة للإقليم وهم من الشمال إلى الجنوب : قورارة ، توات الوسطى ، تيديكلت . أي من تبلكوزة شمالا إلى فقارة الزوى جنوبا ، بينما الثاني جعله يشمل فقط توات الوسطي أي من عريان الرأس بتسابيت شمالا إلى رقان جنوبا . فإسم توات يمكن أن يراد به الكل (التحديد الأول) ويمكن أن يراد به الجزء (التحديد الثاني)[4] .

وفي دراستنا هذه نعتمد التحديد الأول الذي يجعل إقليم توات يبدأ عند نهاية الساورة ويمتد على شكل هلال يتحلق حول هضبة تادميت، أما قصوره فعدت بأكثر من ثلاثمائة قصرا[5]

1 - Martin , a.g.p. ,les oasis sahariennes , op , cit , p 41

2 - تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى ، قام بتحقيق الكناش عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، الطبعة الملكية ، 1962م ، ص03 - ص11 .

3 - محمد بن عمر البداوي ، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات ، مصدر سابق ، ورقة 03 .

4 - أحمد الحمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات ، عصره وأثره ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2000م ، مرقونة ، ص05 .

5 - ذكر أبن بابا حيدة عددها بثلاث مئة وستة وستون قصرا . أنظر : محمد بن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبـار تمنطيط ، تحقيق فرج محمود فرج ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977 ، ص 14 . وفي الرحلة العلية قـدر عددها بثلاثمائة وثلاثون قصر . أنظر : محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية الى منطقة توات ، ج01 ، مرجع سـابق ، ص18 .

موزعة على أقاليمه الثلاثة كالأتي[1] :

منطقة قورارة (تيميون حاليا): تشكل منطقة قورارة القسم الشمالي لإقليم توات وتمتد من تبلكوزة إلى القرارة ، وواحاتها تضم القصور التالية.

1- قصور تنركوك :

تقع شمال منطقة قورارة وأهم قصورها : زاوية الدباغ ، تاعنطاس ، تازليزة ، عين حمو ، فاتيس ، بن زيته ، ودغاغ .

2- قصور قصر قدور :

وهي جنوب تنركوك وأهم قصورها : إينزلان ، تلغمين ، سيدي منصور ، بوكركور ، تقانت ، أنزلوا ، بني عيسى .

3- قصور تيميمون :

وهي عاصمة منطقة قورارة وتضم القصور التالية : تيلوين الحاج ، بايدة ، صموطة ، آمراد ، مغمورة ، فرعون ، بن عيسى ، بدريان ، يغزر ، الكاف ، أولاد سعيد ، بدارة ، كالي ، الحاج قلمان ، لازورة ، أولاد عبدللي ، قمنتزرات ، أولاد هارون ، صفحاح ، كنتور ، انملاد ، اتلالات ، زقوبر ، تاروابة ، ماسين ، أولاد الحاج ، تازقاعت ، تيميمون الكبرى ، تادمايت ، أولاد المهدي ، قصبة القائد ، أولاد إبراهيم ، تلازحم ، أعلاملال ، أواعمني ، أغنات ، أولاد نوح ، بني مهلال ، بني ملوك ، أولاد ملال ، الرمانة ، تاورسيت ، الواجدة .

---

1 - ورد ذكرها من طرف الرحالة الألماني جيرهالد رولف وفي التقييد وكذلك في الرحلة العلية مع اختلاف في كتابة بعض أسماء القصور . أنظر :

تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة مـن القصـور ووثـائق أخـرى، المطبعـة الملكيـة، الربـاط، 1381هـ/1962م، ص02 وما بعدها. محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية الى منطقة تـوات ، ج01 ، مرجـع سـابق ، ص11 وما بعدها.

- Gerhard Rohlfs, Voyages & Exploration au Sahara, (Draa – Tafilalet – Sud-oranais – Touat – Tidikelt – Rhadamès) 1861-1864, op, cit, p216-p219.

4- قصور شروين :

تقع في الجهة الغربية من سبخة قورارة وتضم القصور التالية : شروين ، تاوريرت ، تنكرام ، تاكلازي ، بني يسلم ، ياكو ، تبو ، أوماح ، أجدير الغربي ، أجدير الشرقي ، طلمين الكبيرة ، تاغوزي ، النعمة ، تاعرابين ، إيسناون ، قطوف ، تاكليالات ، يحيا وإدريس ، قلو ، باحمو ، زعيتر ، سيد المختار ، بوكزين ، طلمين القصر .

5- قصور أوقروت :

تقع الى الجنوب بعيدة عن سبخة قورارة وقصورها هي : بوقمة ، الشارف ، عالية ، زاوية الشيخ عمر ، آقبور ، أعبود ، بن عباد ، تبرغامين ، قصر الحاج ، تالة ، زاوية سيدي عبد الله ، تنقلين ، أولاد عبد الصمد ، دلدول ، توكي ، البركة ، الحربان ، المنصور ، أولاد عبو ، آورير ، أقبور ، أولاد محمود ، كابرتن ، أولاد راشد ، أولاد علي ، القراشا ، الساهلة ، لمطارفة .

6- قصور تسابيت :

تقع شمال مدينة ادرار وأهم قصورها : عريان الرأس ، بريكان ، حماد ، عمور ، الأعياد ، وجلان ، لمعيز ، الهبلة ، أسبع ، لقرارة .

منطقة توات الوسطى (ادرار حاليا) : وهي تتوسط الإقليم وقصورها متقاربة فيما بينها عكس ما هي عليه في منطقتي قورارة وتديكلت ، وتمتد من عريان الرأس إلى رقان وواحاتها تضم القصور التالية :

1- قصور تيمي :

وهي أكبر مجموعة من حيث عدد القصور ، تضم تسعة وعشرون قصرا حسب تقييد توات أهمها : تنلان ، وينة ، ميمون ، ملوكة ، بوزان ، كوسام ، بربع ، أوقديم ، أدغاغ ، أولاد ونقال ، أولاد واشن ، أولاد علي ، أولاد أحمد ، أولاد ابراهيم ، بني تامر،

المنصورية ، أولاد بوحفص ، مهدية ، أولاد عيسى ، أولاد عروسة ، باعبد الله ، زاوية سيدي البكري ، مراقن .

2- قصور بودة :

بودة هي أولى الواحات التواتية من الناحية الغربية ، تقع عند إلتقاء واد مسعود بواد الرمل ، وتضم حوالي إثنا عشر قصرا أهمها : لقصيبة ، لغمارة ، أولاد يعيش ، أبار ، الغماريين ، أولاد أنجل ، بن دراعو ، بني اللو ، بني وازل ، أغرم علي ، زاوية سيدي حيدة ، المنصور .

3- قصور تمنطيط :

وتقع الى الجنوب من مدينة ادرار وأهم قصورها : أولاد الحاج مأمون ، آنكير ، بالحاج ، بوفادي ، توكي ، بنكور ، نومناس .

4- قصور فنوغيل :

وتقع هي الاخرى الى الجنوب من مدينة ادرار وأهم قصورها : تسفاوت ، أعباني ، العلوشية ، ودغة ، بن هني ، عزي ، المنصور ، مكرة ، قصبة أولاد مولاي لحسن ، أولاد برشيد ، قصبة أولاد مولاى بوفارس ، زاوية سيدي عبد القادر ، سيدي يوسف ، باعمر .

5- قصور تامست :

وتقع بمحاداة فنوغيل وأهم قصورها : بويحيا الفوقانية ، بويحيا السفلانية ، الجديد، أولاد عنتر ، تمالت ، لحمر ، أكيس ، تماسخت ، أغيل ، تيطاف ، غرميانو .

6- قصور زاوية كنتة :

وهي جنوب تامست وأهم قصورها : مكيد ، تيوريرين ، ادرار ، شباني ، زاجلو، البيض ، أولاد الحاج ، تبركان ، زاوية كنتة ، لمناصير ، تاخفيف ، آدمر ، تاظول ، زاوية الشيخ عبد الكريم المغيلي ، بوعلي ، آظوى ، غرمالملال .

7- قصور أنزجمير :

وهي الى الجنوب من زاوية كنتة وأهم قصورها : بونجي ، أنزجمير، المحفوظ، زاوية بلال ، تيدماين ، الخلفي ، أوغزير ، تيطاوين الشرفا ، تيطاوين لحراس ، تيلولين.

8- قصور سالي :

وهي الى الجنوب من أنزجمير وأهم قصورها : المنصور ، برماة ، قصبة الجنة، قصبة القايد ، قصبة النجار ، قصبة أولاد مولاي علي ، لمحارزة ، القصر الجديد ، العلوشية ، قصبة سيدي الشريف ، قصبة أولاد مولاي عبد الواحد ، أولاد مولاي العربي، أنتزيرية ، تينور ، بريش ، أولاد باحو ، المستور ، زاوية لحشف .

9- قصور رقان :

وهي آخر مقاطعة توات الوسطى من الجبوب بمحاداة سالي وأهم قصورها : أنزقلوف ، آيت المسعود ، النفيس ، تاعرابت ، القصر الجديد ، تنلاف ، تيمادنين ، تاورير ، زرافيل آغير .

منطقة تيديكلت (مدينة أولف وما جاورها) : تقع واحاتها على الحافة الجنوبية لهضبة تادمايت وهي محصورة بين زاوية الرقاني من الشمال الى فقارة الزوى من الجنوب ، وواحاتها تتكون من القصور التالية :

1- قصور أقبلي :

وتقع الى الجنوب الشرقي من تيديكلت وقصورها هي : ساهل ، أركشاش ، المنصور ، زاوية أبي نعامة .

2- قصور تيط :

وهي بمحاذاة قصور أولف وأهم قصورها هي : مدينة تيط ، قصبة الشرفاء .

3- قصور أولف :

وهي بمثابة عاصمة لمنطقة تديكلت وقصورها هي : زاوية حينون ، قصبة بلال، عمنات ، قصبة ميخاف ، الركينة ، الجديد ، تقراف ، قصبة حبادات .

4-قصور تمقطن:

وهي في الجهة الغربية للمنطقة وقصورها هي : أولف الكبير ، أخنوس ، أولاد الحاج ، قصر لحسين ، زاوية مولاي هيبة ، قصبة السيد ، إينر ، تمقطن، قصبة الجنات، المنصور ، أولاد مولاي رشيد ، قصر المهدي ، بلاد المرتاجي ، المرقب ، الميمون .

5-قصور أينغر :

وهي تقع في وسط منطقة تديكلت وقصورها هي : تورفين ، الشويطر ، أقبور ، لكحل ، مليانة ، السبخة ، عين صالح ، قصر العرب (أولاد المختار) ، أولاد باجودة ، أولاد بن قاسم ، أولاد الحاج ، الدغامشة ، البركة ، حاسي لحجار ، إيكسطن ، الساهلة ، فقارة لعرب ، فقارة الزوى ، لقصر الفوقاني ، جواليل ، الزاوية .

1-3- إقليم توات عبر العصور :

عرف إقليم توات ظاهرة الاستيطان البشري منذ فترة ما قبل التاريخ ذل على ذلك وجود العديد من الأشكال الجيومورفولوجية التي تعود إلى تعرية نهرية قوية ، مما يدل على أن المنطقة عرفت عصرا مناخيا رطبا قبل أن يصيبها الجفاف وتتصحر كما هي

عليه الآن[1] ، زد على ذلك الرسومات الحائطية الكهفية في أماكن متفرقة قريبة من الواحات[2] .

وفي العصور التاريخية تعرض شمال إفريقيا إلى احتلال روماني بيزنطي وجد له صدى في الكثير من النصوص الإغريقية اللاتينية ، ورغم أن هذه النصوص اهتمت بالدرجة الأولى بالمناطق التي وصلها التأثير الروماني البيزنطي إلا أنها لا تخلو من الإشارة إلى المناطق الواقعة جنوب سلسلة جبال الأطلس الصحراوي ، فهيرودوت يشير إلى تجارة عبر الصحراء بين السودان والشمال الإفريقي كانت تقوم بها قبائل الكرامنت[3] ويفترض أن إقليم توات كان له دور مهم في هذه التجارة ، لان الإقليم يخضع إلى مناخ صحراوي قاس من جهة ومن جهة أخرى إلى مساحات خالية ، هذان الظرفان أكسبه خصوصية كبيرة بتحول واحاته إلى قواعد لملتقى القوافل خاصة الواقعة على المحاور الكبيرة لهذه القوافل التجارية في العصور القديمة[4] ، إضافة إلى تواجد قبائل الجيتول التي كانت تحتل إقليما انتقاليا ما بين الصحراء الكبرى وشريط التل الساحلي يحتوي على الوديان والواحات والشطوط والمرتفعات وقد اندمجت هذه القبائل مع المكونات السياسية الإدارية الموجودة في الشمال ، فهم موريون في الناحية الغربية الجنوبية و نوميديون في السهوب والمرتفعات الجنوبية[5].

أما شكل القصور التواتية فيرجح أن يكون تاريخ بناؤها إلى القرون الأولي بعد الميلاد ، ورغم أن مارتان (Martin) حدده بتاريخ 517 قبل الهجرة (أي بداية القرن

---

1 - محمد أعفيف ، مرجع سابق ، ص27 ص28 . محمد باي بلعالم ، الرحلة العليـة ، ج01 ، مرجـع سـابق ، ص29.

2- S . Gsell , histoire ancienne de l'Afrique du nord , tome 1 , paris 1955 , p 250 .

3 - محمد أعفيف ، مرجع سابق ، ص62 .

4 - مارك كوت ، إختيار فضاء إختيار مجتمع ، مجلة معالم المدينة وتنظيمها الحضري ، العدد رقم 03 ، دار النشـر مارينور ، الجزائر ، 1999 ، ص226 .

5 - تياقة الصديق ، نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بـإقليم تـوات ، الملتقـى الـوطني الأول – العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي – جامعـة أحمـد درايـة ، ادرار ، 14-15 أبريـل 2009م، ص97 .

الثاني للميلاد)[1] إلا أنها يمكن أن تكون بنيت قبل هذا التاريخ أو بعده ، كما وجدت في بعض القصور في منطقة تيديكلت حديثة العهد لا يتعدى أقدم القصور فيها القرن الثالث عشر للميلاد [2].

لكن الإشكال التاريخي الذي يطرح نفسه فهو من المستقرون الأوائل في هذه الواحات أو بعبارة أخرى من هي الشعوب التي كان لها السبق التاريخي في بناء القصور التواتية ، فنحن أمام روايتين فالرواية الواردة في النصوص الإغريقية اللاتينية تجعل من قبائل الجيتول مسيطرة على مجال الواحات ، أما النصوص الإسلامية المتأخرة فتجعل من قبائل زناتة[3] أول من أختط هذه القصور ، فهل قبائل الجيتول عند الإغريق هي مطابقة لقبائل زناتة عند المسلمين .

يري ابن خلدون أن قصور توات من جملة ما اختطته قبائل زناتة البربرية ويؤكد ذلك في أكثر من موضع إذ يقول : " ... من زناتة فموطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة ... وتنتهي رحلتهم في القفر إلى قصور توات وتمنطيط وربما عاجوا ذات الشمال إلى تسابيت وتيكورارين ..."[4] ويضيف في موضع آخر فيقول : " ...أن توات من جملة ما اختطته زناتة البربر "[5] .

وما ذهب إليه ابن خلدون أيده كذلك بعض المؤرخين المحليين الذين أشاروا بأن زناتة قدموا من سجلماسة إلى توات على ثلاثة عشرة مرحلة وكان مقامهم كل مرة ببودة، وكان أخر مرة قدموا فيها وجدوا واد جير (المسعود) قد جف فسكنوا إلى شرفاته ونزلوا بقصر بودة وتيطاف وتسابيت وتمنطيط وتسفاوت من قصور توات ، أما قصور تيجورارين فقد نزلوا بعد مقدمهم من وارجلان (ورقلة) وتغلالات فاستقروا بقصور

1- G . P . Martin , Quatre Siècles D’histoire Marocaine , Imprimerie El-maarif El-Jadida , Rabat (1994) , p108 .

2 - L . Vinot , Le Tidikelt Etude sur la géographie L’histoire et les mœurs du pays , Oran (1909) , p 46.

3 - للمزيد عن قبائل زناتة أنظر : إبن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج07 ، ص13 . عبد الـرحمن الجيلانـي ، تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط06 ؛ 1983م ، ص40 .

4 - أنظر: ابن خلدون ، ج06 ، مصدر سابق ، ص71-72 .

5 - أنظر: ابن خلدون ، ج06 ، مصدر سابق ، ص69 .

تيميمون ، أما من الناحية الجنوبية فقد نزلوا مرورا بالطريق الشرقي و وارجلان القليـعة وعين صالح ثم أولـ ـف فاستقروا في قصـ ـر أقبلي والشارف وتيط [1].

ولم يبق الزناتيون في قصور بودة منعزلين عن الحركة الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع فاتجهوا منها إلى الجنوب بعد أن طافوا المنطقة فغرسوا على واد المسعود النخيل وأقاموا البساتين وحفروا الفقاقير وبنوا في تمنطيط قصر بامسعود[2] .

وما يؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون ومن حذا حذوه من المؤرخين خاصة المحليين هو وجود دليلين قاطعين على ذلك ، الأول يتمثل في تسمية معظم القصور التواتية ذات الأصل الزناتي ، والثاني يتمثل في الواقع اللساني الحالي في بعض الأماكن التي لازالت تتحدث باللسان الزناتي على غرار اللسان العربي إلى يومنا هذا خاصة في منطقة قورارة مثل قصور تيميمون ، وشروين ، وأجدير ، وأولاد عيسى ، أما البعض الأخر فتعرض للتعريب علي يد القبائل العربية الآتية من المشرق مثل ما هو عليه الحال في قصور بودة وتمنطيط وأولف .

لكن الوضع البشري لواحات توات لا يمنعنا من التساؤل عن بعض العناصر التي وفدت إلى الإقليم كالعنصر اليهودي والعنصر العربي والتي لا يستبعد أن تكون سبقت أو شاركت في عملية الاستيطان في هذا الإقليم .

إذن فالبربر هم أول من قطن توات في الألفية الأولى وعمروها لاسيما الفرع الزناتي منهم مثل " بني عبد الواحد وبني مرداس ومصاب من بني مرين وذلك قبل دخول الإسلام لبلاد المغرب بسنوات طويلة"[3].

1 - مبروك مقدم ، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، دار هومه ، الجزائـر ، 2008م ، ج01 ، ص ص50 – 51.

2 - محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة المطارفة ، ورقة 05 .

3 - محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، نفسه ، ورقة 01 .

2- المجتمع التواتي :

2-1- أصل السكان إقليم توات:

سبق وإن أشرنا إلى أن إقليم توات كان أهلا بالسكان منذ ما قبل التاريخ ، إذ يعتبر الإقليم موطن الإنسان البدائي الذي خاف وراءه شواهد وأثار على شكل رسومات منقوشة على الصخور والتي عبرت عن ظروف حياته المعيشية وبيئته الاجتماعية هذه الآثار وجدت في كل من أولف ورقان وعين صالح ، لكن الإقليم سوف يشهد ترسب عناصر سكانية هامة منذ العصور التاريخية الأولى ، إذ تعايشت فيه كل العناصر الموجودة في شمال إفريقيا تقريبا والتي اتخذت من واحاته مقرا لها قصدوه أفرادا وجماعات ، أعطت مع مرور الزمن سكان قصوره مع التباين الكبير في أصولهم والأماكن التي أتوا منها . وعرف السكان في توات أربع عناصر سكانية أتت إليه عبر أزمنة مختلفة وهي :

البربر :

يعتبرون من السكان الأوائل لإقليم توات حسب ما أشارت إليه المصادر التاريخية خاصة قبيلتي صنهاجة وزناتة البربريتين ، ومن بين المصادر التاريخية التي ترجع أصل هؤلاء البربر إلى صنهاجة هو عبد الرحمن ابن خلدون حيث يقول في أحد نصوصه التاريخية : " هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، ... وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، وعفوا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم من جزالة فلمتونة فمسوفة فوتريكة فناوكا فزغاوة ثم لمطة إخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة ... وكانت الرياسة فيهم للمتونة "[1] ، وما ذكره ابن خلدون أكده محمد أبوراس الناصري المتوفى خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر

---

1 - ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص371 .

الهجري (التاسع عشر الميلادي) الذي بين أن الملثمين فرع من بطون صنهاجة هم السكان الأصليين للمنطقة حيث يقول : " فقبيلة قدالة منهم ومساكنهم قبلة المعقل عرب السوس الأقصى ولمتونة وتريكة في مقابلة ذوي منصور ... ومر الكلام على ملوك لمتونة ومسوفة في مقابلة المغرب الأوسط ولمطة في مقابلة غرب الزاب وتركا في مقابلة أفريقيا "[1] ، كما يورد المؤرخ بابا حيدة وهو أحد المؤرخين المحليين للإقليم في كتابه " القول البسيط في أخبار تمنطيط " أن قبيلة لمتونة من بطون صنهاجة هي أول من نزلت بتمنطيط . يقول : " ... أول من نزل بها وبنى القصر الأول يقال أنهم الملثمون أولاد يوسف بن تاشفين ، حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس ... فجاؤها هاربين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات ووجدوا بها الجدب فعرفوا أنها أرض أمان "[2] .

وإلى جانب صنهاجة عرف إقليم توات قدوم قبائل بربرية أخرى من الشمال وهي قبائل زناتة ، وقد أرخ ابن خلدون أيضا لقبائل زناتة و اعتبرها من القبائل الشمالية التي هاجرت إلى توات إذ يقول : " وسكن المناطق الأخرى من الصحراء قبائل زناتة قصور تيقورارين على عشر مراحل من تلمسان وتنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد وفي الجنوب الغربي منها قصور توات وبعدها تمنطيط "[3] ، ويؤكد كذلك المؤرخ المغربي الناصري السلاوي في كتابه " الاستقصا لأخبار المغرب الاقصا " أن قبائل زناتة استقرت بإقليم توات وشيدت القصور مثل قصور بودة وتمنطيط وتسابيت وتيقورارين التي كان أكثر سكانها من زناتة[4] ، هذه القصور أشار إليها كذلك المؤرخ عبد العزيز الفشتالي في

1 - محمد أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، تحقيق المهدي البوعبدلي ، ص12 .
2 - أبن بابا حيدة ، مصدر سابق ، ورقة 16 .
3 - ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص372 .
4 - السلاوي الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصا ، مصدر سابق ، ج03 ، ص173 .

كتابه " مناهل الصفا في ذكر موالينا الشرفا " بأن معظم سكانها من القبائل الزناتية البربرية[1] .

يتضح من خلال هذه النصوص التاريخية أن القبائل البربرية الصنهاجية والزناتية هاجرت إلى الإقليم منذ عهد الرومان والبيزنطيين هروبا من تعسف المحتلين وإرهاقهم بالضرائب وغيرها ، أو تحت تأثير عدم الاستقرار السياسي واضطراب الأمن العام[2] ؛ لأنه كان يمثل بالنسبة لهذه القبائل البربرية ملجأ يبعدهم عن الاضطهاد الذي عانوه في الشمال خاصة بعد رحيل الفاطميين[3] ، ومع قدوم العنصري العربي الذي ألف الصحراء وتمرس على طرق العيش فيها ولتجنب الدخول في صراع من النوع الذي عرفوه في التل راحوا يستقرون في مواقع يشعرون فيها بالأمن والطمأنينة وتملكوا البساتين خصوصا في الواحات البعيدة[4] .

اليهود :

تواجد اليهود في إقليم توات مثله مثل باقي أنحاء العالم بسبب حالة أللاستقرار التي عانوا منها بدءا من السبي البابلي علي يد نبوخذ نصر (605 – 562 ق.م) ومرورا بمجازر سيرنياك التي إرتبكها الرومان في القرن الأول الميلادي في حقهم و إنتهاءا بطردهم من الأندلس إثر سقوط غرناطة سنة 898هـ/1492م، المدينة التي صمدت في وجه الغزو الاسباني المسيحي[5] ، فعرفت بعض الجهات من الإقليم هجرات عديدة مبكرة

---

1 - عبد العزيز الفشتالي ، مناهل الصفا في ذكر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، 1972م ، ص73 .

2 - إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، مرجع سابق ، ص194 .

3 - الفاطميون (العبيديون) : أسرة حكمت في التاريخ ما يقرب من ثلاثة قرون (298هـ /567هـ) ، (910م / 1171م) ، نشأت في المغرب الإسلامي وامتد حكمها الى مصر وبعض الشام ، وتنسب الى مؤسسها الأول عبيـد الله الشيعي الذي يدعي أنه من سلالة علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم . أنظر : مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص219 .

4 - إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، مرجع سابق ، ص195 .

5 - جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين(1492م/1610م)، دار هومه، الجزائر، 2004م، ص25 .

لليهود أتت إليه من مختلف الجهات ، من الشام ومصر والحجاز واليمن والحبشة ، استقرت في الواحات الواقعة على خط القصور من مصر حتى المغرب الأقصى على طول الأطراف الشمالية للصحراء[1] .

ويذكر الرحالة حسن الوزان أن عددا من اليهود قد نزلوا بعد طردهم من بلاد الأندلس وصقلية في مناطق جنوب المغرب الإسلامي خاصة في منطقتي القورارة وتوات[2] ، ولقد كانت توات مركزا مهما لتواجد اليهود ، بل سيطروا فيها على قصور بكاملها و بها بنوا الكنس إعلانا عن قوتهم التي تملكوها في المنطقة[3].

العرب:

وهم أخر المهاجرين إلى إقليم توات فهجراتهم الأولى حديثة لا تتعدى القرن الثالث عشر الميلادي ، وأغلبها تنتمي إلى فروع بني المعقل[4] وهم على ثلاثة بطون وهم ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان ، وكان دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين[5] في عدد يقال أنهم لم يبلغوا المأتيين[6] ، وتحدث المؤرخ محمد بن عمر البداوي عن موطنهم بتوات بتوات في مخطوطه " نقل الرواة عمن أبدع قصور توات " نقلا عن أبن خلدون إذ يقول :

1 - إسماعيل العربي ، دور اليهود في التجارة في صدر الإسلام ، مجلة الثقافة، عدد32 ، الجزائر ، 1396ه/1976م، ص52 .

2 - حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج02 ، مصدر سابق ، ص436 .

3 - المصري المبروك ، الوضع الاجتماعي والثقافي ليهود توات ودور المغيلي في تصحيحه ، الملتقى الـوطني الأول – العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي – جامعة أحمد درايـة ، ادرار ، 14-15 أبريـل 2009م ، ص283 .

4 - بني المعقل : من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر من زغبة في موطنهم بقبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جانب الغرب . أنظر : ابن خلدون ، ج06 ، ص119 .

5 - بني هلال : من بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفص بن قـيس عيلان بن مضر يستقرون بين مصر وإفريقية وبنوا حرب الذين بالحجاز وبنوا رياح الذين أفسدوا إفريقية . أنظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصـر ، 1382هـ ـ/1962م ، ص274-275 .

6 - أنظر : ابن خلدون ، ج06 ، ص119 .

" وأما مواطن العرب فقد قال أبن خلدون عند ذكره بني عبيد ، " فأما عبيد الله وهم المجاورون لبني عامر[1] من زغبة[2] سلطان بني عبد الواد[3] من زناتة، فمواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب واد ملوية في البحر ومنبعث وادي ضا من القبلة ، وتنتهي رحلتهم في القفار إلى قصور توات وتمنطيت، وربما عاجوا ذات الشمال إلى تسابيت وتوكورارين وهذه كلها رقاب القفر إلى بلاد السودان " [4].

ومما تجدر الإشارة إليه أن عرب بني المعقل لم يأتوا كغزاة مثل عرب بني هلال وبني سليم ، فقد استطاع بنو المعقل استغلال الضعف الذي دب في الدولة المرينية للسيطرة على إقليم توات[5] ، فأسسوا بذلك نظام اجتماعي خاص بهم يشبه نظامهم السابق في شبه الجزيرة العربية[6] ، ويضيف فيرون أنهم تحالفوا مع القبائل الزناتية البربرية وسكنوا معهم في قصورهم . يقول : " ... ففي القرن الثاني عشر الميلادي ظهرت جماعة من السكان في واحة تقع في الغرب ويرجح أنها قدمت من جنوب شبه جزيرة

1 - بني عامر : بطن من عامر بن صعصعة . أنظر : السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص165 . وكذلك : مصطفى أبوضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في المغـرب في عصر الموحدين وبنومرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م ، ص156 .

2 - زغبة : إخوة رياح أبناء ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر نزلوا عند دخولهم إفريقية بنواحي طـرابلس وقـابس واستقروا في المغرب الأوسط ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار . أنظر : مصطفى أبوضيف أحمد عمر ، القبائـل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبنومرين ، مرجع سابق ، ص224 .

3 - بني عبد الواد : هم فخدان أحدهما بنوا عبد الواد وبهذا عرف الجميع تغليبا وأصله عابد الوادي . أنظـر : أبـي زكرياء يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1400هـ/1980م ، ج01 ، ص186 .

4 - محمد بن عمر البداوي ، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات ، مصدر سابق ، ورقة10 و 11 . نقـلا عـن ابـن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص71-72 .

5 - ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص118 ص122 .

6 - ريمون فيرون ، الصحراء الكبرى ، ترجمة جمال الناضوري ، مكتبة الانجلو المصـرية ، القـاهرة ، 1968م ، ص68 .

العرب وهي تدعى بقبيلة عرب المعاقيل ولم يأتوا للغزو كما حدث مع بني هـ ـ ـلال ولكنهم قدموا كبدو وسكنوا معهم في توات... "[1] .

ويشير ابن خلدون إلى تطور كبير عرفه عرب المعقل في توات خاصة والصحراء عامة إذ سيطروا على القصور التي شيدها الزناتيون وملكوا ملكهم وفرضوا عليهم الضرائب والإتاوات يقول في ذلك : " ... فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن، قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البيداء فنموا نموا لا كفاء له ، وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا، ثم توات ثم بودة ثم تمنطيت ثم واركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار وأكثر سكانها من زناتة ، وبينهم فتن وحروب على رياستها ، فجاز عرب المعقل هؤلاء الأوطان في مجالاتهم ووضعوا عليهم الأتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا. " [2].

وهذا ما يدل على التعريب الذي مس القبائل الزناتية خاصة والبربرية عامة المتواجدة بتوات على أيدي هذه القبائل العربية ، حتى أصبحت لغة القبائل الزناتية مقتصرة على بعض المناطق الموجودة في منطقة تيميمون إلى حد ألآن .

2-2- الفئات الاجتماعية في المجتمع التواتي :

عند دراسة المجتمع التواتي لا يمكن بأي حال من الأحوال تجنب الحديث عن الفئات الاجتماعية التي يتشكل منها هذا المجتمع والتي تطرح العديد من التساؤل والإشكاليات الاجتماعية حول تشكيلها وسبب تواجدها في مجتمع أفراده كلهم يدينون بدين الإسلام الذي يدعوا إلى السواسية كأسنان المشط بين أفراده ، وأكثر من ذلك أن هذه

---

1 - ريمون فيرون ، الصحراء الكبرى ، نفس المرجع السابق ، ص68 .

2 - ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص120 .

الفئات لم تكن موجودة قبل الإسلام بدليل أن الأفراد الذين ينتمون إلى الفئات العليا في توات لم يكونوا موجودين إلا بعد مجئ الإسلام إلى توات بقرون .

وعند دراسة مكونات كل فئة نلاحظ أن مرجعية التصنيف المعتمدة تخضع لمعايير وشروط لابد أن يتوفر إحداها في الفرد حتى يدرج في هذه الفئة أو تلك ، أبرزها الأصل والمولد والمكانة الاجتماعية للفرد[1] إضافة إلى لون البشرة في بعض الأحيان[2] ، لذى انقسم المجتمع التواتي وفقا لهذه المعايير إلى أربع فئات اجتماعية وهي : الأشراف ، والأحرار، والحرثانيين ، والعبيد[3] ، وهناك من يضع تقسيما أخر مكونا من خمس فئات وهم : الشرفاء ، والمرابطين ، وعرب الخاط ، والحراثين ، والعبيد[4] ، وهناك من يقسمهم إلى فئتين : فئة خاصة وفئة عامة ، فالفئة الخاصة تضم الكبراء والأعيان وأصحاب الجاه والنفوذ من رؤساء شيوخ القبائل والمقاطعات ، والأشراف والمرابطين والقضاة والعلماء وكبار التجار ، أما الفئة العامة فتضم قبائل البدو الرحل أصحاب المواشي والمزارعين من فئة الحراثين والحرفيين و العبيد[5] .

هذه التقسيمات وإن تعددت واختلفت إلا أنها تتقاطع فيما بينها في العديد من المدلولات ، لذا سوف نعتمد التصنيف الذي يبين بوضوح فئات هذا المجتمع الخاصة به دون غيره من المجتمعات والتي تلقى شبه إجماع من طرف الدارسين للإقليم وهي : الأشراف ، والمرابطين ، والحرثانيون ، والعبيد .

1 - فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين 18م/19م ، مرجع سابق ، ص32 .

2 - عبد القادر بحفيد ، الزيارة في ادرار – الوظيفة والتوظيف – بحث في واقع النظام التراتبي الاجتماعي بتـوات ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، مرقونة ، تحت إشراف الأستاذ عمار يزلي ، جامعة وهران ، 2011/2010م ، ص17 .

3 - فرج محمود فرج ، نفسه ، ص34 .

4 - الصديق حاج أحمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات ، مرجع سابق ، ص54 .

5 - خديجة دوبالي ، طبقات المجتمع التواتي من خلال الهجرات البشرية في القرنين الثامن عشـر والتاسـع عشـر الميلاديين ، الملتقى الوطني الأول – العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي – جامعة أحمـد دراية ، ادرار ، 14-15 أبريل 2009م ، ص356 -357 .

الأشراف :

الشريف هو الذي يتميز بشرف وعزة ونبل شخصيته وسلالته ، أما الأشراف فهم المنتسبون إلى آل البيت ، وهذه الفئة احتلت مكانة مميزة في المجتمع التواتي ، إذ تتفق معظم الدراسات على أنهم قدموا إلى توات من شمال المغرب العربي وهم يتواجدون في معظم القصور التواتية والتيدكلتية والقورارية لكن النسبة الكبيرة منهم توجد في واحات توات[1] ، وما زادهم تميزا دون غيرهم هو الهدايا التي كان يخصهم بها السلطان المغربي، فمثلا في سنة 1211هـ/1797م قدرت قيمتها ب2500 مثقال[2] ، وفي أواخر جمادي الأولى من سنة 1244هـ/1828م قدرت قيمتها ب2000 مثقال ، مما نتج عنه وضع لائحة للأشراف الذين تلقوا هذه الهدايا مما مكن من إحصاء عددهم الذي قدر في هذه السنة (1828 م) ب359 شريف[3] ، بالإضافة إلى تلقبهم بلقب " مولاي " حتى يعرفون به داخل المجتمع ، وللإشارة فإن هذا اللقب تميز به شرفاء توات عن غيرهم من شرفاء المغرب العربي وهو إلى اليوم يتناقلونه أبا عن جد .

المرابطين:

لقب المرابطين مشتق من الرباطات أي الذين رابطوا في سبيل الله أولا ، ثم العبادة والاعتكاف في الثغـور والحـدود[4] لحماية دولة الإسلام قال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذين آمَنُواْ اصبِرواْ وصابِرواْ ورابِطُواْ واتَّقُواْ الله لَعَلَّكُم تُفْلحون ﴾[5] ، ثم قال : ﴿ وأَعدوا لَهم ما استَطَعتُم من قُوة ومن رِباط الْخَيل تُرهبون بِه عدو الله وعدوكُم ﴾[6] ، لكن مع مرور الوقت وتطور الأوضاع الإسلامية أصبح هذا اللقب يحمله فئة من المجتمع تنسب إلى جدهم الذي كان مرابطا ، وفي المجتمع التواتي كانت تمثل الفئة الثانية في السلم التراتبي

1 - محمد أعفيف ، مرجع سابق ، ص95 .

2 - A , g , p martin , quatre siècles , op cite , p139.

3 - A, g , p , martin , ibid , p139-140.

4 - عبد العزيز بنعبد الله ، الموسوعة المغربية ، معلمة الصحراء ، ص194 .

5 - الآية رقم 200 سورة آل عمران .

6 - الآية رقم 60 سورة الأنفال .

للمجتمع بعد الأشراف ، يتمتعون بمكانة مرموقة محترمين وموقرين من طرف الجميع ، إضافة إلى إعفائهم من الضرائب وتخصيص نصيب لهم من المال يضمن لهم الحياة الكريمة[1] .

الحرثانيون :

ورد ذكر الكلمة في مخطوط " الغنية البلبالية "[2] وقد اختلف في أصل الكلمة بل وحتى في كتابة الكلمة ، فتارة ترد كتابتها بحرف الثاء أي " حرثاني " وتارة ترد بحرف الطاء أي " حرطاني " ، أما أصحاب هذه الفئة فهناك من يرى أنها تطلق على أصحاب البشرة السمراء الذين جيء بهم من السودان ويتميزون عن العبيد كونهم أحرارا[3] ؛ ويذهب البعض على أن الكلمة مركبة من (حر + ثاني) أي أنصاف الأحرار ، والأهالي يدعونهم بالحراطين[4] والبعض الأخر يجعلهم نتيجة لقاء العنصر البربري مع العنصر الإفريقي ، وهناك من يجعلهم أحد العناصر المستقرة في الواحات قبل مجئ الهجرات البربرية ، وتتواجد هذه الفئة في كل القصور التواتية بدون استثناء وتصل نسبتهم العامة بين سكان توات إلى 5/2 من مجموع السكان[5] يعملون في الأراضي الفلاحية .

العبيد :

يعد موضوع العبيد أو الرق مثل ما يحلو للبعض تسميتهم من أشد الموضوعات حساسية وأكثرها مدعاة لاختلاف الرأي ، لأنهم وجدوا في جهات كثيرة من العالم وكانوا مرتبطين بالبنية الاقتصادية والاجتماعية في كثير من الحضارات الإنسانية القديمة في كل

---

1 - خديجة دوبالي ، طبقات المجتمع التواتي من خلال الهجرات البشرية في القرنين الثامن عشـر والتاسـع عشـر الميلاديين ، مرجع سابق ، ص359 .

2 - أنظر : محمد بن عبد الرحمن البلبالي ، غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل ، مخطوط بخزانة المطارفة ، ورقة 69 .

3 - عبد العزيز بنعبد الله ، الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية ، مرجع سابق ، ص86 .

4 - فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 الميلاديين ، مرجع سابق ، ص34 .

5 - محمد أعفيف ، مرجع سابق ، ص90 .

من الصين ومصر والهند وبلاد الرافدين واليونان والرومان ، وكان الخطف والقرصنة والحروب العسكرية والعقوبات التي تلحق بالأفراد من أخصب موارد الاستعباد في العصور القديمة[1] .

ومن المتعارف عليه أن الإسلام حصر مصدر الاستعباد في الحرب فقط وبشرط أن تكون ضد المشركين ، وبانتشاره (الإسلام) قام شكل آخر من الاستعباد أشد قسوة نوعا ما إذ بالرغم من أن القرآن أوصى بالمعاملة الإنسانية فإنه لم ينص على مسؤولية الجماعة من أحوال الأسرى وحماية حقوقهم ممن لم يكونوا من المؤمنين بالله الحق ، هذا ما سمح بوجود الملكية الدائمة والإنكار الكلي لحقوق الملكية ، ولهذا تحول الاستعباد إلى نفي جذري لإنسانية الضحية[2] .

وقد عرف إقليم توات تواجد هذه الفئة الذي كان يؤتى بهم من بلاد السودان في إطار تجارة الرقيق ، وقد اكتسبت هذه التجارة أهمية كبيرة في التجارة بين توات وبلاد السودان إلى جانب تجارة الذهب لان أثمانهم كانت منخفضة في بلاد السودان مقارنة مما هي عليه في العالم الخارجي ولذا كان التجار يعودون بأعداد كبيرة منهم ، وكل من كان يقع في الأسر أو يختطف يباع إلى التجار فيؤتى به إلى بلاد المغرب[3] ليتم إعادة بيعه في سوق خاص بهم يسمى سوق النخاسة، أما عن أصولهم فقد حددها عبد الرحمن سلكة على أنهم من قبائل الفولان والبامبارا والمانيقو والبوبو والهابيبي وموشى والهاوسا والسرفو

1 - أنظر : جمال زكرياء قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، دار الفكر العربي ، مدينـة نصـر ، 1416هـ/1996م ، ص194 .

2 - أنظر : دونالد ويدنر ، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة راشد البراوي ، دار الجيل ، الفجالة ، ص64 .

3 - بن عبد المؤمن بهية ، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18 و19 الميلاديين ، مـذكرة لنيـل شـهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، مرقونة ، تحت إشراف الأستاذ بن معمر، جامعة وهران ، 2006/2005م ؛ 1427هـ/1426هـ ، ص49 .

والفوتا[1] ، ولقد جيئ بهم إلى توات للعمل في مجال الزراعة ورعي الحيوانات وحفر الفقاقير[2] وقد شكلوا نسبة مهمة من المجتمع التواتي .

من خلال هذه اللمحة التعريفية للفئات التي يتشكل منها المجتمع التواتي وما كتب عنها في الكثير من التقاييد والدراسات يتضح لنا أن تشكل هذه الفئات بدأ مع مجئ الإسلام وقدوم العنصر العربي ، ونتيجة لوجود العديد من العناصر السكانية ضمن تشكيلة هذا المجتمع والصراع بين هذه العناصر بطريقة أو بأخرى جعل الفئات العليا في هذا المجتمع تضع لنفسها محددات وألقاب (مثل لقب " مولاي " ولقب " مرابط " الذي يعبر عن من ينتمي إلى فئة المرابطين) حتى تضمن لنفسها البقاء وعدم الانصهار في الفئات الأخرى ، هذه الأخيرة تشير الإحصائيات إلى كثرة عددها وأسبقية وجودها في جميع قصور توات وتيديكلت وقورارة ، إلا أنهم استغلوا أبشع الاستغلال[3] وعملوا في الأعمال التي كان يأبى الأشراف والمرابطين العمل بها مثل الفلاحة وحفر الفقاقير ، كما يتبين لنا أن الإسلام بتعاليمه وأوامره ونواهيه لم يتغلغل بالشكل الصحيح والقدر الكافي في نفوس بعض سكان توات ، الذي يجعل المعاملة الحسنة والتعاون ونشر الأخوة و المحبة بين أفراده من واجبات المسلم نحو أخيه المسلم ، هذا الوضع أثار مشاعر كل من عرف المنطقة وله غيرة على الإسلام والمسلمين ويأتي في مقدمتهم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قال فيهم : " أن أكثرهم أحق بالجهاد من النصارى واليهود "[4] ، وكذلك الشيخ أحمد بابا التنبكتي [5] في رده على مسألة بيع العبيد وامتلاكهم في توات رغم إسلامهم حيث كتب في

1 - Abderrahman , Selka , Notice sur le Touat –(1913) , p524 .

2 - فرج محمود فرج ، نفس المرجع السابق ، ص35 .

3 - ورد في غنية المقتصد أبشع صور الاستغلال والتنكيل بالعبيد ، منها نازلة تشير بأن رجلا قام بفقع عين عبـده . أنظر : محمد بن عبد الرحمن البلبالي ، غنية المقتصد ، مصدر سابق ، ورقة 725 .

4 - محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، مخطوط بمكتبة مبروك مقدم ، ورقة 27 .

5 - أحمد بابا التنبكتي : هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد ، ويرجع نسبه إلى قبيلة عربية صحراوية ، ولد في تنبكتو وكان والده يتولى القضاء بها وكذلك جده ، له العديد من المؤلفات أبرزها : نيـل الابتهـاج بتطريز الديباج ، وكذلك : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج . أنظر : البرتلي الولاتي ، فتح الشكور في معرفة

حقهم رسالة سماها " الكشف والبيان لأصحاب مجلوب السودان " ونص السؤال الذي عرض عليه جاء كالأتي : " ما تقولون في العبيد المجلوبين من البلاد التي تقرر إسلام كل أهلها كبلاد برنو وعفنوا وكروا وكاغوا وسغى وكشر ونحوها ممن استفاض إسلامهم هل يسوغ تملكهم أم لا ؟ "[1] واحتوى نص الرسالة على 11 ورقة في رد مفصل سماها " معراج الصعود إلى نيل مجاب السود " أو الاسم الذي اشتهرت به وهو " الكشف والبيان لأصحاب مجلوب السودان "[2]، وقد بين فيها عدم جواز امتلاكهم .

3- يهود توات :

3-1- هجرة اليهود إلى توات :

بالرغم من إجماع المؤرخين* على الهجرة القديمة لليهود إلى الواحات الصحراوية عامة و واحات توات خاصة إلا أنهم لازالوا يصفونهم بالجالية رغم تأكيد بعضهم على أنهم أقدم بكثير من بعض العناصر الأخرى في المنطقة كما عرفنا سابقا ، فجاكوب أوليال(Oleil Jacob) يذكر في كتابه " يهود توات في العصر الوسيط " بأن المنطقة شهدت عدة هجرات يهودية أولها كانت في القرن الثاني الميلادي بين سنتي 132م / 135م[3] ؛ وأقدم التواريخ لهجرة اليهود والاستقرار في الواجهة الصحراوية يرجع إلى بداية القرن الأول الميلادي حيث يحمل قبر يوسف بن ميمون في إيفران بالجنوب المغربي تاريخ 3756 من التاريخ اليهودي أي سنة 05 ق . م[4] ، أما مارثان فيعطي تاريخ آخر لهذه

علماء التكرور ، تحقيق محمد حجي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1401هـ/1981م ، ص29 . كذلك : محمد سعيد القشاط ، أعلام من الصحراء ، دار الملتقى ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1997م ، ص27 .

1 - أحمد بابا التنبكتي ، الكشف والبيان لأصحاب مجلوب السودان ، مخطوط بمكتبة مبروك مقدم ، ورقة 01 .

2 - أحمد بابا التنبكتي ، نفسه ، ورقة 11 .

3 - Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahra, Le Touat au Moyen Age, CNRS,Paris,1994 , p17 .

4 - محمد أعفيف ، مرجع سابق ، ص65 .

الهجرات يرجعه إلى بداية القرن السادس للميلاد 517م[1] حيث بنيت بيعة في قصر تمنطيط ، وهذه الهجرة وتدفق اليهود على توات لم يتوقف إلا في القرن 9هـ / 15م ، وقد اتبع اليهود أثناء هجرتهم إلى توات العديد من أنواع الطرق بحسب الوجهة التي قدموا منها يحددها " جاكوب " في أربعة طرق رئيسة وهي :[2]

1 – الموصل – الشام – مصر – ليبيا – تمنطيط .

2 – الحجاز (خيبر):
- الشام – مصر – ليبيا – تمنطيط .
- اليمن – الحبشة – مصر – ليبيا – تمنطيط .

3 – السيرانيك – جبل نفوسة – ميزاب – تمنطيط .

4 – الأندلس – المغرب الأقصى:
- السوس – درعة – تمنطيط .
- تافيلالات – تمنطيط .

ورغم أن كل هذه الهجرات استقرت مثل ما هو موضح في قصر تمنطيط بحكم دورها السياسي والاقتصادي في الإقليم إلا أن هذا لا يعني أنهم لم يتواجدوا في قصوره الأخرى خاصة في توات وقورارة ، ويتحدث " مارثان " على أن بعض القصور التواتية كانت خاصة باليهود وأن بعضها كانت تخضع لحكم بعض اليهود الذين كانوا يتصرفون فيها .

3-2- أماكن استقرار اليهود في توات :

تواجد اليهود في إقليم توات بالإضافة إلى قصر تمنطيط الذي يعتقد أنهم من قاموا ببناءه ، نجدهم كذلك في قصر تاسفاوت ، وتيطاف ، وتمزغت ، وتازولت ، وغرم علي[3]؛ هذا الأخير عثر فيه الرحالة قوتييه Gautier سنة 1321هـ/1903 م على صورة لشاهدة حجرية منقوشة لقبر اليهودية التواتية المسماة " حنة بنت عمرام " حسبما أورده

1 - Martin , a.g.p. ,les oasis sahariennes , op , cit , p85 .

2 - أنظر الخريطة في الملحق ، ص 130.

3 - Selka Abderrahman , Notice sur le touat , op , cit , p539 .

جاكوب أوليال [1]، لكن هذا التواجد الكبير لليهود في الإقليم يطرح العديد من الإشكالات لذى المهتمين بيهود توات واستقرارهم به ، وللإجابة عليها سيقت عدة فرضيات منها أن هجرتهم كانت بأعداد هائلة وفي فترات زمنية مختلفة بسبب الأوضاع السياسية التي عانوا منها ، أو أن أعدادا قليلة من اليهود الأصليين هاجروا إلى الإقليم وقاموا بنشر الديانة اليهودية بين سكان توات البربر[2] ، فالمستشرق الفرنسي " إيشالي " (Echallier) الذي اهتم بدراسة يهود توات يرجح الفرضية الثانية والتي تتحدث عن بربر تهودوا وأصبحوا يدينون بالديانة اليهودية ولكن دون أن يتعبرنوا أي ينطقوا باللغة العبرية ، وإذا ما أخذنا بهذا الرأي فإننا نجد البربر رغم تهودهم في توات واتخاذهم اليهودية كديانة لهم ، إلا أنهم حافظوا على لغتهم وثقافتهم بعكس ما عرفوه عندما قدم العرب بالديانة الإسلامية فإنه زيادة على إسلامهم نجدهم قد تعربوا وتنازلوا عن لغتهم لتحل محلها العربية إلا في بعض المناطق من قورارة مثلما أسلفنا الذكر، وهنا يتضح لنا الاختلاف بين مدى التأثير اليهودي والتأثير العربي على البربر في المنطقة.

3-3- عوامل استقرار اليهود في توات:

السؤال الذي يطرح هو لماذا اختار اليهود الاستقرار في هذه المنطقة الضاربة في عمق الصحراء المسماة توات؟

لقد اجتمعت العديد من العوامل في منطقة توات جعلت منها ملجأ ليس فقط لليهود بل لمختلف العناصر التي وجدت فيه ، فمنها ما هو سياسي ومنها ما هو اقتصادي ومنها ما هو جغرافي ، فإقليم توات كان طيلة فتراته التاريخية وبحكم بعده عن مراكز الحكم في الشمال كان مستقلا بنفسه ، وحتى عندما خضع للسلطان أحمد المنصور الذهبي[3] الميري

1 - Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahra, Le Touat au Moyen Age, op , cit , p130 .

2 - Echallier , (j .c) , villages désertes et structures agraires anciennes du touat , Gourara Algérien , paris , AMG , s.d , 1972 , p16 .

3 - المنصور الذهبي : هو أبو العباس أحمد المنصور ابن السلطان أبي عبد الله الشيخ المهدي السعدي ، ولد بفـاس سنة 956هـ/1549 م ، وبويع بالخلافة بعد أخيه عبد الملك المعتصم ، توفي يوم الأحد 16 ربيـع الأول 1012هـ ـ الموافق ل 24 أوت 1603 م . أنظر : القادري محمد بن الطيب ، نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني (موسوعة أعلام المغرب) ، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط01 ¡ 1996م ، ج03 ، ص1124 . كذلك : الفاسي عبد الكبير ، تذكرة المحسنين لوفيات الأعيان وحـوادث السـنين (موسـوعة أعـلام

في القرن 16م / 10ه كان خضوعا شكليا ومقتصر على دفع الإتاوات والضرائب إلى حكومة المخزن [1]، كما يعتبر الإقليم همزة وصل بين الشمال والجنوب وبالتالي أهله هذا الموقع أن يكون ملتقى الطرق التجارية الآتية نحو الجنوب و الذاهبة نحو الشمال ، من قصوره كانت تخرج القوافل إلى بلاد السودان وأوربا تحدث عنها ابن خلدون إذ يقول : " ومنها أنطلق نشاطهم الحضاري إلى أوربا والسودان مثل توات وبودة وتمنطيط و وارجلان وتيقورارين شرقا " [2]، وأصبح كذلك طريق قوافل الحجيج في سفرها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ، فمر به سلطان مالي كنان بن موسى ، وكذلك الرحالة أبو سالم العياشي خلال القرن 11ه/17م الذي مر بمقاطعة تسابيت حيث وصف أهلها بأنهم أصحاب تجارة ليقوم بشراء جميع ما يحتاج إليه في رحلته قبل أن يكمل طريقه [3]، كما أن توفر الأمن والماء وكثرة قصورها وامتدادها من الشمال إلى الجنوب جعلها تتحول إلى محطات استراحة العابر للصحراء ، وفي اعتقادي أن الوصف الذي قدمه عبد العزيز الفشتالي عن الإقليم يعتبر بمثابة دعوة للمضطهدين في العالم لجعل الإقليم قبلتهم المفضلة يقـ ـ ـ ـول : " ... فالقـ ـ ـ ـطران (يعني توات وتيكورارين) عالم من عوالم الأرض وإقليم من أقاليم الدنيا بما جمع من الأمم ، وتراكم فيه من القصور واتصل من العمران وتخلله من العيون ذات الآبار والنخيل المرخي على أكتافه جناحا من الليل الدامس ، وكانت الملوك المغلوبون في القديم والحديث على أرضهم وممالك سلطانهم يلجئون إليه عند تجهم الزمان وتلون الدهر وعثار الجد لبعده عن منال الجيوش والعساكر، بما حف به من جميع الجهات من عروق الرمل ، ومهامه القفر التي تضل بها القطا وتغمرها بحار من الرمل لا تقطعها ذوات الجناح حتى صار بذلك جزيرة في فلاة الأرض لا تهتدي إليها سوافي الرياح " [4] .

المغرب)، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق ، دار الغرب الإسـلامي ، بيـروت ، لبنـان ، ط01 ؛ 1996م ، ج03 ؛ ص1136 .

1 - عبد الله منقلاتي ، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات ، مجلة الحقيقة ، عدد06 ، ماي 2005 م ، ص254 .

2 - ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج06 ، ص120 .

3 - العياشي ، الرحلة العياشية ، مصدر سابق ، ص79- 80 .

4 - الفشتالي أبو فارس عبد العزيز ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، مصدر سابق ، ص73 .

هذه العوامل وغيرها لم تكن لتخفى عن اليهود الذين أدركوها ومن خلالها أدركوا أهمية المنطقة فقصدوها واستقروا بها ومع مرور الوقت اكتسبوا مكانة وقوة في هذه الواحات وصلت في بعض الفترات إلى حد السيطرة على بعض القصور خاصة في العصور الوسطى ببسط نفوذهم على كل النشاطات الاقتصادية والسياسية والأمنية والقضائية وأصبحوا يتصرفون فيها بدون رادع يردعهم أو يوقفهم ، وتحكموا في القادة والساسة وتسلطوا عليهم وأخضعوهم لإرادتهم وخدمة مصالحهم ما مكنهم من لعب دور كبير في منطقة توات خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة خلال العصور الوسطى .

تمهيـــد:

خصصنا هذا الفصل لبيان **دور الطائفة اليهودية في إقليم توات** ، وذلك بإبراز أهم الأدوار التي قاموا بها في الاقليم سواءاً كانت سلبية أو ايجابية خاصة في :

- **المجال الاقتصادي** : كالتجارة والحرف اليدوية ومساهمتهم في حفر الفقاقير .
- **المجال السياسي** : كتعيين القضاة والصراع الذي وجد بين القبائل التواتية .
- **المجالين الاجتماعي والعمراني** : تمثل في مدى مساهمتهم في البناء الاجتماعي للمنطقة و العمران الخاص بهم .

الدور الاقتصادي:

1-1- دورهم في التجارة :

تعتبر التجارة بمثابة دين ثاني لليهود إذ احترفوها ونشطوا بها أينما حلوا ورحلوا منذ العصور القديمة ، وقد سبقت الإشارة إلى أن منطقة توات لعبت دورا كبيرا في التجارة الصحراوية، هذا الدور عززه تواجد اليهود بالمنطقة وقد سجل معظم الباحثين الريادة اليهودية في هذه التجارة ، فكانت لهم مشاركة مهمة في تجارة القوافل، هذه الأخيرة لعبت دور لا يمكن أن ينكر بأي حال من الأحوال في ازدياد أهمية الواحات التواتية مقارنة بمجموع الواحات الصحراوية الأخرى[1]، كما أنه لا يمكن تفسير عددا من الأحداث والصراعات التي وقعت في توات وحولها إلا في إطار تجارة القوافل بعد أن أصبحت هذه الواحات ممرا رئيسا لها .

هذه التجارة ذرت على اليهود أموالا طائلة وثروات فاحشة ما مكنهم من بسط نفوذهم على جميع الميادين فتحكموا في الحركة التجارية بمختلف مسالكها خاصة تلك التي تعتبر إقليم توات أحد محاورها الرئيسة وهي [2]:

- من ناحية الشمال نجد ثلاثة مسالك مختلفة تربط بين :

توات ---- فجيج

توات ---- الجنوب الوهراني

توات ---- وسط الجزائر مرورا بغرداية

---

1 - هذا ما تبينه الرسالة التي بعث بها سلطان بورنو في سنة 844هـ/1440م إلى علماء توات يشتكي لهم فيها مـن حال بلاده التي لم يعد يقصدها تجار كثيرون كما كانوا يفعلون سابقا أي في الفترة التي ازدهرت فيهـا التجـارة بـين السودان الغربي وشمال إفريقيا بسبب سيطرة اليهود على مرافق التجارة في توات ، الأمر الذي دفع بالتوارق الذين تقع بلادهم بين توات وبورنو إلى قطع الطريق أمام القوافل التجارية التي تمر على أراضيهم . أنظر : عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء ، مرجع سابق ، ص28 .

2 - أنظر : محمد الصالح حوتية ، آل كنتة (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة) ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2008م ، ص110-111 .

ويمكن لهذه المسالك أن تشترك في بعض المراحل مثل مسالك توات – الجنوب الوهراني مرورا بفيجيج .

- من ناحية الجنوب فنجد ثلاثة مسالك وهي :

توات ---- تمبكتو

توات ---- الهقار

توات ---- سجلماسة

- من ناحية الشرق نجد مسلك واحد متمثل في :

توات ---- غدامس ---- طرابلس . وهو نفسه المسلك الذي كان يتبعه الحجاج المغاربة .

- من ناحية الغرب فنجد مسلك واحد متمثل في :

توات ---- الصحراء الغربية .

- كما أن هناك مسلك : توات ---- تافيلالت . الذي يحتوي على جزئين شمالي وجنوبي[1] .

وقد سيطر اليهود بشكل خاص على التجارة الخارجية للإقليم، هذه التجارة التي تعتبر بمثابة رئة يتنفس بها اقتصاد أي بلد ، فكان على رأس كل قافلة تجارية يهودي يقودها ، مما جعلهم يتحكمون في العناصر التي تشكل هذه التجارة الخارجية وهي الصادرات والواردات ، أي السلع الواردة لتوات والصادرة عنها إضافة إلى العابرة من الشمال إلى الجنوب عبره ، فمن بين السلع التي حركت عجلة التجارة آنذاك والتي تحدثت عنها كتب التاريخ والجغرافيا بإسهاب نذكر منها الذهب الذي كانوا يحصلون عليه من بلاد غانا المشهورة بمناجمه حتى أطلق عليها الجغرافيون والرحالة بلاد الذهب[2] ، بالإضافة إلى

---

1 - أنظر : ناعمي مصطفى ، الصحراء من خلال بلاد تكنة (تاريخ العلاقات التجاريـة والسياسـية) ، منشـورات عكاظ، الرباط ، المغرب ، 1988م ، ص47 .

2 - أبو الحسن المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ، ط02 ؛ 1327هـ ، ج ،ص39 .

الساحل الجنوبي للسنغال ومدينة أودغشت التي بها أحسن أنواع الذهب [1]، والى جانب الذهب هناك سلع أخرى كانت تنقل من الجنوب نحو الشمال منها : الملح[2] ، والرقيق (العبيد) ، والعطور ، وريش النعام ، وجوز الكولا ، والجلود ، والعاج .

أما السلع التي كانت تحملها القوافل من الشمال نحو أسواق الصحراء منها :

الأقمشة المتنوعة، والأسلحة المختلفة، لتسليح القوات المحلية كالدروع والخوذ والسهام والتروس والبنادق والسروج والالجمة والمهامز والأواني المنزلية والأدوات الحديدية والزجاجية والفخارية والخردوات والروائح العطرية والعشبية والصبغية وأدوات الزينة والتجميل ، بالإضافة إلى الكتب المنسونة والورق والأقلام، يضاف إليها الخضر الجافة والزيوت والشحوم والزبدة والأغنام والأصواف [3].

وحسب رواية سيدة من سكان تمنطيط أن التواتيين كانوا ينتظرون بشغف كبير وصول هاته القوافل من أجل شراء كل ما يحتاجونه منها أو استبداله بالتمر بعدما يوزن بميزان لونه أصفر، لان المنطقة كان يغاب عليها زراعة النخيل[4]، ويذكر عبد القادر زبادية إن استقبال هذه القوافل لم يقتصر على السكان بل شارك فيه حتى الأمراء الذين

---

1 - اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق ، ص176 . وللمزيد عن مصادر الذهب في التجارة الصحراوية خاصة من بلاد السودان أنظر : جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 ؛ 10م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص224 .

2 - الملح لأهميته يقول عنه ابن بطوطة أثناء قيامه برحلة إلى بلاد السودان أنه وجده يستبدل بالذهب يقول : " إن ثمن الحمل الواحد من الملح في مدينة مالي يعادل عشرة مثقايل من الذهب ويصل في بعض الأحيان إلى أربعـين مثقـال " أنظر : ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، مصدر سابق ، ص764 .

3 - أنظر : في السلع المتبادلة كل من : ناعمي مصطفى ، الصحراء من خلال بلاد تكنة ، مرجع سابق ، ص48 . / عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا ، مرجع سابق ، ص32 وما بعدها . خيـر الـدين شترة ، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، الملتقى الوطني الأول – العلاقات الحضـارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي – جامعة أحمد دراية ، ادرار ، 14-15 أبريل 2009م ،، ص311 . / بلهواري فاطمة ، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا السوداء خلال القرن الرابع الهجـري / 10م ، مجلـة عصور (يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم) ، جامعة وهران ، الجزائر ، الأعداد 08 – 09 – 10 – 11 ؛ 2006 - 2007م ، ص155 ص163 .

4 - مقابلة قمت بها مع السيدة عائشة واحدة من سكان تمنطيط المعمرات (عمرها يزيد عـن 96سـنة) ، بتـاريخ 2011/02/16م ، بمدينة ادرار .

كانوا يستقبلون التجار بحفاوة ويهيئون لهم الأمن ويستدعونهم لحفلاتهم ويستقبلونهم في بلاطهم وما ذلك إلا للأهمية الاقتصادية والحضارية التي كانت تترتب عن مجئ التجار بأعداد كبيرة إلى بلاد السودان[1] ، وعند وصول القافلة تضيف السيدة أن اليهود كانوا يبيعون للسكان ما يحتاجونه لكن ليس بالكمية التي يحتاجونها، حيث يلجؤن إلى التوسل لهم من أجل طلب الزيادة ، تقول السيدة في ذلك كلاما يتخلله صمت رهيب " زيدونا شويا " أي أضيفوا لنا قليلا ، ثم يرد عليهم اليهودي " والله ما نزيدك أيها المسلم " ، ورغم كل هذا فعند انتهاء البيع وموعد رحيل القافلة كانوا يقومون بتوديعها بقولهم كما جاء على لسانها " يوصاك على خير ياسيدي اليهودي " [2].

بالإضافة إلى أن أغلب الدكاكين والحوانيت في مدينة تمنطيط تضيف السيدة أنها كانت لليهود ، وهذا ما أكده محمد الطيب بن بابا حيدة أن مدينة تمنطيط لوحدها كان يوجد بها ثلاثة مائة وستون صائغا يهوديا[3] ، وقد لاحظ الإمام المغيلي عند قدومه إلى توات سنة 870هـ / 1465م هذه السيطرة التجارية لليهود في المنطقة والتي جعلت حياتهم تسير في سلم تحت ظل الرؤساء الذين يدافع كل واحد منهم عن أتباعه ولهذا تمتع اليهود بحياة هانئة ، حيث يتحكمون بالتجارة ويجنون الأرباح، وكانوا موضع ثقة الكثير من سكان المنطقة[4] .

ومن هنا يتضح لنا أن احتكار اليهود للتجارة التواتية الصحراوية جعلهم الممول الرئيسي والوحيد لسكان المنطقة بكل ما يحتاجونه ، لكن بالكيفية التي أرادوها مما جعلهم ينالون الاحترام والتقدير اللامشروط من طرف السكان بالرغم من أنهم يعيشون كأهل ذمة كما يفترض بهم . كما يتضح لنا أن التجارة في توات أو بالأحرى المعاملات التجارية كانت مختلفة حسب الأطراف المساهمة في عملية البيع والشراء ، فالتجارة بين اليهودي واليهودي ليست كالتجارة بين اليهودي وباقي سكان توات من غير اليهود (خاصة

---

1 - عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا ، مرجع سابق ، ص29 .

2 - مقابلة خاصة، المرجع السابق .

3 - محمد الطيب بن بابا حيدة ، القول البسيط ، مصدر سابق ، ص 14 .

4 - أنظر : يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج02 ، دار الغرب الإسـلامي ، بيـروت ، ط01 ؛ 1995م ، ص146 .

المسلمين) وهذه مساهمة في تغذية و نشر التفرقة والتمييز العنصري بين سكان توات والذي سوف تتضح معالمه فيما بعد .

2-1 - الحرف اليدوية :

إلى جانب التجارة عرف كذلك اليهود بإتقانهم العديد من الحرف والصنائع[1] وعندما استقروا في منطقة توات أتوا معهم بالكثير من المعارف التقنية والطرق الصناعية كصياغة الحلي من الذهب والفضة ، وهذه الحرف التي اختص بها اليهود في توات كونه يقع على طريق هذه التجارة وقد تحدث عنها ابن بابا حيدة وعن انتشارها في تمنطيط لوحدها دون سائر قصور توات بين اليهود.

ومن ما أورده ابن بابا حيدة يتضح لنا أن مدينة تمنطيط كانت مركز مهما في صياغة الذهب والفضل يرجع إلى اليهود الذين عملوا بها ، فكانوا يشترون الذهب الخام من القوافل التجارية القادمة من منابع الذهب في بلاد السودان، ثم يقومون بصياغتها على أنواع وأشكال مختلفة من الحلي ثم تباع في الأسواق الداخلية التواتية أو في الأسواق الخارجية الشمالية منها والجنوبية ما جعلهم يكسبون من وراء ذلك أموالا وثروات كثيرة .

ولم يمارس اليهود الحرف فقط في تمنطيط لوحدها بل كذلك في قورارة وبالضبط في قصور تابلكوزة مثل قصر " تاملزيات " [2] الذي عرف حضورا يهوديا قديما، فهذه الكلمة التي أطلقت على القصر المذكور آنفا، قد تعود إلى استقرار جماعة سكانية احترفت صهر المعادن وقد يكون أن المقصود بهم هنا هم اليهود ما دامت هذه الطائفة اشتهرت بإتقان تصنيع الحديد ومواد معدنية أخرى [3].

1- يذكر حسن الوزان في وصفه للمدن المغاربية مثل : (دكالة ، أسفي ، جبل سوساوة ...) التي زارها أن الحـرف والصنائع كانت بيد اليهود . أنظر : حسن الوزان ، وصـف إفريقيـا ، مصـدر سـابق ، ج02 ، ص152 ص158 ص163.

2 - تاملزيات : تعني مصهر الحديد أو مشعل الحداد و" آمزيل " تعني الحداد ، وهي كلمة بربرية . أنظر : رشيد بليل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية ، ترجمة عبد الحميـد بورايـو، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ، 2008م ، ص192 .

3 - رشيد بليل ، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون ، مرجع سابق ، ص192 .

ولكن يعتقد أن هذه المنتجات الحرفية لم تكن أصلية وإنما كانت مغشوشة وتباع للناس على أنها أصلية مثل المصنوعة من الذهب والفضة ، وهذا ما عبر عنه الأستاذ مبروك مقدم بالانحراف الاقتصادي الذي لم يتفطن له المجتمع التواتي إلا بعد ظهور الحرف الإسلامية التي أتى بها العرب معهم من البلدان التي جاءوا منها[1] ، لكن هذا التفطن يطرح العديد من الأسئلة من بينها هل كان في بداية مجئ العرب والإسلام ، وإذا كان كذلك فلماذا لم يقوموا بأي تغيير، بل نجد بعضهم من تعاون معهم إلى حين قدوم الإمام المغيلي إلى توات في القرن التاسع الهجري أي القرن الخامس عشر الميلادي الذي سوف يقوم بحركة ثورية على الأوضاع السائدة في توات آنذاك، وهل يعود هذا التعاون إلى المصالح الاقتصادية المشتركة، وبالتالي يجري تغييب المبادئ وما تأمر به العقيدة الإسلامية ؟

1- 3- حفر الفقاقير :

الفقارة تعتبر وسيلة من وسائل السقي واستغلال المياه الجوفية في منطقة توات ، وهي عبارة عن سلسلة من الآبار تتصل ببعضها البعض لتشكل مجرى مائي ينحدر من مستوى أرض عالي إلى مستوى منخفض، به تسقى الأراضي الزراعية، والفقارة كانت ولا تزال أحد أقدم وأغرب أنظمة السقي ليس في توات وحدها بل في كافة المعمورة ، وقف عندها ابن خلدون مندهشا ومستغربا إذ يقول في وصفها : " ... وفي هذه البلاد الصحراوية إلى ما وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوة وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينحت صاعدا فيفعم البئر ثم يجرى على وجه الأرض واديا، ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شئ وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ووارﻛﻼ وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العليم "[2].

1 - مبروك مقدم ، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، ج01 ، مرجع سابق ، ص84 .

2 - ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج06 ، ص119 .

هذا الوصف الدقيق الذي ذكره ابن خلدون للفقارة في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي والذي أثارت إعجابه حتى نعتها بالغريبة جعلت المؤرخين لها يختلفون في تحديد أصل تسميتها بالفقارة ومن كان له السبق في نشأتها .

ففي أصل التسمية فلم يرد في القاموس مصطلح " فقارة " بتشديد القاف كجمع أو مصدر للفعل ، لكن ورد في لسان العرب لفظ فقارة من غير تشديد بمعنى الفقر لأنه لم يرد مشددا ، ومعلوم أن العرب في تخفيفها وتسهيلها للنطق تميل إلى تخفيف المشدد لا إلى تشديد المخفف كأن يكون أصل اللفظ فقارة ثم يخفف نطقه فيصبح فقارة مثل : النّهار، الدراهم ... [1]، وأورد المؤرخ محمد بن عمر البداوي نصا في أصل التسمية إذ يقول : " واصطلحوا على تسميتهم بالفقاقير على ضربا من الشبه لان الشئ يشبه الشئ فشبهوا صفة الفقارة بصفة فقارة الظهر من كل حيوان له فقارة "[2] ، أي شبهوا أبارها المتعددة والمتصلة التي تفقر من كل جنب ليمر الماء عبره ، بالعمود الفقري عند الحيوان الذي يتكون كذلك من فقارات متصلة ببعضها البعض ، وهناك من يطلق عليها مصطلح آخر وهو " الفجارة " نسبة إلى تفجير الماء .

وما ورد من اختلاف في أصل مصطلح " الفقارة " نجد كذلك الاختلاف نفسه في تحديد اختطاطها وإنشائها وأصحاب الفضل والسبق في ذلك بتوات ، فالأستاذ عبد الله حمادي الإدريسي يقول أن هذه التقنية التقليدية المائية كانت معروفة منذ القديم بالمشرق العربي ومنه بلاد الحجاز بجزيرة العرب وانتقلت إلى بلاد المغرب مع الفتوحات الإسلامية أو بعدها ، وكانت تعرف باسم " الكظامة " أو " الفقير " أو " الشراج " ، وتسمى ببلاد فارس (إيران وما جاورها) " بجانوت " وتسمى بأفغانستان " خيراز " وتسمى بالجنوب المغربي " بالخطارة " وتسمى ببلاد التوارق بإيفلي " وتسمى بواحة تبلبالة بالجنوب

1 - أنظر : أحمد جعفري ، الفقارة نظام السقي الصحراوي العجيب ، مجلة تراث ، أبو ظبـي ، الإمـارات المتحـدة العربية ، العدد 131 ، أغسطس 2010م ، ص40 وما بعدها .

2 - محمد بن عمر البداوي ، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات ، مصدر سابق ، ورقة 14 .

الجزائري " بونج بيني "[1]، أما صاحب درة الأقلام محمد بن عبد الكريم التمنطيطي فرجع إنشاؤها إلى قبائل بدوية زناتية نزلت " ببودة فوجدوا مياه الوادي قد جفت فاختبروا الوادي ثم حفروا سلسلة من الآبار أنفذوها ببعضها وزرعوا بعض أراضي الوادي ... واتخذوا مجرى الوادي بساتين وأجنات ونحتوا الفقاقير "[2] ، أما صاحب نقل الرواة فيقول أن حفرها قديم وأن قبائل زناتة هم من قام بحفرها بناءا على ما رآه تقيدا منقولا بخط العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعمر[3] ناقلا له من كتاب عم والده الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنلاني[4] حين تكلم على من سبق بعمارة توات من زناتة إذ يقول : " وهم الذين اتخذوا خدمة الفقاقير وابتدعوها بحرفة لم يسبقهم غيرهم إليها "[5]، ويورد الأستاذ محمد الصالح حوتية قصة نقلها عن مولاي الحسن القيلاوي صاحب كتاب " النوازل العشر إلى اتصاف الميسور " مفادها أن أحد الأشخاص كان مطاردا من طرف أحد ملوك المغرب في نهاية القرن الأول الهجري فنزل بقصر تمنطيط وحفر بها أول فقارة المسماة حاليا " بهنو "[6]، أما صاحب القول البسيط أرجع إنشائها إلى الأقباط سكان مصر ، وهو نفس الرأي الذي ذهب

1 - أنظر : عبد الله حمادي الإدريسي ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء تـوات والصقع السوداني ، صدر بدعم من وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصـمة الثقافـة الإسـلامية ، الطبعـة الأولـى ، 1432هـ/2011م ، ج01 ، ص239 .

2 - محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، درة الأقلام ، مصدر سابق ، ورقة 05 .

3 - سيدي عبد الرحمن بن باعمر : هو عبد الرحمن بن عمر بن معروف بن يوسف ، ولد سنة 1121هـ / 1709م بقصر تنلان ، لديه العديد من المؤلفات أبرزها فهرسة ترجم فيها لعدد من شيوخه ، توفي رحمـه الله فـي 29 صـفر 1189هـ / 1775م بالقاهرة ودفن في مقبرة الشيخ أبي عبد الله المنوفي . أنظر : محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي ، جوهرة المعاني في ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني ، مخطوط بخزانة زاوية المهدية ، ورقـة 04 . عبد القادر بن أبي حفص عمر ، الدرر الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ، مخطوط بخزانة با عبد الله ، ورقة 05 . عبد الحميد البكري ، سلسلة علماء توات ، بدون طبعة ، ج01 ، ص61 ص62 .

4 - أحمد بن يوسف التنلاني : توفي رحمه الله سنة 1078هـ / 1667م أنظر : عبد القادر بن أبي حفـص عمـر ، الدرر الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ، مصدر سابق ، ورقة 03 . كذلك أنظر : محمد عبد العزيز سـيدي عمـر ، قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، دار هومه ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2002م ، ص79 ص82 .

5 - محمد بن عمر البداوي ، نقل الرواة ، مصدر سابق ، ورقة 14 .

6 - محمد الصالح حوتية ، آل كنتة ، مرجع سابق ، ص75 .

إليه مارتان إذ يتحدث عن هجرة عدد من سكان مصر إلى إقليم توات بعد سقوط دولة العبيديين فتملكوا الأراضي وأقاموا القصور ونظموا طريقة السقي بأسلوب حفر الترع تحت الأرض فأخرجوا المياه من باطن الأرض إلى سطحها فسموا هذه الطريقة بالفقارة ، وهناك رأي آخر يرجعها إلى فرار جماعة من البرامكة من بغداد بعد نكبتهم على يد الرشيد[1] سنة 186ه، فقدم بعضهم إلى قصور توات السفلى وواحة سالي فنقلوا طريقة حفر الفقاقير التي كانت مشابهة في هندستها ما كان جاري به العمل بإيران[2] ، أما المؤرخ عمر بن عبد الرحمن المهداوي فيرجع تأسيسها الأول في المنطقة إلى اليهود[3] .

من خلال هذه الآراء المتباينة ومقارنتها بوصف ابن خلدون لها الذي خص هذا النظام من السقي بالبلاد الصحراوية الواقعة وراء العرق ، كما نفى وجودها في تلول المغرب ما عدا في البلدان التي ذكرها بقوله : " وهذه الغريبة (يعني الفقارة) موجودة في قصور توات وتيكورارين وواقلا وريغ "، هذا الكلام لابن خلدون ينفي جميع الآراء القائلة أن هذا النظام دخيل على المنطقة ومصدره الأصلي من المشرق ، والراجح أن إحداث الفقارات يعود إلى عبقرية الإنسان الصحراوي الزناتي بتوات قام بإنشائها ليتغلب على وسطه الطبيعي وظروفه المحلية الصحراوية ، وحتى الرأي القائل أن اليهود لهم دور في إنشائها يحيلنا إلى التساؤل عن اليهود المعنيين، الذين أتوا من المشرق أو الذين أتوا من الشمال، أو اليهود البربر الذين دخلوا في الديانة اليهودية، لأنه من المفترض أن يكونوا أتوا بها من أوطانهم الأصلية، لكن هذا لا يمنع من القول أن اليهود ربما قاموا بشراء البساتين

1 - الرشيد : هو الرشيد هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد علي بن العباس ، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة (170هـ) ومات فـي الغزو بطوس من خراسان ودفن بها في ثالث جمادي الأخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمس وأربعين سنة . أنظر : السيوطي (جلال الدين) ، تاريخ الخلفـاء ، تقـديم عبـد الله مسـعود ، دار القلـم العربـي ، سـورية ، حلـب ، 1411هـ/1991م ، ص268 وما بعدها . كذلك : القضاعي (أبي عبد الله محمد بن سلامة) ، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، تحقيق عبد الرحيم محمد عبد الحميد ، دار الينابيع ، 1997م ، ص202 وما بعدها .

2 - محمد الصالح حوتية ، آل كنتة ، مرجع سابق ، ص76 .

3 - مبروك مقدم ، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، ج01 ، مرجع سابق ، ص132 .

والأراضي الزراعية ومعها مصدرها المائي الفقاقير ، لان اليهود كانوا أصحاب مال وثروة سمح لهم بامتلاك ما من شأنه يخدم مصالحهم في المنطقة وغيرها.

2- الدور السياسي :

2- 1- تعيين القضاة :

بعد سقوط دولة الموحدين (660هـ / 1262م) انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاث دويلات وهم ، بنو حفص بتونس ، وبنو زيان بتلمسان ، وبنو مرين بفاس ، ولم يسلم هذا الوضع الجديد لبلاد المغرب من الاضطرابات السياسية ، وأهم ما ميزه هو التنافس على السلطة بين الأسر الحاكمة .

لم تسلم منطقة توات هي الأخرى من هذه الاضطرابات فغياب السلطة المركزية نتيجة بعد الإقليم عن هذه الدويلات جعل منصب قاضي الجماعة هو أعلى سلطة داخل توات وكان يتخذ مقره في عاصمة الإقليم (تمنطيط) ، حيث كانت له مكانة كبيرة عندهم ويتمتع باحترام الجميع[1] .

ومن بين الذين شغلوا هذا المنصب، الذين ذكرهم صاحب كتاب القول البسيط من الأعلام الذين توافدوا على تمنطيط في القرن التاسع الهجري (15 م) ، جده العلامة أبو يحي المنياري الذي تولى القضاء بعد دخول المدينة سنة 815هـ / 1412م ، وكذلك العلامة سيدي يحي بن يدير وذلك عام 845هـ / 1442م[2] ، وكذلك سيدي عبد الله العصنوني عام 862هـ / 1457م[3] .

ولأهمية المنصب الدينية والسياسية جعل التنافس على أشده من أجل الظفر به ، هذا التنافس كان يقتضي استعمال كافة الوسائل المتاحة من أجل كسبه أو الاحتفاظ به ، كما لا يمكن أن نغفل الدور اليهودي في هذا الصراع ووقوفهم إلى جانب أسرة عبد الله

---

1 - فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين 18م و 19م ، مرجع سابق ، ص57 .

2 - نفس المرجع ، ص93 .

3 - مقدم مبروك ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخيـة ، مؤسسـة الجزائـر للكتاب ، 2002 م ، ص142 .

العصنوني باحتفاظهم لهذا المنصب واحتكاره بينهم لمدة تزيد عن المئة والخمسين عاما [1]؛ الأمر الذي لم يكن ليحدث لولا مساعدة اليهود لهم ، فهم أصحاب ثروة ومال ، لذا من البديهي أن يقف الشيخ العصنوني قاضي توات أنداك إلى جانب اليهود ضد الشيخ المغيلي، فيما عرف بنازلة يهود توات[2] .

وبهذا يخضع منصب القضاء الذي كان يشترط في توليته العلم والدين ، إلى عامل الوراثة داخل الأسرة الواحدة ، نتيجة الدور الذي قام به اليهود ، والتسلسل الأتي للقضاة يبين لنا أن الابن يرث هذا المنصب من أبيه ، فبعد اعتزال الشيخ محمد بن أبي محمد منصب قاضي الجماعة لتفضيله العمل في التجارة تولاه ابنه الشيخ عبد الكريم بن محمد واستمر في هذا المنصب حتى توفي في عام 1042هـ / 1632م ، فتولاه من بعده ابنه الشيخ محمد بن عبد الكريم وظل قاضيا حتى وفاته عام 1092هـ / 1682م ، ثم شغله من بعده أخوه الشيخ البكري بن عبد الكريم حتى وفاته عام 1133هـ / 1720م فتولى ابنه الشيخ عبد الكريم بن البكري منصب قاضي الجماعة[3] .

2-2- الصراع بين القصور التواتية :

انقسمت قصور توات على نفسها إلى قسمين متصارعين ، حدثت بينهما حروب ضروس يجهل سببها وأهداف كل طرف من خلالها ، كما يجهل كذلك محددات هذا التقسيم فهل هي على أساس النعرة القبلية أو النعرة الجهوية مثلا ، هذا الصراع الذي سوف يعرف فيما بعد بحرب " يحمد وسفيان "[4]، ويرجح أن سبب هذه التسمية جاء نتيجة الخطاب الذي أرسله عامل السلطان إلى الملك جاء فيه : " إن أهل توات اشتدت الحرب بينهم مثل الحرب الواقعة بين أحمد (الرسول محمد) صلى الله عليه وآله وسلم وبين أبي

1 - فرج محمود فرج ، نفس المرجع السابق ، ص58 .
2 - سوف نتطرق لها بالتفصيل في الفصل الرابع .
3 - فرج محمود فرج ، نفس المرجع السابق ، ص59 .
4 - لمعرفة تفاصيل هذا الصراع وما حدث فيه بين الطرفين من حروب ومعاهدات واتفاقيات . أنظر :
محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، درة الأقلام ، مصدر سابق ، ورقة 10 وما بعدها . وكذلك :
- MARTIN , QUATRE SIRCLES , OP , CIT , P124 P279 .

سفيان "[1] ، بينما يرى آخرون أن هذه التسمية أخذت من الحرب التي دارت بين يحمد وسفيان ، فيحمد هو تحريف لكلمة يحي ، وسفيان هي قبيلة من البربر حاربت يحي فصارت عداوة بين يحمد وسفيان[2] .

ومن خلال رصد تبعية القصور التواتية لأحد الطرفين المتصارعين، نستنتج أن الصراع كان قبلياً، فعلى سبيل الذكر لا الحصر قصور تيمي وتامست كانت تابعة ليحمد، بينما قصور بودة وتمنطيط وبوفادي وزاوية كنتة لسفيان ، وهذا يعني أن الصراع في الأصل كان بين البربر والعرب ، وبالتحديد بين قبائل زناتة البربرية وعرب المعقل[3]؛ لان معظم أتباع يحمد هم من العرب ، أما أتباع سفيان فأكثرهم من البربر[4] ، وأخذ هذه التسمية لإظهار درجة العداوة الواقعة بينهما ، تيمنا بالصراع الذي حدث في صدر الإسلام بين المسلمين ويمثلهم الرسول أحمد (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم ، وقريش يمثلهم أبي سفيان قبل إسلامه[5] ، ووصلت درجة العداوة بينهما إلى حد بعيد فبالرغم من اختلاط البلدين المجاورين في النخيل والبساتين، وسماع كل واحد منهما آذان الأخر للصلاة، فإن أحدهما يتعصب لفئة ليحمد والأخر لفئة سفيان، بل مجرد انتمائك لأحدى الفئتين فإنك تتعرض لأشد الكراهية من الفئة الأخرى ، ولعمري أن ذلك لعداوة شيطانية ونار ظلمانية[6] .

ومن نافلة القول أن أي صراع بين البربر والعرب في الإقليم، كان المستفيد الأكبر منه هم اليهود ، فاستمرار هذا الصراع يقوى شوكتهم ويجعلهم يقفون على مسافة متساوية تجاه كل طرف بغية كسب رضى الطرفين ، لتأمين تجارتهم ونشاطاتهم الاقتصادية

---

1 - البكري ، النبذة ، مرجع سابق ، ص45 .

2 - محمد الصالح حوتية ، توات الازواد (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية) خلال القرنين الثـاني عشـر والثالث عشر للهجرة (18م / 19م) ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 م ، ج 01 ، ص50 .

3 - محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، درة الأقلام ، مصدر سابق ، ورقة 10 .

4 - C . Bajoli , la question saharienne oasis de loeud massaoud , Gourara , Touat , Tidikelt , bulletin de la société de géographie d’Oran , 1891 , p152 .

5 - محمد الصالح حوتية ، توات الازواد (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية) خلال القرنين الثـاني عشـر والثالث عشر للهجرة (18م / 19م) ، مرجع سابق ، ج 01 ، ص50 .

6 - محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، درة الأقلام ، مصدر سابق ، ورقة 11 .

الأخرى، لذا لا يستبعد أن تكون هناك مساهمة ولو بطريقة غير مباشرة في إيقاظ نار الفتنة بين الطرفين كلما سنحت الفرصة لذلك لاستمراره مدة أطول ، ولم يكن لينتهي لولا تعرض إقليم توات للاجتياح الفرنسي في مطلع القرن العشرين (بداية من 10 فبراير1901م)[1] الذي فرض سلطته في المنطقة ، وبذلك وضع حدا لهذا الصراع الذي خلف وراءه شرور كبيرة ومفاسد عديدة .

3- الدور الاجتماعي والعمراني :

3-1- الجانب الاجتماعي والديني :

تحدث أغلب الذين أرخوا للمجتمع التواتي عن التعايش والعلاقة التي جمعت بين البربر واليهود ، هذه العلاقة وصل مداها إلى درجة كبيرة من التنسيق والتعاون فيما بينهم ليتغلبوا على أعدائهم ، ففي تأسيس مدينة تيميمون مثلا هناك العديد من القصص والروايات التي تحدثت عن أن اتفاقاً بين البربر واليهود كان سبباً في تأسيس هذه المدينة ، فمن بين هذه الروايات نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر ما أورده الأستاذ رشيد بليل نقلا عن رواية روبول . يقول : " كان السكان الإسرائيليون (اليهود) والزناتيون يعيشون في عدة قرى من أهمها تاحطايت ولأنهم كانوا عرضة بصفة دائمة لهجمات السلب والنهب قرروا أن يتعاونوا ويبتنون قصراً كبيراً مشتركاً . كان ذلك في القرن السادس للهجرة ... ميمون أحد الزعماء الاسرائيلين (لعله يكون قد أعتنق الإسلام) ... هكذا كما يقال . أخذت تاحطايت مكانها لتين ميمون أي (لصاحبها ميمون) التي أصبحت فيما بعد تيميمون "[2] ، وقد تأثر البربر باليهود وتأثر اليهود بالبربر ، هذا التأثير المتبادل يفسره اعتناق العديد من القبائل البربرية الديانة اليهودية ، بالمقابل تحول بعض اليهود إلى الديانة الإسلامية وعرفوا بالمهاجرية [3] .

1- تواتي دحمان وآخرون ، دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية (1956م/1962م) ، دار الشـروق للطباعـة والنشر ، الجزائر ، 2008م ، ص22 .

2 - رشيد بليل ، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون ، مرجع سابق ، ص283 ، بتصرف .

3 - المهاجرية : يطلق على الإسلاميين من اليهود ، وهم الذين اعتنقوا الإسلام وكونوا طائفة على حدة ، ويتواجـدون في توات ومناطق صحراوية أخرى ، وقد سموا بذلك الاسم لأنهم هاجروا من دينهم إلى الإسلام . أنظر : عبد العزيـز بنعبد الله ، الموسوعة المغربية الحضارية والبشرية، مرجع سابق، ص203 ص204 .

وما تجدر الإشارة إليه أن هذه العلاقة لم ترق إلى درجة الاختلاط والمصاهرة ، إذ كان الزواج لا يتم بينهم وبين السكان الآخرين ، كما كانت لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم[1] ، كما كان نمط حياة بعضهم صعب البلوغ ، فقد كانوا يمتطون الأحصنة بأغلى السروج ، ويرتدون أحسن الثياب ويتزينون كالمسلمين ويحملون في أرجلهم أحدية بها حفز (قطعة معدنية توضع أسفل الحذاء) ، ويحملون عمامات وعدة أشياء أخرى[2].

إذن فالتعاون الاجتماعي بين الزناتيين واليهود قصد بناء قصر كبير مثل تيميمون يفسر عدم وجود مشاكل في العلاقة بين المسلمين (البربر والعرب) واليهود ، والدور الذي قام به اليهود للمحافظة عليها على الأقل إلى حين قدوم الإمام المغيلي .

3-2- الجانب العمراني :

سبقت الإشارة إلى أن اليهود عند قدومهم إلى الإقليم قاموا بتأسيس قصور جديدة مثل قصر " تازولت " ، أما الذين استقروا في القصور الأخرى فإنهم اختاروا لأنفسهم أحياء ودروب خاصة بهم مثل " أولاد ميمون " بتمنطيط ، هذه القصور والدروب التي أنشأها اليهود تميزت عن غيرها في العديد من المجالات ، خاصة في الجانب العمراني ، مما جعلهم يشكلون إضافة في هذا المجال ، فظهرت العمارة اليهودية التي شيدت من نفس المواد المحلية (الطين والحجارة) ، وتختلف عن العمارة البربرية بشكلها الدائري في غالب الأحيان ، والبرج الواحد الذي يتوسطها ، وهي عبارة عن قلعة تتموضع فوق مرتفع تتكون من أزقة رئيسية وأخرى ثانوية ، ومساكنها بها حجرات تحت أرضية (دهاليز)[3] ، بالإضافة إلى بناء المعابد الخاصة بهم ، مثل المعبد اليهودي في قصر أولاد أهمالى بتمنطيط به عثر على تسجيل منحوت على حجر بالعبرية قد يكون نحت على

1- Martin , quatre siècles , op , cit , p28 .

2- Jacob oleil , op , cit , p107 .

3 - تياقة صديق ، النمط المعماري للمدينة الصحراوية (القصر) ووظيفته الاجتماعية – مقاربة أنثربولوجية لقصـر تمنطيط – ادرار ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير (مرقونة)، إشراف حجيج الجنيد ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعـة وهران ، 2005م – 2006م ، ص72 .

الأصح سنة 517م ، وقد تحول المعبد في القرن 16م إلى مسجد من طرف القبائل العربية التي سكنت فيه[1] .

هذه العمارة اليهودية سوف تحدث تنوع عمراني إلى جانب العمارات الأخرى كالبربرية والعربية ، وستعمل على تغذية هذا التنوع العمراني و الثقافي للإقليم ، والذي سوف يبقى شاهدا على تعايش هذه العناصر به .

1 - أنظر الملاحق .

تمهيـ ـد :

تناولنا في هذا الفصل **يهود توات بين القبول والرفض** وذلك بدراسة :

- " **نازلة يهود توات** " ، والتي تعتبر منعرج خطير في تاريخ المجتمع التواتي عامة ويهوده خاصة ، حيث درسنا موقف الفقهاء وأرائهم في هذه النازلة و بيان .

- **الآراء التي أقرت بناء الكنس** ووقفت إلى جانب **الإمام القاضي العصنوني - والآراء التي أقرت هدم الكنس** ووقفت إلى جانب **الإمام المغيلي .**

- كما استعرضنا **النتائج التي ترتبت عنها** على مستوى الإقليم واليهود والإمامين المغيلي والعصنوني.

1- الفقهاء وموقفهم من يهود توات :

1-1- نازلة يهود توات :

تعود وقائع وفصول قضية " نازلة توات "[1] بعد دخول الإمام المغيلي إلى إقليم توات قادما إليه من تلمسان سنة 870هـ / 1465م ، وبعد فترة تعلمه على يد شيخه يحي بن يدير[2] في الإقليم وبالضبط في منطقة تمنطيط التي كانت تعج باليهود لاحظ المغيلي نفوذ اليهود التجاري الذي بفضله سيطروا على توات وأصبحوا يتصرفون فيها بدون رادع يردعهم سواء من زعماء القبائل أو من علماء المنطقة بالإضافة إلى أنهم لم يلتزموا بأحكام أهل الذمة " وقد اتخذوا الدجالين اليهود والمحاربين منديلا للأدناس وفخا لأموال الناس فقربوهم من أنفسهم تقريب الأحباب ومكنوهم من جميع الأسباب يأوونهم في قصورهم ويدافعون عنهم بسيوفهم ويعينونهم ويستعينون بهم في جميع أمورهم "[3] .

وحسب ما أورده المغيلي في تقاييده فإنه سئل في : " ما تقولون في مسألة قبائل في آخر الصحراء حيث لا تنالهم أحكام الأمراء يتخذهم اليهود أخلاء ويلقبونهم بالغلائف فيأوونهم وينزلونهم في قصورهم ويجعلون الحوارير والسكة بأيديهم دون أمير يكون عليهم فيغشون المسلمين ويخونونهم ويحجرونهم شيئهم ويخدعونهم ومتى قام عليهم أحد من المسلمين كفته غلائفهم وخاصمته دونهم حتى لا يتوصل إلى أخذ الحق منهم "[4]، وفي

1 - تعرض إلى هذه القضية العديد من المؤلفين أبرزهم الإمام الونشريسي في كتابه المعيار والذي خص فيه فصلا كاملا جمع فيه فتاوى علماء وفقهاء بلاد المغرب ، كذلك أحمد بابا التنبكتي في كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، وابن مريم في كتابه البستان في معرفة علماء تلمسان ، والإمام المغيلي نفسه في كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح .

2 - يحي بن يدير : هو يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي أبو زكرياء ، قدم إلى توات سنة خمسة وأربعين من القرن التاسع ، كان فقيها علامة ، من تلامذته الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، و الشيخ عبد الله العصنوني ، توفي بتوات يوم الجمعة العاشر من صفر عام سبع وسبعين وثمانمائة . أنظر : أحمد بابا التنبكتي ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط01 ; 1422هـ/2002م ، ص509 . الحمدي أحمد ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مرجع سابق ، ص67 .

3 - المغيلي ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، مصدر سابق ، ورقة 27 .

4 - المغيلي ، ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار ، مخطوط بخزانة الأستاذ مبروك مقدم ، ورقة 01 .

رسالته إلى كل مسلم ومسلمة افتتحها أيضا بقوله " فقد سألني بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السلطان "[1] .

ومن خلال هذين السؤالين تتضح لنا مظاهر النفوذ والسلطة التي كان عليها اليهود في توات ، و الخدع والخيانة والغش الذي مارسوه على مسلمي توات ، والحماية التي حضوا بها من طرف بعض السكان الذين نعتهم الإمام المغيلي بالغلائف[2] ، الوضع الذي لم يعجبه، فدعا إلى إصلاحه، وجهر بضرورة الرجوع إلى الشريعة الإسلامية في الموقف من اليهود وأفتى بأن يدفعوا الجزية وهم صاغرون وأن تهدم كنسهم ويعاملوا معاملة أهل الذمة عامة[3] ، لكن على ما يبدو أن فتوى المغيلي وجدت معارضة شديدة من طرف الغلائف و قاضي توات نفسه الإمام عبد الله العصنوني فراسلا في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان في ذلك العصر[4] .

1-2- نص النازلة :

إن المبادرة إلى مراسلة علماء بلاد المغرب الإسلامي آنذاك للنظر في شأن نازلة يهود توات يعني أن لهذه القضية صدى في توات وخارجها ، وعندما عجز الطرفان الموالين للمغيلي والموالين للعصنوني في التوصل إلى إيجاد حل لها على المستوى المحلى رفعا القضية إلى المستوى المغاربي ، لكن حسب صاحب المعيار الذي أورد نص النازلة نسبها إلى الإمام العصنوني فقط بقوله : " كتب صاحبنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي

1 - المغيلي ، رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ، مخطوط بخزانة الأستاذ مبروك مقدم ، ورقة 01 .

2 - الغلائف : جمع غاف وهم حماة ورعاة يعيشون أرضا سيئة لا يحكمهم حاكم ولا يدير أمورهم سلطان ، اتخذوا اليهود أخلاء وأعوانا . أنظر : المغيلي ، نفسه ، ورقة 01 .

3 - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار البصائر ، الجزائر ، 2008م ، ج01 ، ص54 .

4 - ابن مريم ، البستان في معرفة علماء تلمسان ، مصدر سابق ، ص653 .

بكر العصنوني من توات لفقهاء تلمسان وفاس ما نصه "[1] . فهل طلب الفتوى من علماء بلاد المغرب كان مبادرة من طرف العصنوني ، أم أن كلا الطرفين أوكلا له مهمة رفع الفتوى كونه يشغل منصب قاضي توات .

وبالنظر في نص النازلة نرى أن العصنوني رغم وثوقه من نفسه إلا أن الحسم في المسألة تركه لعلماء تونس وتلمسان وفاس ، وهذا مرده إما إلى نقص العلماء في الصحراء الذين بإمكانهم أن يفتوا في مثل هذه المسائل والنوازل ، إذ وصف العصنوني المتنازعين في المسألة بالطلبة ولم يوصفهم بالعلماء في قوله : " جوابكم الكريم في مسالة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء[2] " ، وأما مخافة الوقوع في الفتنة نتيجة التشغيب الذي قام به المغيلي وإبنه عبد الجبار على حد وصفه[3] .

ورغم اتفاق الطرفان على أن منطقة توات ممن اختطه المسلمون إلا أن جوهر الخلاف كان في معنى الاختطاط ، فالعصنوني عرفه بالبناء والتأسيس ، أما المغيلي فأجابه بقوله : " ما اختطه المسلمون ليس كما فهمته " . وعرفه بأنه : " البلد الذي أذن الإمام في بنيانه بعد الفتح ليسكنه المسلمون مع الكفار. " وعرفه مرة أخرى بأنه : " البلد الذي أخذه المسلمون ثم سكنه المسلمون معهم " ، وأما مسألة النزاع فصنفت في : " البلد الذي بناه المسلمون لأنفسهم ثم نزل أهل الذمة عليهم[4] " ، وحتى نقف أكثر على جدور الخلاف بينهما نقدم تعريف لكليهما .

1- الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، 1401هـ/ 1981م ، ج02 ، ص214

2 - الونشريسي ، مصدر سابق ، ص214 .

3 - الونشريسي ، ص214 .

4 - نفسه ص216-217 .

1-3- ترجمة الإمام العصنوني :[1]

الشيخ العصنوني . هو عبد الله العصنوني بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن الحسن بن سيدي علي بن سيدي محمد بن سيدي يحي بن سيدي محمد بن سيدي الصالح بن سعيد بن أحمد بن عصنون بن الوثيق بن عبد المؤمن بن أبي العباس بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حمزة بن عمرو بن محمد بن عبد الحميد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه) وابن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، دخل توات بصحبة ابن أخيه سيدي سالم سنة863هـ ، وتولى قضاء الجماعة التواتية سنة 877هـ .

---

1 - أنظر : مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، ورقة 06 . وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها . ص97 وما بعدها .

1-4- ترجمة الإمام المغيلي :[1]

الشيخ المغيلي. هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس ابن عطية بن مناد ابن السري ابن قيس ابن غالب ابن أبي بكر ابن أبي بكر مكررة ابن عبد الله بن إدريس ابن إدريس ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى السبط بن علي (كرم الله وجهه) وابن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولد الإمام بتلمسان ودرس بها فترة من الزمن ثم انتقل إلى الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة .ومنه إلى بجاية .ثم انتقل أخيرا إلى أرض توات التي حارب بها اليهود وهدم كنائسهم .ثم انتقل من هناك إلى أرض السودان واتصل بعدة أمراء وملوك لتكون عودته النهائية إلى أرض توات(ولاية ادرار) وبها توفي بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنتة سنة(909هـ) .

1- أنظر : مجهول ، نسب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مخطوط بخزانة كوسـام (ادرار) . مخطـوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، ورقة 19. نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي ، مصدر سابق ، ص 330 .ابن مريم ، البستان ، مصدر سـابق ، ص253-257 . الزركلـي ، الأعـلام ، ج06 ؛ ص216 . يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، مرجع سابق ، ج02 ، ص 143وما بعدها . مبروك مقدم ، الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية ، مؤسسة الجزائـر ، ط01 ؛ 1422ه/2002م ،ص92. أحمد الحمدي .الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مرجع سابق ، ص34 وما بعـدها . عبـد الله حمـادي الإدريسي ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي ، مرجع سابق ، ج01 ، ص125 وما بعدها . آدم عبد الله الالوري ، الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا ، دار الحبلـي ، القاهرة ، مصر ، 1974م ، ص11 وما بعدها .

وبمقارنة تعريف الشيخ عبد الله العصنوني وتعريف الشيخ المغيلي نلاحظ أنهما يشتركان ويتقاطعان في العديد من الدلالات الشخصية ، فمثلا كلاهما ذو نسب شريف متصل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وكلاهما وفد على توات قادماً من تلمسان ، وتتلمذ كلاهما على يد نفس الشيخ وهو الفقيه يحي بن يدير في توات ، وكلاهما مالكيان يأخذان بالمذهب المالكي ، وهو المذهب الذي لقي انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب الإسلامي ، كما أن كلاهما ينتميان إلى الطريقة الصوفية القادرية التي عرفت انتشاراً واسعاً في المنطقة .

هذا التقاطع في المنبت والمذهب والمنهج لا يترك مجال للاختلاف بينهما في القضايا الشخصية ، فكيف بالقضايا التي تهم المسلمين كافة ، زيادة على ذلك أن اليهود في الغالب الأعم كانوا يعيشون ويمارسون نشاطاتهم في المجتمعات الإسلامية بأمن وسلام ، لذا من الطبيعي أن يطرح السؤال التالي . وهو لماذا الصراع والخلاف بين الشيخين المغيلي والعصنوني ؟ أو بطريقة أخرى ما هي خلفيات موقف الشيخ المغيلي المتشدد من يهود توات ، وسبب رفض الشيخ عبد العصنوني لهذا الموقف وخلفياته كذلك ؟ .

2- الآراء التي تقر بناء الكنس[1] :

تذكر المصادر التاريخية التي تناولت الموضوع أن هناك جماعة من الفقهاء والعلماء مؤيدة لرأي الشيخ عبد الله العصنوني ، وهما الشيخ ابن زكري التلمساني[1] والشيخ أبي

1 - استمر الخلط في معنى الكنيسة و البيعة في اللغة العربية إلى عهد قريب فهذا بطرس البستاني (1819م-1883م) يقول: " إن الكنيس المخلاة هو متعبد اليهود، والكنيسة متعبد النصارى أو اليهود أو الكفار، معرب عن إكليسيا باليونانية، ومعناها جماعة ... وأما المولدون فيسمون متعبد اليهود بالكنيس ومتعبد النصارى بالكنيسة ومتعبد الإسلام بالجامع، ومتعبد الوثنيين بالهيكل، والكل مأخوذ من معنى الاجتماع . وببلاد الأندلس حيث كان المسلمون أكثر احتكاكا بالنصارى ولهم معهم مواجهات دائمة من جهة، ويعيش بين ظهرانيهم عدد من اليهود من جهة ثانية، وقع التمييز في التسمية بين الكنيسة والبيعة منذ وقت مبكر، بشكل يطابق كل المطابقة ما عليه استعمالاتنا لهما اليوم. أنظر: محيط المحيط (مادة كنس) . القرافي بدر الدين ، الدرر النفائس في شأن بناء الكنائس، تحقيق حسن حافظي علوي، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى، 2003م، ص38-39.

زكرياء بن أبي البركات الغماري[2] ، الذين ذهبوا إلى عدم جواز هدم كنس يهود توات ، لان في ذلك مخالفة لعقد الذمة الذي أعطوه ، وأن ما فعله اليهود لا يستوجب نقض عقد الذمة وإنما يستوجب زجرهم فقط .

ورأى الشيخ العصنوني أن الصواب عنده تقريرها إتباعا لقول الغير الجري العمل به في كثير من مدن المغرب، ويضيف بأن عددا من العلماء الفضلاء حل بالمنطقة وشاهدوا الكنائس فيها، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة، ولم ينكروا الكنس في جملة ما أنكروه[3].

وأما الشيخ ابن زكري التلمساني فيقول إن هدم الكنس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين به في القضية ، ويضيف إن قضية هدم ما وجد من الكنس مبنيا محوزا بيد الذميين دهرا طويلا لم ينكر عليه أحد من المسلمين [4]. ورأى كذلك أن الذميين المذكورين لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا فيه لساغ لهم ذلك ، ولا يسوغ منعهم على أي وجه فرضت من اختطاط أو إحياء ، إذ هم أهل ذمة على ما علم من حال اليهود في بلاد المسلمين إذ لا يعلم لهم فيها حرب ، فعقد الذمة لهم قديم ، فقد نص مشايخ المالكية على جواز نقل الذمي جزيته من بلد لغيره من بلاد الإسلام ، وذمة المسلمين واحدة في كل بلد من بلادهم [5].

وعزز هذين الرأيين موقف الشيخ أبي زكرياء بن أبي البركات الغماري الذي رأى بأن تلك الكنس لا تهدم وأضاف بأن هذا لا يخفي على من معه أدنى مسكة من العقل فضلا عمن اتصف بالعلم إن تدبر الأوصاف المسطرة فوقه التي أحدها يقوم مقام جميعها لا يقول بهدم الكنس المذكورة ولا يفوه به ، من باب درء المفاسد أولى من جلب

1 - الشيخ ابن زكري التلمساني : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني ، عالم تلمسان ومفتيها ، فقيه أصولي ، شاعر ، نظار ، أخذ عن أئمة منهم ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زاغو وغيرهم ، وعنه أئمة منهم أحمد بن أطاع الله والشيخ زروق وابن مرزوق حفيد الحفيد . أنظر : محمد بن مخلوف ، شجرة النور الزكية ، مصدر سابق ، ص267 . أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص84 . وفي كفاية المحتاج ، ص70.

2 - أبو زكرياء بن أبي البركات : هو يحيى بن عبد الله بن أبي البركات أبو زكرياء التلمساني الفقيه قاضي الجماعة . أنظر : أحمد بابا التنبكتي ، كفاية المحتاج ، ص510.

3 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص215.

4 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص217 – 218.

5 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص218 – 219 .

المصالح، وحرم الخوض فيه إذا كان مؤديا إلى منكر أعظم منه ، خاصة التي تثير الهرج وتحدث الفتن المؤدية إلى قتل النفوس وسلب الأموال واشتعال نار الحرب بين الخلق في سائر الآفاق[1] ، ويؤكد في موضع أخر أن لا سبيل إلى هدم الكنس بحال حيث كانت ، لأن ذلك على ما في السؤال حرام لا يسوغ شرعا ولا يخالف في هذا أحد من المسلمين[2] .

3- الآراء التي تقول بهدم الكنس :

وعلى النقيض من ذلك تصدت جماعة من العلماء والفقهاء للموضوع محل الجدل وأيدوا ما ذهب إليه الشيخ بن عبد الكريم المغيلي ، وهم الشيخ الونشريسي[3] والشيخ التنسي[4] والشيخ السنوسي[5] ، الذين يرون وجوب هدم كنائس اليهود بتوات ، لأنهم خالفوا عقد الذمة مما يستوجب محاربتهم وإجلائهم .

ويرى الشيخ المغيلي أن هدمها واجب وقال بأنه لا يعلم فيها خلاف ولا يفتي بتقريرها إلا دجال ، وقد شدد المغيلي على هدمها وإن أدى ذلك إلى قطع الرؤوس ، وحكم على من يريد هدمها بأنه من أهل الجنة ومن منع هدمها فهو من أهل النار ، لأنه رفع دين الكفر ونصره وقرر بيتا يسب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [6].

---

1 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص229- 230 .

2 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص231 .

3 - الشيخ الونشريسي : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني ، فقيه مالكي أخذ عن علماء تلمسان كأبي الفضل العقباني ، فر إلى فاس سنة 874هـ بعد أن نقمت علية حكومة تلمسان ومات فيها . أنظر : محمد بن مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ج01 ، ص274 ، الحفناوى ، تعريف الخلف برجال السلف ، مصدر سابق ، ج01 ، ص62 .

4 - الشيخ التنسي : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني ، يعرف بالتنسي ، أعلم علماء تلمسان في عصره ، أخذ عن الأئمة كإبن مرزوق وقاسم العقباني وغيرهما ، وعنه أخذ ابن سعد والخطيب وابن مرزوق وغيرهم ، توفي سنة 899هـ. أنظر : التنبكتي ، كفاية المحتاج ، ص446 .

5 - الشيخ السنوسي : هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي التلمساني ، يعرف بالسنوسي ، كان آية في العلم والصلاح والهدى والزهد والورع ، له حظ وافر في العلوم وفروعها وأصولها ، أخذ عن والده ونصر الزواوي والولي الكبير الحسن أبركان ، وعنه أخذ جماعة كابن صعد وبلقاسم الزواوي وغيرهما . أنظر : التنبكتي ، كفاية المحتاج ، ص445 .

6 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص216 .

وحذا حذوه الشيخ الونشريسي الذي قال بأن لا تتقرر الملاعين اليهود – أبعدهم الله – فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير ، وطالب من يقرها بتقديم الإثبات والبيان ، لأنهم مدعون لأمر الأصل عدمه ، وما سواه فلإرجاف وهذيان ، ومن قال به فقد أبعد في الجواب ، وحاد عن مهيج الحق وطريـ ـ ـ ـق الصواب[1] .

وأرجع الإمام الحافظ التنسي سبب منع إقامة الكنس بتوات إنما هو لإظهار شرف الإسلام حتى لا يظهر معه غيره مستدلا بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . يقول: " لا ترفعن فيكم يهودية ولا نصرانية ، إذ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه " [2].

أما الشيخ محمد بن يوسف السنوسي فوجه كلامه للإمام المغيلي وموافق له بقوله : فاعلم يا أخي أني لم أر من وفق لإجابة هذا المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفي غليل أهل الإيمان في هذه المسألة . ونصح أهل تمنطيط بإتباعه بقوله : فليعول أهل تمنطيط وغيرهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب ، ولينبذوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام وإعزازه وإصابة وجه الصواب [3].

مناقشة :

تعرف النوازل على أنها تلك المسائل المتجددة التي توجب على الفقهاء النظر فيها والبحث عن الحكم الشرعي لها [4].

وتعتبر نازلة يهود توات من أهم وأشهر النوازل في القرن 9هـ/15م في بلاد المغرب الإسلامي عامة وفي الصحراء خاصة ، لما أثير حولها من كلام في الكثير من التقاييد والمصنفات ، وقد قام بتأطيرها أبرز العلماء والفقهاء من تلمسان وتونس وفاس ، إلا أن إثارة هذه القضية من طرف الإمام المغيلي في هذه الفترة بالذات ، إذ تعرضت فيها بلاد المغرب الإسلامي إلى حروب الاسترداد بعد سقوط دولة الموحدين

---

1 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص232 .

2 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص243 .

3 - الونشريسي ، المعيار ، ج02 ، ص253 .

4 - إبراهيم بلبالي ، التأثير الثقافي والفكري لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ من خلال نوازل الونشريسي – نازلة يهود توات أنموذجا ، ص229 .

(660هـ/1262م) ، فقد تمكن النصارى الأسبان والبرتغال من الاستيلاء على مناطق من شمال المغرب ، وفي مقابل ذلك عرفت الدويلات الإسلامية بالمغرب صراعاً كبيراً فيما بينهم من أجل الزعامة ، يطرح العديد من الإشكالات أبرزها ، لماذا الإمام المغيلي لم يثر القضية من قبل ، مثلا قبل وفاة شيخه الإمام يحيى بن يدير قاضي توات ؟ ولماذا لم يثر الشيخ يحيى بن يدير مثل هاته القضايا التي تتعلق باليهود ، فهل سكوته يعني أنه مقر بالأوضاع التي عليها اليهود ؟ أم لأنه عارف أن رأيه لا يؤخذ به فتركه* ؟ ، لأن الإمام المغيلي قد لاحظ في حياة شيخه نفوذ اليهود التجاري وانشغالهم بأغاب الحرف ودرجة الاستعلاء التي كانت عليها الطائفة اليهودية بتوات حسب رأيه .

ذكر صاحب دوحة الناشر أن العلماء الذين حضروا لمناظرة الشيخ المغيلي في حضرة السلطان الوطاسي في نازلة اليهود أخبروا السلطان ب" أن هذا الرجل إنما مراده الظهور والملك وليس مراده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[1] ، وعندما أخبره السلطان بأنه يحاول على هذه الديار يعني دار الملك وليس لك قصد غيرها أجابه الشيخ المغيلي : " والله ما هي عندي إلا هي والكنيف سيان "[2] هذه الواقعة تعكس موقف المغيلي من السلطة في زمانه ، ويذكر " أوليال" أن المغيلي حاول جاهدا ليتمكن من جذب انتباه المسلمين في توات إلى خطر اليهود ، ووجد في مشروع بناء المعبد الجديد في تمنطيط الحدث الذي يحفّز المسلمين على عداوة اليهود[3] ، أما الشيخ عبد الله العصنوني فوقوفه إلى جانب اليهود مدافعا عنهم ، جر عليه اتهام الشيخ إبراهيم بن عبد الجبار الفقيقي[4] من

---

* - أرجع الشيخ العصنوني المسامحة التي حضي بها اليهود في مدن المغرب إنما كان لأمر أعطوه أو لغلبة الولاة أو أنكر العلماء فلم يسعفوا أو علموا أنهم لا يسعفون فتركوا التغيير . أنظر: الونشريسي ، مصدر سابق ، ص215 .

1 - ابن عساكر ، دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تحقيق محمد حجي ، الرباط ، 1976م ، ص131 .

2 - ابن عساكر ، نفسه ص131 .

3 - Jacob oliel , les juifs au sahara , op , cit , p108 .

4 - عبد الجبار الفيقيقي : هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الجبار الفيقيقي ، نسبة إلى بلد فيقيق وهي واحات القصور في الجنوب الشرقي للمغرب ، أصلا ودارا ، أخذ العلم بفاس ثم دخل تلمسان وأخذ بها العلم عن مشايخها مثل ابن مرزوق الحفيد ومحمد العقبان والحافظ التنسي ، كان من الشعراء المبدعين ، عاش خلال القرنين 9هـ/10هـ الموافق 15م / 16م ، وتوفي ببلاد السودان . أنظر : محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان ، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر ، طبع وإشهار داود بريكسي ، تلمسان ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 1426هـ/2005م ، ص364 .

خلال موقفه هذا بالطمع المادي لا غير فجعله ثمنا لأخراه ، واتهمه كذلك بالتستر في استغلال الدين وتسخيره لأغراض دنيوية .

ومن خلال قراءتنا لهذه الفتاوى نجد أن الأشياء المتفق عليها من كلا الطرفين هو استنادهم على نصوص الفقهاء المالكية واعتبارهم أرض توات من اختطاط المسلمين ، ورغم هذا فإن كل طرف حاول أن يؤسس لرأيه على جانب معين من القضية ، فمؤيدوا العصنوني يرون أن ما فعله اليهود لا يستوجب نقض عقد الذمة ، وضرورة الأخذ بالواقع وليس فقط الاعتماد على النصوص ، أما مؤيدي المغيلي فيرون أن اليهود خالفوا عقد الذمة وبالتالي وجب هدم كنائسهم .

4- نتائجها :

بالنسبة لليهود فابن مريم يقول في كتابه البستان ، حين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي إلى الشيخ المغيلي بتوات أمر جماعته فأخذوا آلات الحرب وقصدوا تلك الكنائس مشمرين للقتال[1] ؛ إذن فالمغيلي حاربهم وأجلاهم عن تمنطيط ، لكن ما هو المصير الذي آلوا إليه ؟ هل هجروا إلى خارج الإقليم و مناطق أخرى ؟ أم أنهم بقوا فيه؟

استنادا إلى المأثور الشفاهي يخبرنا " رشيد بليل " أن هؤلاء اليهود يكونوا قد أسلموا ولجأ معظمهم إلى قصور تالمين (طالمين) وهو عبارة عن قصر معزول في كثبان العرق الغربي بين قورارة و وادي الساورة قدر له أن يكون منطقة لجوء لمجموعات من الزناتيين المهودين[2] ، وسبقه إلى ذلك الكاتب بيسون (bisson) الذي يقول أنه وجد " أشخاص بملامح يهودية واضحة ... والذين يقولون أنهم زناتة يعتبرون من قدامى اليهود وهم دون شك أحفاد اليهود البربر الذين سكنوا العرق " [3] ، وبالإضافة إلى اليهود المسلمين الذين اسلموا والباقين في أماكنهم وآخرون ، بحثوا عن تجمعات يعيشون فيها

---

1 - ابن مريم ، البستان ، مصدر سابق ، ص254 .

2 - رشيد بليل ، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون ، مرجع سابق ، ص376 . وأكد لي ذلك في لقاء لي أجريته معه في بلدية أولاد عيسى دائرة شروين ولاية ادرار يوم : 09 / 05 / 2011 م .

3 - M , jean bisson , le Gourara mémoire n 03 , institut des recherches sahariennes , 1957 , p98 .

بسلام وإن لم تكن يهودية ، تجمعات لا تكون كبيرة عدديا ولا تحتوي لا على أماكن للعبادة ولا على حاخامات [1].

أما بالنسبة للإمام عبد الله العصنوني فبقي محتفظا بالقضاء إلى ما بعد وفاة الإمام المغيلي بخمس سنوات أي سنة 914هـ / 1508م ، وخلفه ابن أخيه سالم بن محمد العصنوني ، واحتفظ بخطته إلى سنة 959هـ / 1552م ، وحسب صاحب كتاب البسيط فإن أكثر سكان تمنطيط انتصروا له [2].

وبالنسبة للإمام المغيلي فقد لجأ إلى بلاد السودان من أجل مواصلة الإصلاح ونشر الإسلام وتثبيته في المواطن المفتوحة[3] ، واستخاف مكانه ولده محمد عبد الجبار الذي اغتيل سنة 899هـ / 1493م ، وعند بلوغ الخبر إلى المغيلي وهو في بلاد السودان أراد أن يقتص من التواتيين المتواجدين هناك ، لكن هذه الخطوة لقيت معارضة من طرف الشيخ أبو المحاسن محمود بن عمر[4] الذي أبلغه بأنهم لا ذنب لهم ، ليعود إلى توات عام 902هـ / 1496م من أجل محاربة اليهود مرة أخرى ، لكن هذه المرة وجدهم أكثر قوة بفضل مساعدة قبيلة أولاد علي بن موسى لهم[5] ، وبهذا فشل مشروعه ، والمتمثل في تأسيس إمارة موحدة تضم الأقاليم الثلاثة لتوات حسب رسالة الاستخلاف التي عهد بها لابنه . يقول فيها : " حتى توليت بالولاية الشرعية على جميع ناحية توات . وغيرت فيها من المنكرات ما لا يحصى ، ثم استخلفت إبني محمد عند سفري ، لعلمي أنه أهل لذلك إن وفقه الله وأعانه "[6] ، حيث يكون هو وأبنائه مكلفون بالسهر على حسن سير نظام هذا الكيان السياسي بتوات ، كما أصبحت نظرة المعارضين لشخصية المغيلي من خلال نازلة يهود توات على أنه ذلك " الصوفي المتعصب المضطهد ليهود توات " [7] ، ويذكر أن أحد

---

1 -. Jacob oliel , op . cit , p : 118

2 - المهدي البوعبدلي ، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ، مرجع سابق ص06 .

3 - يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج2 ، مرجع سابق ، ص155

4- ابن مريم ، مصدر سابق ، ص 255 .

5 - الحمدي أحمد ، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مكتبة الرشاد ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 1433هـ/2012م ، ص46 .

6 - المغيلي ، رسالة الاستخلاف ، مخطوط بخزانة الأستاذ مبروك مقدم ، ورقة 01

7 - رشيد بليل ، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون ، مرجع سابق ، ص59 .

الملاّعين اليهود أو غيرهم بعد وفاته سنة 909 هـ مشى إلى ضريحه فبال عليه فعمي مكانه[1] .

أما بالنسبة لإقليم توات فإن دوره التجاري الذي كان يقوم به تراجع بشكل ملحوظ بعد هذه الواقعة ، وتعطلت العديد من الحرف والصنائع التي احتكرها اليهود ، كما أن الحرب الدعائية التي قامت بها الدولة الوطاسية سنة 884هـ/1479م ضد توات ومفادها أن الأوضاع بها غير مستقرة جعلت التجار يتجنبون طريقها مما جعل المنطقة تحت حصار اقتصادي شديد[2] ، ويرى الكثيرين ممن أرخوا للإقليم ، أن توات كانت تعرف تطور متزايدا يوما بعد يوم نتيجة ازدهار تجارة اليهود بها ، لكن نظرة المغيلي إليهم كدخلاء ومحاربته إياهم أفقد الإقليم مكانته التجارية التي احتلها .

كما أؤيد الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ عبد الكاظم العبودي المتمثل في مساعدة إسرائيل (الدولة اليهودية الحديثة) فرنسا في تجاربها النووية بإطلاق عدد كبير من المقذوفات والصواريخ الحاملة لرؤوس غير تقليدية في الصحراء الجزائرية إبان فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر ، وهناك مناطق يحتمل أن تكون ملوثة بسبب ترك النفايات فيها ، منها النفايات النووية والكيماوية في مناطق رقان (إحدى مقاطعات توات) والهقار بولاية تمنراست [3] ، وبهذا يكون اليهود ثأروا لأنفسهم من الحملة التي قادها ضدهم المغيلي بأن عملوا مع فرنسا في تلويث المنطقة (توات) نوويا والتي مازالت ، لحد الآن إشعاعاتها تضر بالإنسان والنبات والحيوان .

1- ابن مريم ، نفسه ، ص 255 .

2 - الحمدي أحمد ، مرجع سابق ، ص45-46 .

3- عبد الكازم العبودي ، أخلاقيات البحث العلمي – البيولوجيا وأسلحة الدمار الشامل نموذجين ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة ، إشراف البخاري حمانة ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، 2010م/2011م ، ص416 .

الخاتمة:

أردت من خلال دراستنا لدور اليهود في توات وفي هذه الفترة بالذات، تسليط الضوء على فئة مهمة من المجتمع التواتي والتي لا تذكر من طرف الباحثين إلا في سياق حديثهم عن حياة الإمام المغيلي ومعركته معهم، رغم أنها كانت من العناصر السباقة للهجرة إلى توات حيث كان لها شأن كبير في المنطقة، كما أردت بهذه الدراسة تحطيم الحواجز والقيود أمام من لم تتملكه الجرأة للبحث فيهم سواءا على المستوى المحلى (توات) أو على المستوى الإقليمي (بلاد المغرب) نظرا لحساسية الموضوع .

وإذا ما قمنا بإطلالة على يهود توات في هذه الفترة نجدهم قد تحكموا بشكل تدريجي في كل صغيرة وكبيرة وفي أهم النشاطات الاقتصادية وأشدها حساسية ، وفي السياسة والقضاء ، ولم يعد للمسلمين في هذه الواحة الإستراتيجية أية كلمة أو أية سلطة سوى السلطة الاسمية الشكلية إلى الحد الذي يوحي بأن المسلمين أصبحوا الذميين الفعليين ، بل تعدت إلى أكثر من ذلك حيث أدانت جميع سكان هذا الإقليم حكاما ومحكومين ، علماء وعامة وهذا كله مناف للشروط التي يشترطها الإسلام في حماية أهل الذمة .

أمام هذه التجاوزات اليهودية الخطيرة كان لابد من ظهور ردود فعل للمسلمين لوضع حد لهذا التسلط ، ورد الأمور إلى نصابها الشرعي الإسلامي حتى وإن تطلب ذلك استعمال القوة والشدة الضروريتين لذلك ، حدث هذا عندما عرفت توات نزول الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بها قادم إليها من تلمسان ، والذي أخبرت عنه معظم كتب السير والتراجم بأنه كان قوي الشكيمة والعزيمة وهو آية الله في أرضه وحجته في شريعته ، اعتبر اليهود في توات وهم على هذه الحالة من النفوذ والسلطة قد نقضوا عهد الذمة المبني على الخضوع المطلق لسلطة المسلمين مقابل حمايتهم وضمان أمن عيشهم في البلاد الإسلامية ، فحرض أهل تمنطيط على استباحة دماء اليهود وتهديم كنسهم على اعتبار أن سقوط ذمتهم نتيجة لتعلقهم بأرباب الشوكة من المسلمين ، الذي يتنافى والذل والصغار المشروط في أهل الذمة .

وإذا أردنا أن نصل إلى حقيقة ما كانت عليه هذه الفئة من المجتمع التواتي خلال تواجدها في المنطقة عبر المراحل التاريخية، سواءا من سلبيات يلامون عليها أو إيجابيات

تحسب لهم، لا بد من بذل المساعي والجهود على جميع المستويات، والاستعانة بالعلوم الحديثة المساعدة في الدراسات التاريخية (كعلم الاجتماع، وعلم الإنسان، وعلم الأجناس، وعلم الأنساب ...) وإعطائها الوقت الكافي من أجل أن تستوفي حقها من الدراسة، لنتمكن من استصدار أحكام تكون أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

ورغم كل هذا فقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التالية:

أولا: أن المؤرخين لم يتفقوا على تاريخ محدد لهجرة اليهود إلى شمال إفريقيا ، لكنهم يؤكدون على أن تواجدهم قديم وحسب بعضهم يرجع إلى العهد الفينيقي، بدأ بمزاولة التجارة مع المستعمرات الفينيقية في سواحل شمال إفريقيا منذ الألف الثانية قبل الميلاد ، وانتهى بقدوم موجات يهودية أخذت لنفسها مواطن استقرار على سواحل إفريقيا الشمالية وبعضها فضل الداخل بل وحتى الصحراء متخذين في ذلك طرق مختلفة ومسالك شتى .

ثانيا: أن البربر هم أول من قطن توات حوالي في الألفية الأولى وعمروا بها لاسيما الفرع الزناتي منهم، ويعتبرون من السكان الأوائل لإقليم توات حسب ما أشارت إليه المصادر التاريخية خاصة قبيلتي صنهاجة وزناتة البربريتين.

ثالثا: تواجد اليهود في إقليم توات مثله مثل باقي أنحاء العالم بسـبب الاضـطهاد الذي كانوا يعانون منه بدءا من السبي البابلي علي يد نبوخذ نصر (605 – 562 ق.م) ومرورا بمجازر سيرنياك التي ارتكبها الرومان في القرن الأول المـيلادي فـي حقهـم وانتهاء بطردهم من الأندلس إثر سقوط غرناطة سنة 898هـ/1492م ، فعـرف الإقلـيم هجرات عديدة مبكرة لليهود أتت إليه من مختاف الجهات ، من الشام ومصـر والحجـاز واليمن والحبشة، واستقرت في معظم قصوره وأخرى نسبت لهم.

رابعا: إن التركيبة الاجتماعية للمجتمع التواتي برزت بشكل أوضح مع قدوم العنصر العربي، ونتيجة لوجود العديد من العناصر السكانية ضمن تشكيلة هذا المجتمع نجد أن كل عنصر بحث عن نفسه في هذا الخليط الغير متجانس، أدى هذا إلى تقسيم

المجتمع التواتي إلى فئات اجتماعية مختلفة ، لخدمة أغراض دنيوية أكثر منها أغراض دينية.

خامسا: أن منطقة توات لعبت دوراً كبيراً في التجارة الصحراوية، هذا الدور لم يكن ليكون لولا تواجد اليهود بالمنطقة وقد سجل معظم الباحثين الريادة اليهودية في هذه التجارة ، فكانت لهم مشاركة مهمة في تجارة القوافل التي عملت على ازدياد أهمية الواحات التواتية مقارنة بمجموع الواحات الصحراوية الأخرى، كما كانت لهم أدوار أخرى في السياسة والاقتصاد والعمران.

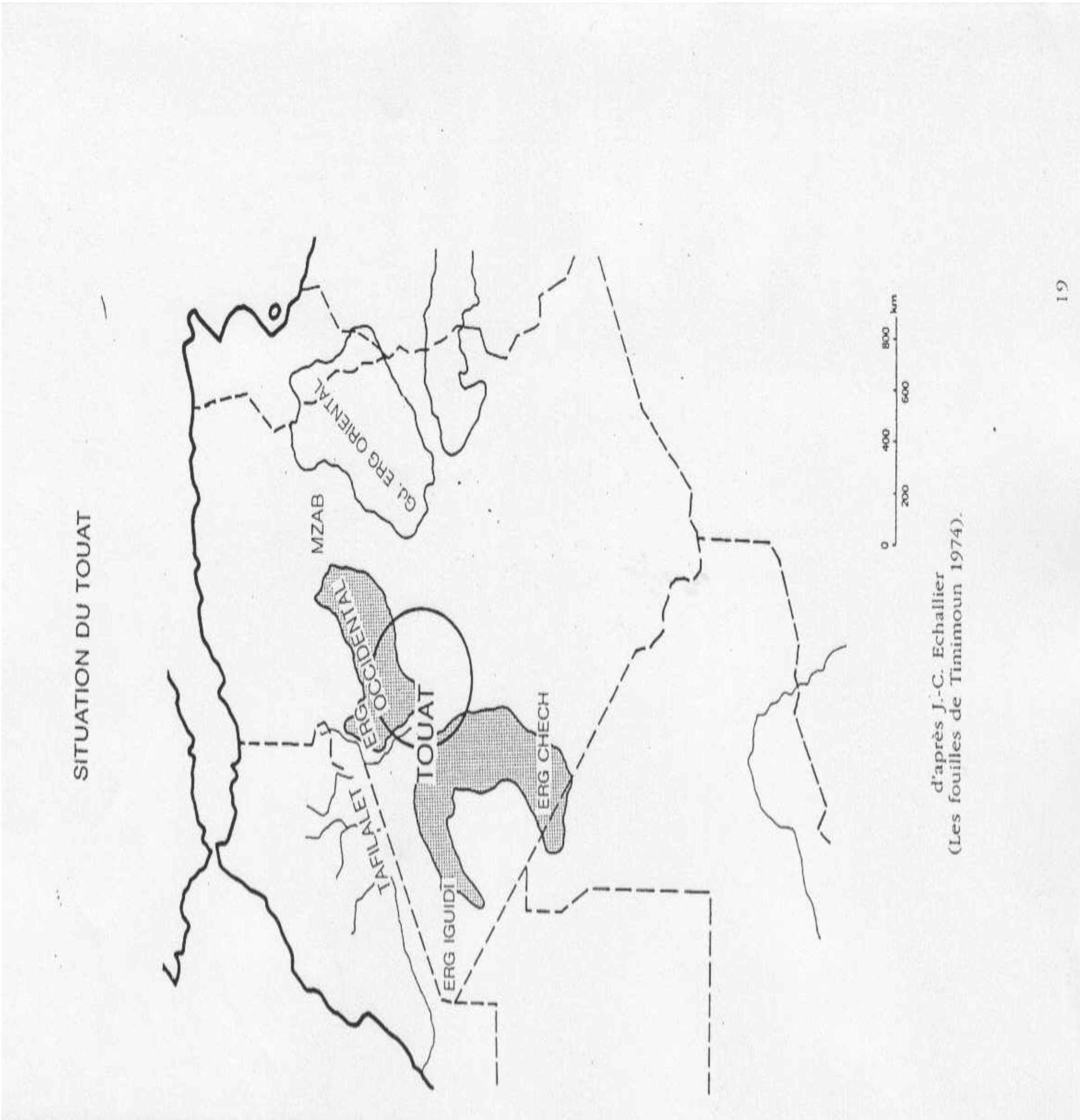
سادسا: إن نازلة يهود توات أو ما يشابهها وجدت كذلك في المشرق الإسلامي، إذ ذكر الشيخ ابن زكري التلمساني في فتواه الثانية يجيب فيه على سـؤال المغيلـي، بـأن الإجابة على مثل هذه النوازل قد حصل من قبل، وكان ذلك إثر جواب في قضية وردت عليه من المشرق مثل قضية يهود توات، وهنا يتضح لنا أن العـالم الإسـلامي بمشـرقه ومغربه شهد هجرة جماعية كبيرة لليهود خاصة بعد سـقوط غرناطـة 1492م، هـؤلاء الوافدون الجدد سوف يحتاجون إلى أماكن للاستقرار وبناء المعابد وممارسـة نشـاطاتهم اليومية، فلم يضع الفقهاء في العالم الإسلامي ضوابط مشتركة وقوانين تـنظم تواجـدهم متفق عليها في جميع جهاته، كما أنه لم يحسن استضافتهم وكسب ودهـم وتعـاونهم فـي مواجهة المسيحية الأوربية، بل انشغل (العالم الإسلامي) في مشاكله الداخلية والصـراع حول السلطة بين أفراد الأسر الحاكمة خاصة في بـلاد المغـرب الإسـلامي، وجعلهـم (اليهود) كأداة تستخدم في هذا الصراع، وهو ما حول التعاون الذي كان يمكن أن يتحقق بعد الهجمة الأوربية المسيحية الشرسة على المسلمين واليهود ونفيهم من أوربا، إلى عداء وصدام مع المسلمين، وتعاون مع المسيحيين الأوربيين ضد المسلمين .

سابعا: إن الصراع بين الشيخين العصنوني والمغيلي ما هو إلا صراع سياسـي - اقتصادي، أخذ صبغة دينية، واستخدم الدين لتحقيق مأرب سياسية أخذت بعد محلى وحتى إقليمي خاصة إذا ما قارنا تعامل عبد الله العصنوني والدولة المرينية في المغرب الأقصى مع اليهود، وموقف المغيلي منهم (اليهود) المنحدر من الدولة الزيانية في تلمسان، وكأني به الصراع بين الدولتين في الشمال تجدد في توات بطريقة غير مباشرة وبأشكال مختلفة.

ثامنا: إن استبدال إسم " توات " باسم " ادرار" يطرح العديد من التساؤلات فـالأول له دلالة تاريخية وشمولية أكثر من الثاني الذي جاء مع الاستعمار الفرنسي " فتوات " إنما يعبر على فترة ازدهار المنطقة اقتصاديا وتجاريا وثقافيا، هذا الازدهار إنما شاركت فيـه جميع فئات المجتمع التواتي على اختلاف لغاتهم وأجناسهم ودياناتهم ومن بيـنهم طائفـة اليهود.

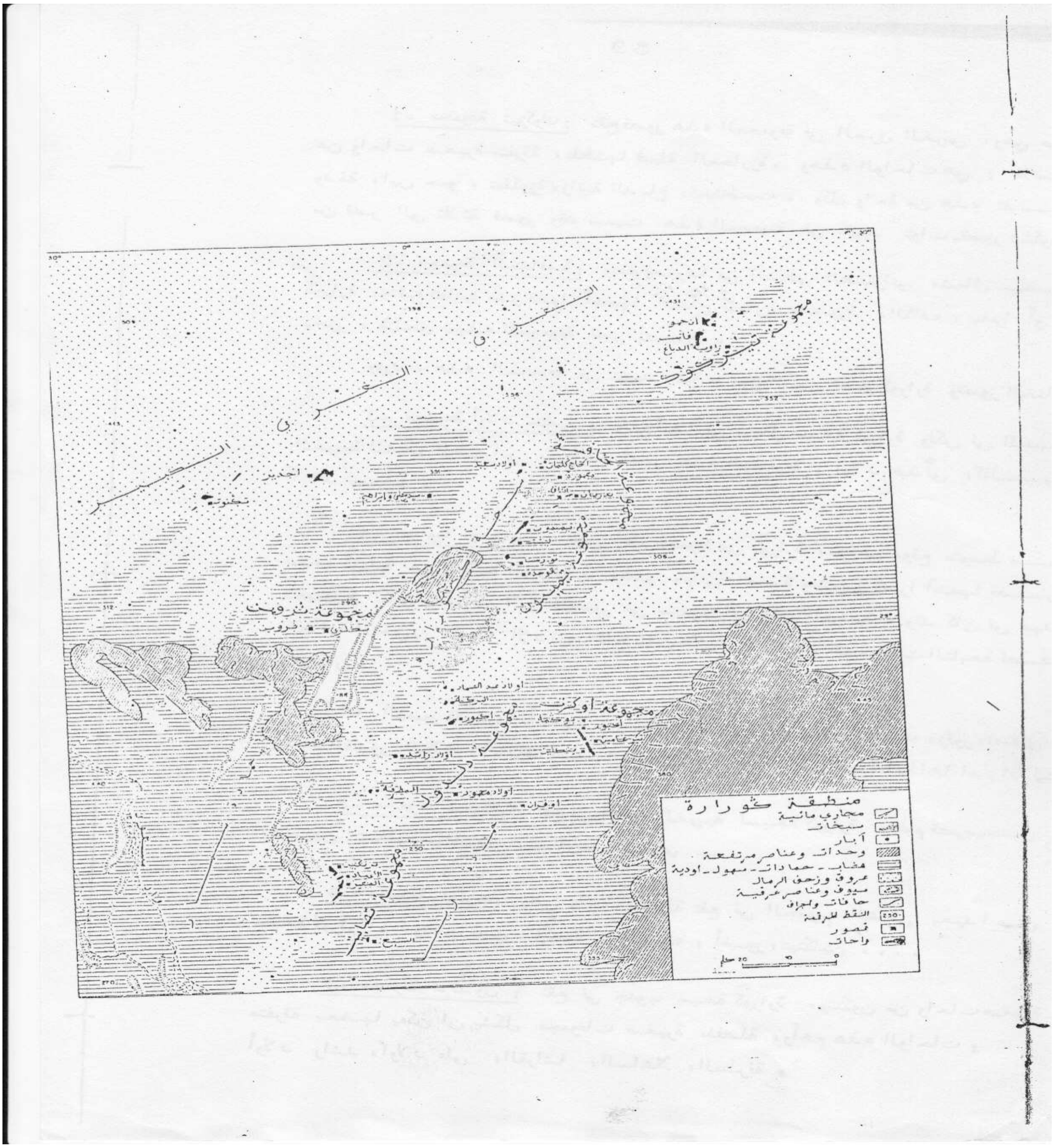
تاسعا: إن اليهود وحتى بعد وفاة الشيخ المغيلي كانوا لا يزالون يبحثون عن الثـأر لأنفسهم من المغيلي نفسه ومن المنطقة ككل ، كل ما سنحت الظروف لذلك وهذا ما يبـين أهمية المنطقة ومدى تمسكهم بها ، مثل ما فعلوه مع ضريحه ، ومساعدتهم لفرنسـا فـي أعمالها الإجرامية والمتمثلة في التجارب النووية في منطقة رقان يوم 13 فبراير 1960م والتي لازالت تحصد الضحايا من سكان المنطقة إلى اليوم.

ملحـ-----------------------ـق رقم 01



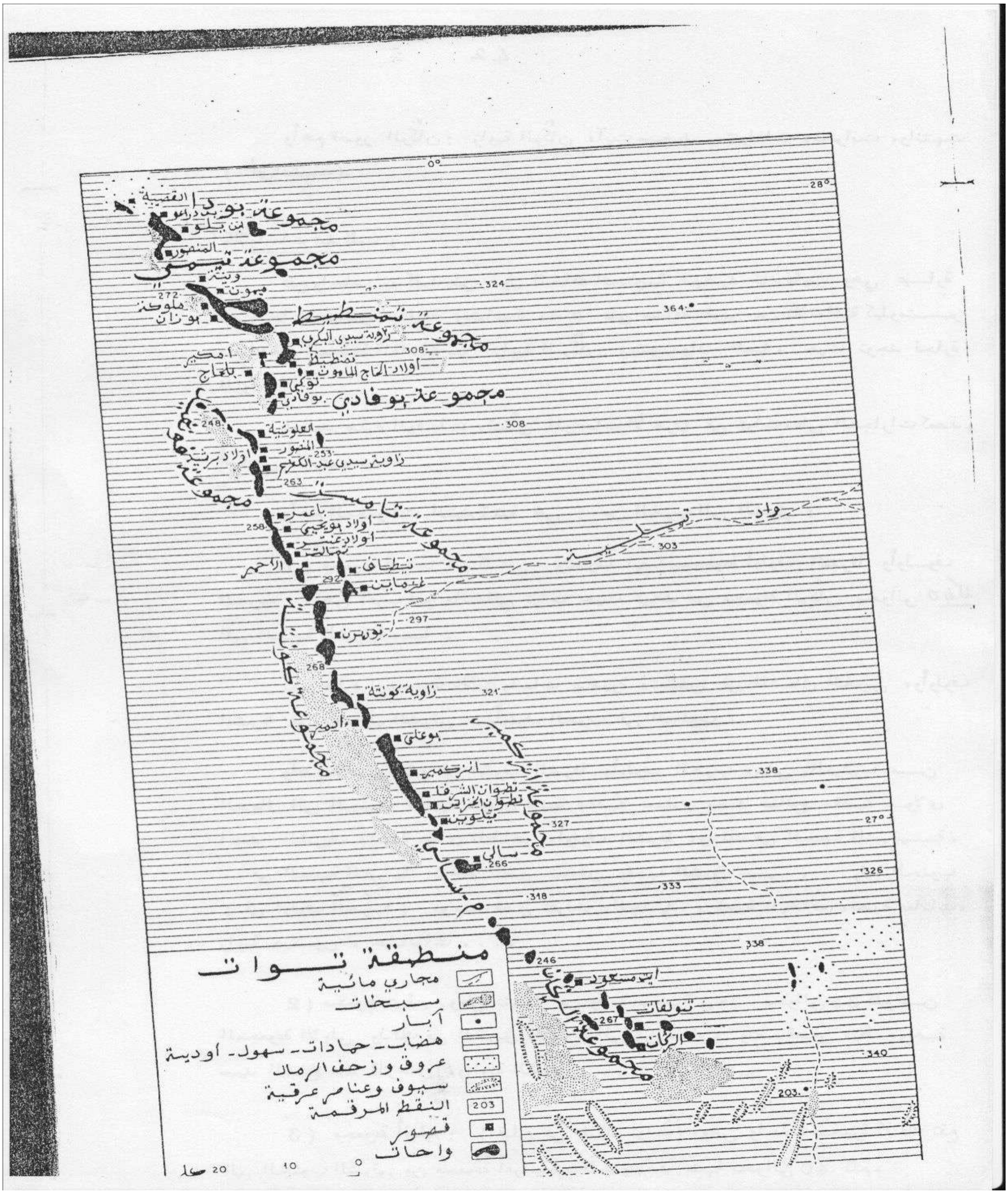
Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, p19.

ملحـ-------------------ـق رقم 02



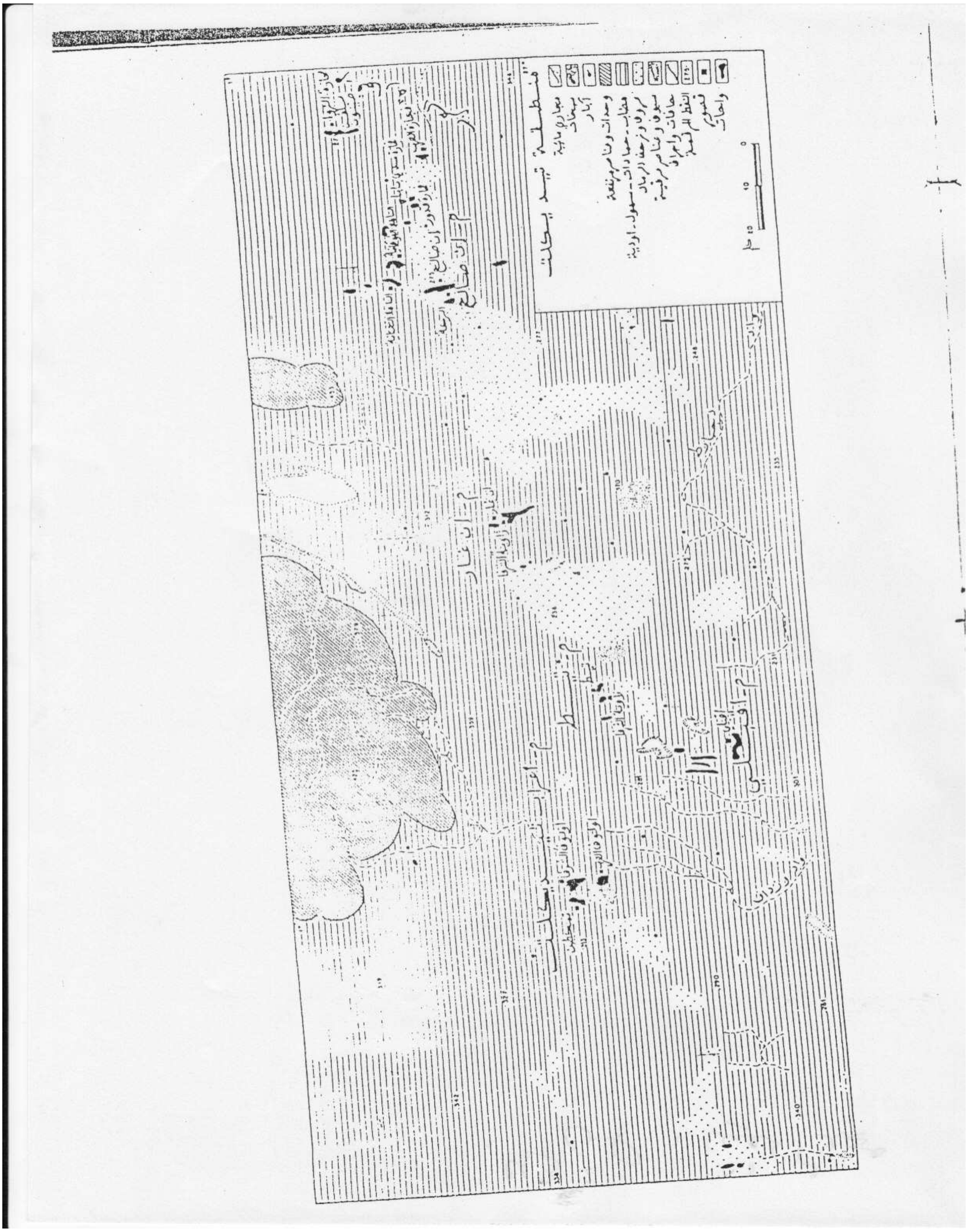
أعفيف (محمد) ، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغربي توات في القرن 19م ، ص40.

ملحــق رقــم 03



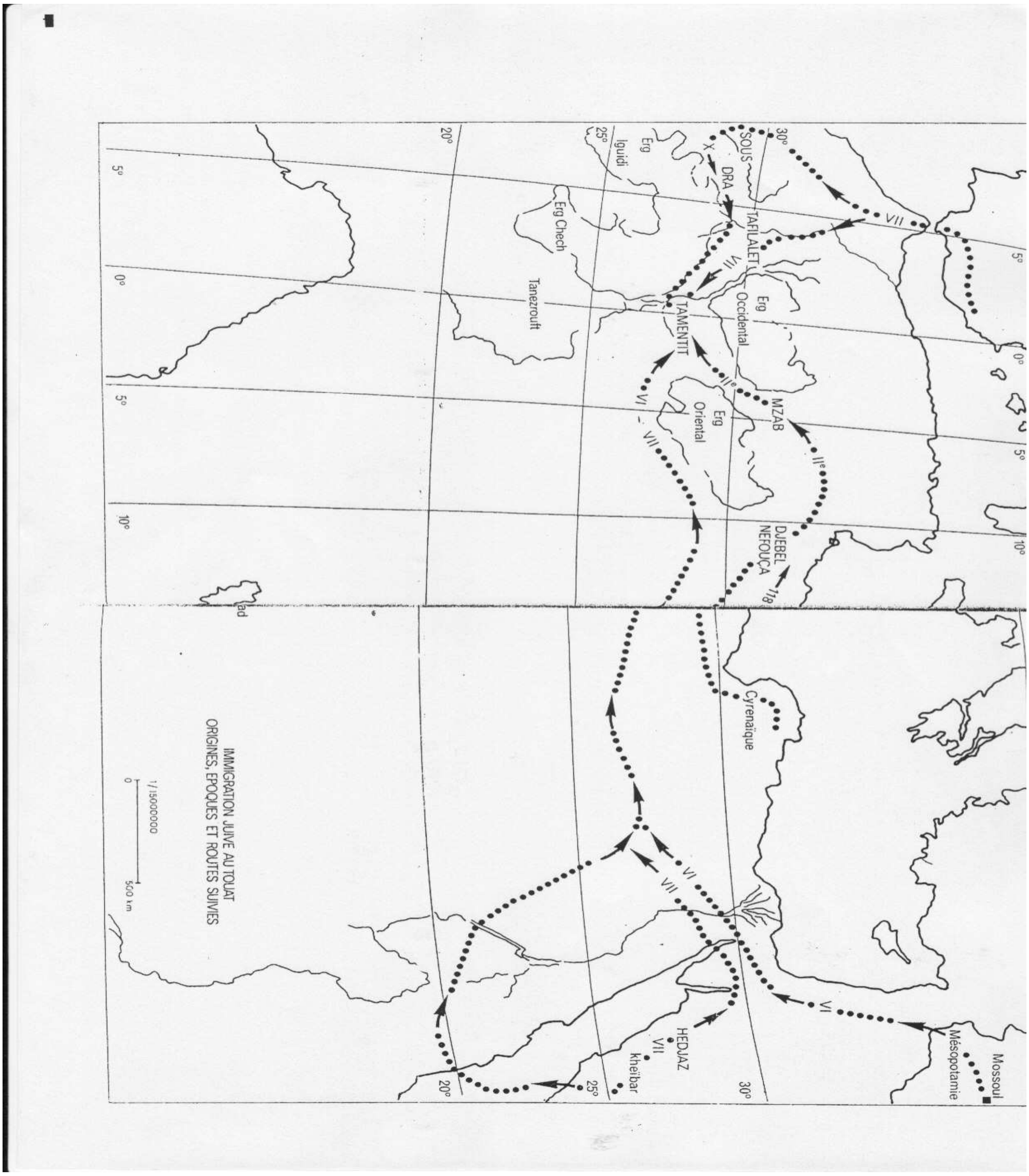
أعفيف (محمد) ، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغربي بتوات في القرن 19م ،ص43.

ملحــق رقــم 04



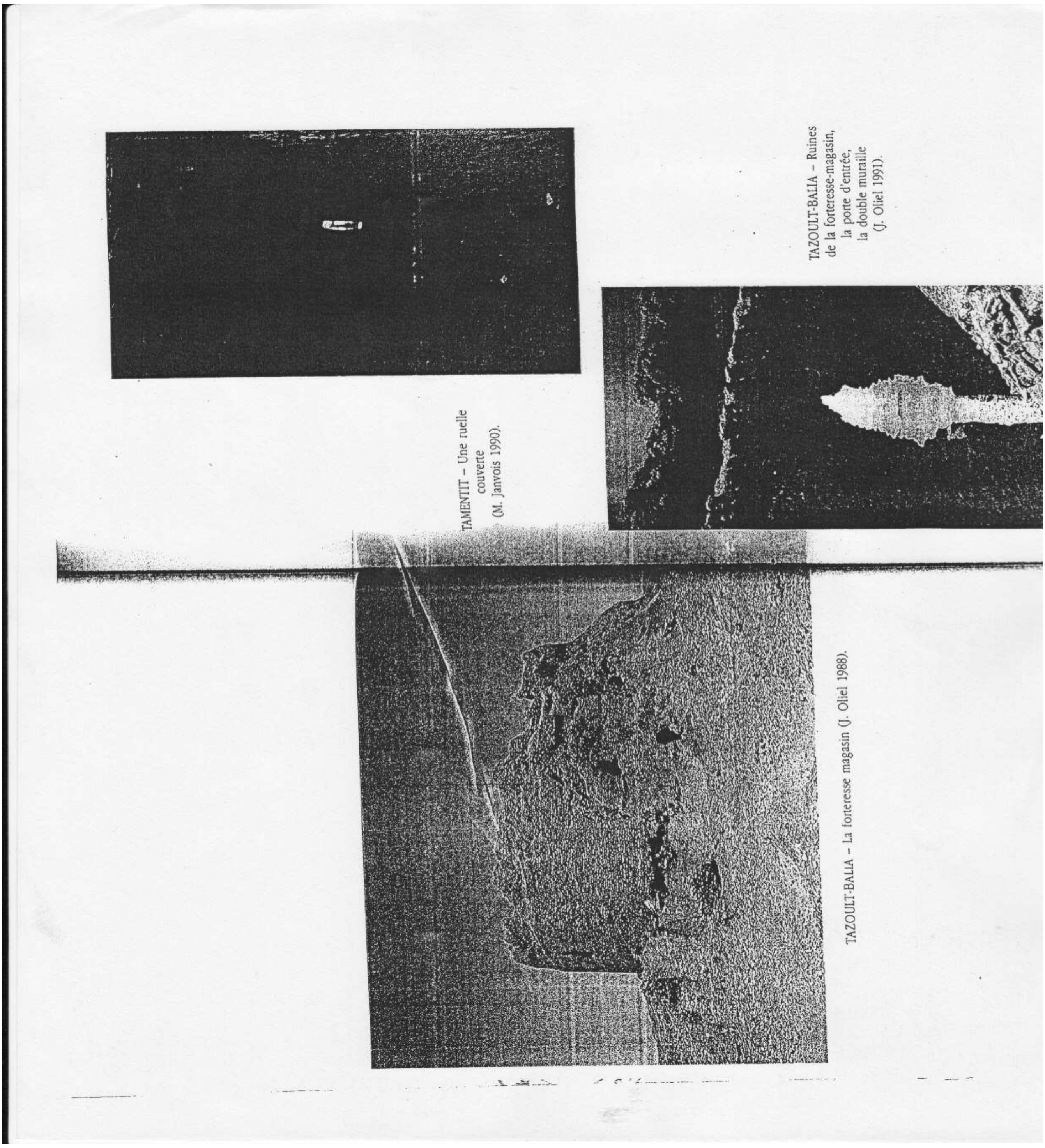
أعفيف (محمد) ، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغربي توات في القرن 19م ،ص43.

ملحـــــق رقم 05



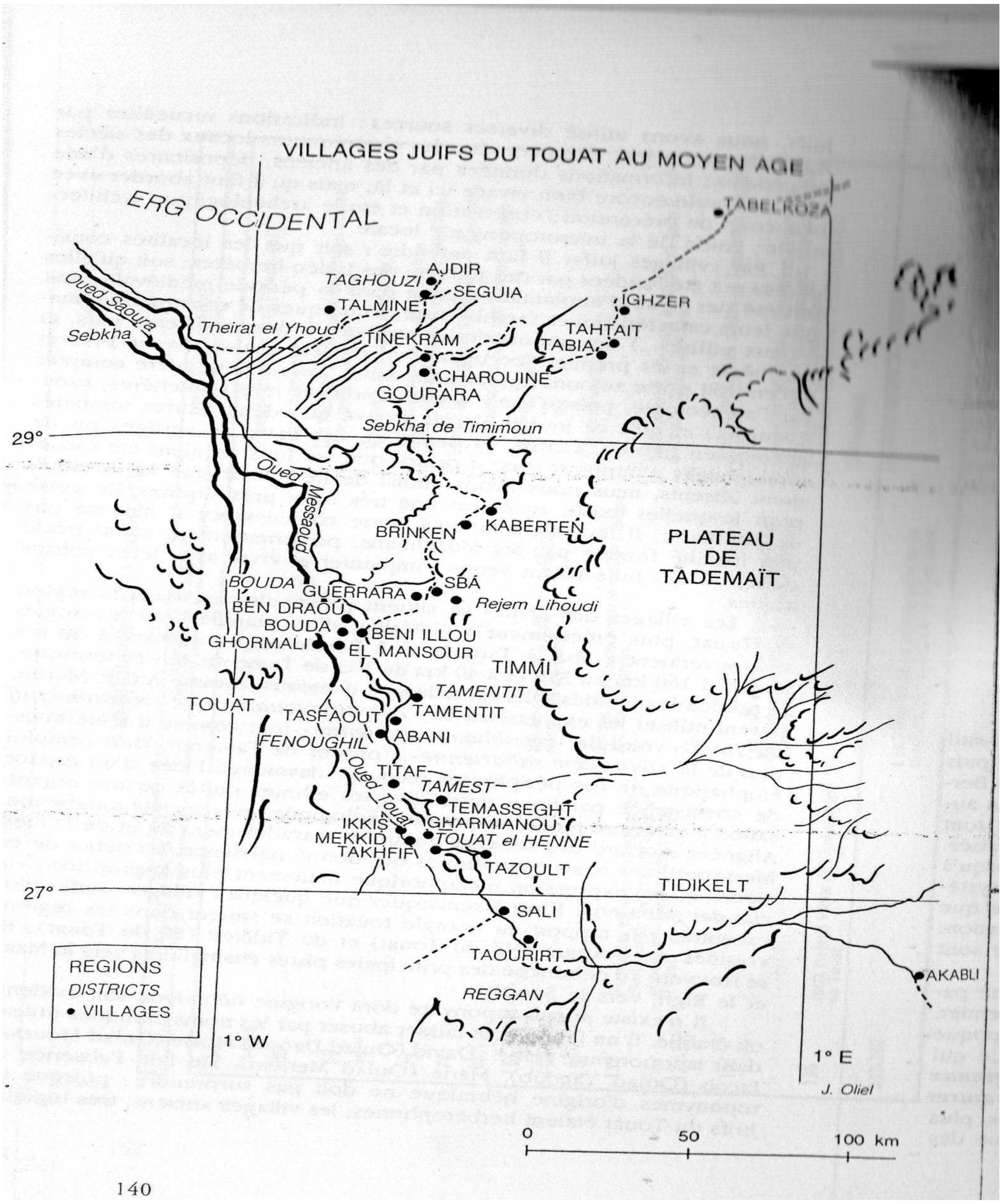
Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, p14.

ملــحق رقـــــم 06



Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, p35.

ملحـــــق رقـــــم 07



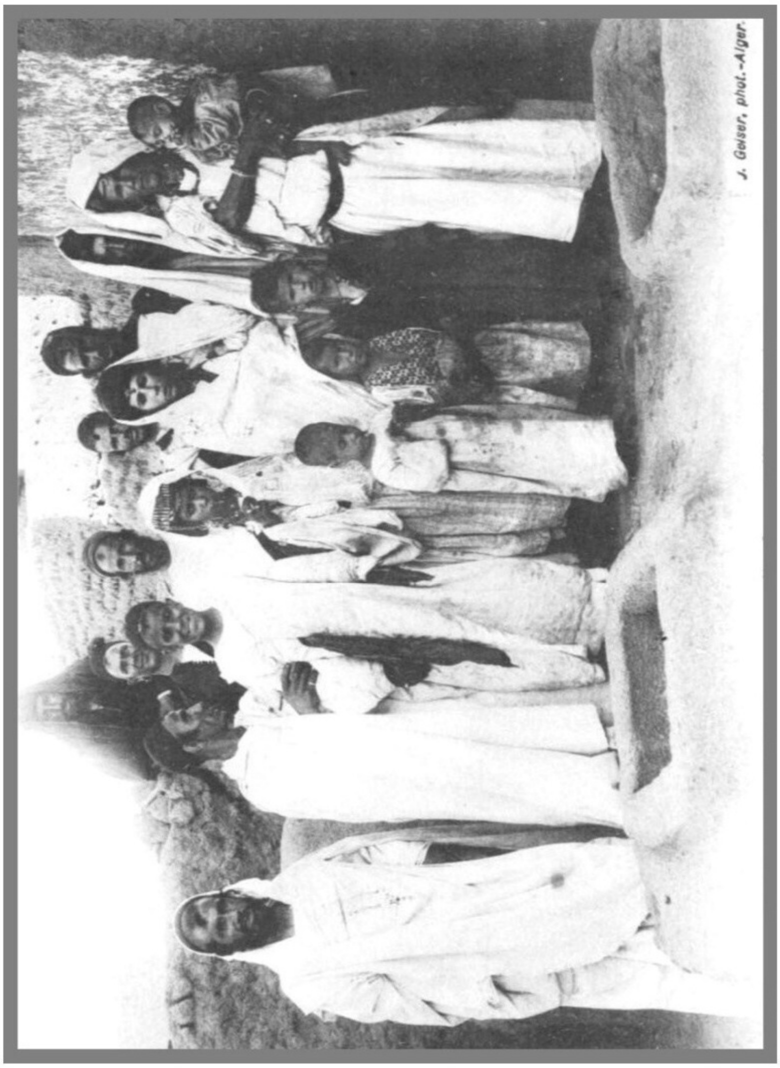
Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, p140.

ملحـــــق رقـم 08

Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, p42.

ملحق رقم 09

صورة بريدية في أوائل القرن 20م/14هـ لمجموعة من الجالية اليهودية التي كانت تقطن بقصر إقلي بوادي الساورة بالصحراء الجزائرية الحالية,والصورة تحكي مثالا للجالية اليهودية التي كانت تحت ذمة أهالي بلاد توات(أدرار) بالصحراء الجزائرية الحالية الذين أجلاهم الإمام المغيلي قدّس الله سره من البلاد التواتية في أواخر القرن 9هـ/15م



Igli - Groupe israélite

de gauche à droite :

David Benichou, Jacob Amar, ..., ..., Mardochée Amar, Makhlouf Amar, Semha Teboul, Salomon Amar, Semha Amar, Brahim Amar, Aziza Benichou son épouse, Messaouda Amar

de gauche à droite, les enfants :

Amram Benichou, Meriem Amar, Aïcha Amar, enfant Benichou dans les bras de sa mère

(renseignements donnés par Sarah Amar)

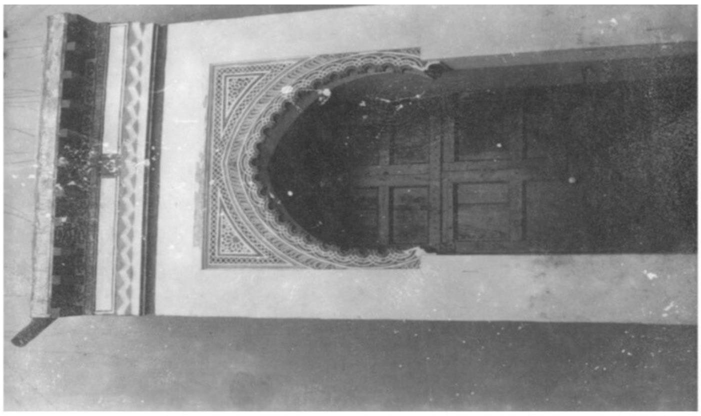
65 - Groupe israélite à Igli
Carte postale ancienne
(collection Meyer Amar)

المصدر:

Jacob Oleil.Les juifs de Colomb Bechar et des villages de la Saoura 1903-1962.édition 2003.impression Alpha Graphic-Olivet-France.

Oleil (Jacob), Les Juifs de Colomb-Béchar, p107.

ملــحــق رقم 10



Béchar Octobre 1924. Synagogue Simon Benitha, vue intérieure du portail

المصدر:

Jacob Oleil.Les juifs de Colomb Bechar et des villages de la Saoura 1903-1962.édition 2003.impression Alpha Graphic-Olivet-France.

Oleil (Jacob), Les Juifs de Colomb-Béchar, p107.

ملحـــق رقم 11

حجر عثر عليه بتمنطيط منقوش عليه نص بالعبرية

ملحـــق رقم 12

Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, p42.

ملحـق رقـم 13

صورة حديثة لضريح الإمام المغيلي بقصر بوعلي – زاوية كنتة – ادرار .

ملحـــــق رقــم 14

صورة حديثة من مدينة تمنطيط – ادرار - توضحها اللافتة الموجودة أعلى الباب .

ملـــحق رقم 15

رسالة الفقيه أبو محمد عبد الله أبي بكر العصنوني الى فقهاء تلمسان وفاس

سيدي رضي الله تعالى عنكم، وأدام بمنه عافيتكم ، ومتع المسلمين بطول حياتكم . جوابكم الكريم في مسالة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء ، وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء ، فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيباً كاد أن يوقع في فتنة . وذلك أني أفتيت بتقريريها ، إذ سألني الفجيجي عنها وعن فصول أخر في شأنهم مما أنكره عليهم وعلى الغلائف ، وسأشير لكم إلى بعض جوابي وهو ما يخص الكنائس وما اعترض به علي لتنظروا فيه . وذلك أني طالعت ابن عرفة فوجدته حصل في بلد العنوة والذي اختطه المسلمون ثلاثة أقوال ، ثم تكلم على حكم بلاد الصلح ، ثم طالعت ابن يونس فوجدته تكلم على تلك الأقسام الثلاثة وأتى بقول مالك في بلد الإسلام دليلا على الحكم الذي أسسه في البلد الذي اختطه المسلمون وذكر خلاف الغير في بلد العنوة خاصة ، ثم طالعت البرزلي فوجدته ذكر ما ذكر ابن يونس بعد ذكره نازلة ابن الحاج في ذلك ، وذكر نوازل أخر في الكنائس بعد ذلك ، وسأثبت منها شيئا بعد إن شاء الله ، فتأملت ما في الكتب المذكورة إذ هي جملة ما حضرني ، فسبق منها إلى فهمي من كلام ابن عرفة أن المدونة محمولة على أن الغير يخالف في بلد العنوة وفي بلد الذي اختطه المسلمون لتصريحه بخلافه فيهما عن اللخمي ، ولقوة ظني كأكمل شارح عليها لما علم من كثرة تحصيله وسكوته عما تضمنه ظاهرها من قصر خلافه على بلد العنوة .

ولما أن حصل عندي هذا الفهم الذي قررته لكم ، وسبق أيضا إلى فهم أن المسألة المسؤول عنها هي مندرجة في البلد الذي اختطه المسلمون ، إذ معنى الاختطاط عندي البناء والتأسيس ، أثبت الأقوال الثلاثة وعزوتها كعزوه . وقد كنت وفقكم الله رأيت في البرزلي ما نصه : شرط المأمور به أن يكون واجبا بالإجماع ، وشرط التغيير أـن يكون المنهي عنه محرما بالإجماع فقلت لهذا أثر ذكري الأقوال الثلاثة ، والصواب عندي تقريرها إتباعا لقول الغير لجري العمل به في كثير من مدن المغرب ، وهي ما اختطه المسلمون في صدر الإسلام وبعده ، وفيها العلماء متوافرون في كل وقت ، وفيهم لا

يسكت عن باطل . وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حل بها علماء فضلاء ، وقد شاهدوا الكنائس فيها وهم ممن يمتثل قولهم في الأحيان ، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة وعلى غلائفهم ، ولم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه .

ثم قلت : ولعل ما ذكرته في مدن المغرب من المسامحة لهم فيها إنما كان لأمر أعطوه أو لغلبة الولاة أو أنكر العلماء فلم يسعفوا أو علموا أنهم لا يسعفون فتركوا التغيير .

فقلت : هذا بعيد إذ لو كان شيئا من ذلك لعلم وسمع . ثم قلت ولعل إذا الغلائف منذ قديم الزمان لهم يتنزل منزلة العهد الذي ذكره ابن القاسم في قوله إلا أن يكون لهم عهد فيوفي به . وفي لفظ آخر أمر أعطوه وحملني على هذا النظر نازلتان ذكرهما البرزلي :

أولهما : لابن الحاج إذ قال : ما طلبه النصارى الداخلون من العدوة من بناء بيع وكنائس في موضع استقرارهم ، فأجاب : هؤلاء النصارى وصفوا بالمعاهدين ، وذلك يقتضي ثبوتهم على ما سلف لهم من العهد والعقد من الذمة والوفاء لهم واجب ، مباح لكل طائفة منهم بناء بيعة واحدة لإقامة شريعتهم ، ويمنعون من ضرب الناقوس ، لان أمير المؤمنين أمر بنقلهم من جزيرة الأندلس للخوف منهم والحذر للمسلمين ورأيت لبعض المالكيين نحوه وهو الصحيح عندي ، وتميزت هذه المسألة عما اختلف العلماء فيها قديما وحديثا من المالكيين وغيرهم فلم أر لذلك لاختلافهم هنا وجها انتهى . يشير إلى ما وقع من الخلاف في كتاب الجعل والإجارة منها . فانظروا وفقكم الله كيف جعل العهد السابق موجبا لبنائهم في المكان الذي انتقلوا إليه ، وهؤلاء أهل الذمة يغلب على الظن أنهم إنما انتقلوا إلى البلاد الصحراوية من مكان لهم عهد إما لظلم أو غير ذلك .

والثانية : وقعت بتونس وهي أن النصارى أحدثوا كنيسة في فندقهم وجعلوا عليها شيئا يشبه الصومعة فطلبوا بذلك فأتوا بكتاب العهد ، فوجد فيه أنه لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا لتعبداتهم ، واعتذروا عما رفعوه بأنه للضوء ، فبعث القاضي إليه فوجده لذلك . وهذه أيضا حفظكم الله تقتضي أن لمن له الأمر أن يأذن فيها ببلاد الإسلام لمن نزلها من الكفار .

وهو أيضا ظاهر قولها إلا أن يكون لهم أمر أعطوه . والغلائف يشبه أن يكونوا كذلك لأنهم إنما نزلوها بأمرهم مع تقرير علمائهم لذلك منذ قديم الزمان .

وخالفني المغيلي وقال أن هدمها واجب وقال : لا يعلم فيها خلافا وقال لا يفتي بتقريرها إلا دجال . وكان هذا الجواب هو رأي السائل الفجيجي ، ونفي الخلاف الذي نقلته وقالا إنه ليس بموجود في النازلة . والمغيلي في بعض الأوقات على رؤوس الأشهاد يدعي الإجماع ويقول لمن يدعوه إلى هدمها تهدم وأن أدى إلى قطع الرؤوس ، ومن مات ممن يريد هدمها فهو من أهل الجنة ، ومن الآخرين فهو من أهل النار وحكم على من منع من هدمها بالنار لأنه رفع دين الكفر ونصره وقرر بيتا يسب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوي هذا من الغليظ . وقال مرة لمن يخاطبه وهم كثيرون : هذه الجنة وهذه النار يشير إلى مكانين من الأرض ، من هدمها فله الجنة ومن حماها فله النار . وقال في ذلك الموطن وفي غيره : هذه محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه محبة اليهود ، فاختاروا أيها شئتم ، يشير إلى أن تقريرها محبة لهم ولما هم عليه من الكفر ، أعاذنا الله وإياكم من ذلك ، ونحو هذا من الأمثلة وضرب الأمثال بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ينفر بها من تقريرها استنزل بها أكثر البلاد بنسبتهم إلى حب الكفر وأهله والمسلمون براء من ذلك بحمد الله تعالى .

واحتجا على ما ادعياه من الاتفاق بنص ابن شاس وصاحب البيان فقالا : إن ملك موضعها إما أن يكون ببيع أو غيره وكلاهما ممنوع ، وتعقب ما ذكرته أن الغير يخالف في ما اختطه المسلمون تمسكا بظاهرها ، لاسيما اختصار البرادعي ، فانه ذكر قول مالك في بلاد الإسلام وذكر قول ابن القاسم في البلد الذي اختطه المسلمون ، فأطلعتهما على نص ابن عرفة ، أما المغيلي فتأمله ما شاء ثم أجابني بأن قال : ما اختطه المسلمون ليس كما فهمته بل هو البلد الذي أذن الإمام في بنيانه بعد الفتح ليسكنه المسلمون مع الكفار . ومرة قال البلد الذي أخذه المسلمون ثم سكنه المسلمون معهم ، ومسألة النزاع البلد الذي بناه المسلمون لأنفسهم ثم نزل أهل الذمة عليهم ، فقلت له كلام ابن عرفة لا يعطي ذلك لأنه قال فسكنوه معهم وهو مقتض أن سكنى أهل الذمة بعد اختطاط المسلمين . وكلامه أيضا مقتض أن بلد الإسلام والبلد الذي اختطه المسلمون شيء واحد لاقتصاره على أحدهما ، وذلك ظاهر من اختصار ابن يونس للمدونة . وقولها لأن تلك المدائن صارت لأهل الإسلام يوضح فساد تأويله . ولو صح لكانت مسألة النزاع لم يتكلم عليها ابن عرفة بوجه ، وهو مؤد إلى قصوره في إغفاله مسألة يدعي المنازع أنها شهيرة لا تخفي على

أحد وأنها إجماعية . وأيضا مالك وابن القاسم إنما منعا من الإحداث بغير أمر ، ومسألتنا يتقرر لها استنادا لقول أو لقوله وقول ابن القاسم على ما أشرنا إليه من احتمال الوفاق . وأجبت عن ما أورده من منع بيع مكانها أو هبته بأن المنع إنما هو مع التعيين لذلك ، ولا نسلم المنع مطلقا . هذا خلاصة الخلاف الذي وقع بيننا في الكنائس .

واعلم سيدي أن الفجيجي وصف في سؤاله أهل الذمة بأوصاف توجب أن يكونوا ناقضين للعهد ، ونحن ياسيدي لا نعرفها ، لاسيما يهود مدينة توات . وغاية ما وقع منهم عند إهمال الغلائف لهم ما يوجب الزجر أو الأدب بل هم عند تفطنهم وزجرهم في غاية الذلة والصغار وأما الزجرية فلهم عوائد من قديم الزمان مع الأشياخ في الأعياد وسائر النوائب من الفتن وغيرها من ضيافات العرب وغيرهم ومرة لو فض ذلك زاد على القدر الواجب ومرة ينقص ومرة يساوي . ويظلمون كثيرا ، ولو وجدوا العدل لهان عليهم القدر الواجب وأكثر منه . وكل ما قلناه من وصف أهل الذمة يتحققه كل تاجر قدم توات من أهل بلدكم . بل ضعفوا في هذا الزمان وأضر بهم العدم . وأعلم يا سيدي أن يهود توات لهم درب اختصوا به وليس في خارجه إلا قليل منهم ، وكنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم .جوابكم ولكم الأجر والسلام عليكم والرحمة والبركة[1] .

[1] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ص214 – ص217 .

ملـــــــــــــــــــــــحق رقم 16

جواب أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (الفتوى الأولى)[2]

الحمد لله . الجواب عن السؤال المكتتب في الورقتين قبل هذا هو أن نقول: هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين به في القضية، والتشغيل فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل العلمية، فيغتر المشغب في المسألة بظاهر عموميات هي مخصوصة، وكذلك المطلقات من النصوص وهي مقيدات على أن موضوعها إحداث الذمي كنيسة في بلاد الإسلام، وموضوع قضية للنزاع هدم ما وجد من الكنائس مبنيا محوزاً بيد الذميين دهراً طويلاً ولم ينكر عليه أحد من المسلمين ولا يدل منع الإحداث على وجوب هدم المبنى المحوز على وجه الموصوف بشئ من الدلالة الثلاثة. ولهذا الشيخ أبو حسن اللخمي بأن الظاهرة، من قول ابن القاسم وغيره بأن القديم من الكنائس يترك ولا يهدم. وكذا قول صاحب الجواهر لا نعترض لكنائسهم مع قوله بعد هذا: فإن كانوا في بلدة بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة. ولا فرق إلا ما قلناه من أن المبني من الكنائس القديمة لا يتعرض له وإن كان في موضع يمنع فيه الإحداث، فلا يستقيم الاستدلال على وجوب الهدم بمنع الإحداث. على أنا نقول: ما دل منها بعمومه وإطلاقه مخصوص ومقيد بمنع المعاهدين والذميين إذا انتقلوا في بلد الإسلام من موضع الى موضع، ولم يخرجوا عن العهد والذمة فسكنوا فيه وأرادوا إحداث كنيسة لإقامة دينهم، فإنهم يمكنون من بنائها ولا يمنعون منها. وإنما يمنعون من إظهار ما لا يجوز إظهاره كالقراءة وضرب النواقيس. وعلى هذا بنى ابن الحاج في مسألة النصارى الراحلين من العدوة بأمر أمير المسلمين الى موضع استقروا فيه وطلبوا بناء كنائس في موضع استقرارهم، فقال هؤلاء النصارى وصفوا بالعهد وذلك يقتضي ثبوتهم على ما سلف من العهد والعقد من الذمة، والوفاء لهم واجب، فيباح لكل طائفة منهم بناء بيعة واحدة لإقامة شريعتهم ويمنعون من ضرب النواقيس لأن أمير المؤمنين أمر بنقلهم للخوف منهم والحذر للمسلمين وقال: ورأيت لبعض المالكيين نحوه

---

[2] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص207-225 .

وهو الصحيح عندي، ثم قال وتميزت هذه المسألة عما اختلف العلماء فيه قديما وحديثا من المالكية وغيرهم لم أر لذكر اختلافهم هنا وجها.

قلت: وأنا لا أر لهدم الكنائس المسؤول عنها وجها. أما أولا فلأن الذميين المذكورين لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا فيه لساغ لهم ذلك، ولا يسوغ منعهم على أي وجه فرضت من اختطاط أو إحياء، إذ هم أهل ذمة على ما علم من حال اليهود في بلد المسلمين إذ لا يعلم لهم فيها حرب، فعقد الذمة لهم قديم. فقد نص مشايخ المالكية على جواز نقل الذمي جزيته من بلد الإسلام، وذمة المسلمين واحدة في كل بلد من بلادهم، فلا يتوقف في أمرهم، وإنما ينظر فيهم لو كانوا نصارى كما أشار إليه ابن الحاج في نازلته. ولعمري لو اتفق مثل ذلك لليهود لم يحتج الى مثل ما احتاج إليه من قوله هؤلاء قد وصفوا بالعهد الى آخر ما ذكره. فقضية النزاع ابتداءا مندرجة في جوابه اندراجا أخرويا لما علم من أن عقد الذمة أقوى من العهد. فكيف يستقيم هدم ما وجد مبنيا محوزا بيد الذميين المذكورين من الكنائس، لها بأيديهم أمد طويل لا يعلم تاريخه، ولا مانع من الإنكار عليهم عادة في تلك المواضع ولا في غيرها لما قد علم من حال اليهود في غالب أحوالهم، فيجب القضاء بالملك لهم.

وقد قضى أهل المذهب المالكي بملك الحائز موضعا مدة الحيازة بشروطها عشرة أعوام ونحوها بين الأجانب، وخمسين سنة بين الأقارب، لاسيما مع البناء والهدم ولا أثر في ذلك لاحتمال الغصب أو التعدي. وعلى هذا الأصل بنى شيخنا سيدي أبو الفضل قاسم العقباني رحمه الله ورضي عنه فتياه للقصارين بتلمسان، فإنهم تملكوا مقبرة من مقابر المسلمين يتصرفون بها بالبيع والابتياع وتورث عنهم، فقام عليهم قائم وأراد نزعها من أيديهم و تصييرها حبسا كصائر المقابر محتجا عليهم باتفاق المذهب على أن الميت إذا دفن في موضع فهو حبس. فأجاب الشيخ بأن الحوز بأيديهم مدة طويلة من غير نكير، وذلك يوجب ملكهم ولا يسألون عن سببه، ولا يحمل أمره على العداء لإمكان طريان الدين على ملكهم لحصار ونحوه. فهذه الكنائس المسؤول عنها مندرجة فيما أفتى شيخنا بل هي أخروية، فنقول هدم الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذمة، وظلم أهل الذمة لا يجوز شرعا. فمن أول الأول هدم الكنائس الموصوفة لا يجوز شرعا. بيان الصغرى ما تقدم من ثبوت ملك ما أريد هدمه للذميين المذكورين واحتمال التعدي فيها مرجوح الذمي معلوم من الدين

ضرورة. فهذا المنهج في تحضير المطاب المسؤول عنه كاف، وبدفع الشغب عن القضية للمنيف واف.

ثم نتبرع بالكلام على ما يتمسك بظاهره في منع الإحداث فنقول: قد قسم غير واحد من مشايخ المالكية الأرض باعتبار إحداث الذمي فيها كنيسة ثلاثة أقسام أرض للمسلمين وأرض للصلحيين وأرض عنوة وهي أيضا للمسلمين. ولا خفاء في الفرق بين هذه الأراضي الثلاثة فالأولى ما ملكه المسلمون ملكا تاما يقبل نقل الملك بسبب من أسبابه ومن ذلك الأرض المختطة أي المعطاة و الخطة أي العطية. قال الجوهري الخطة بالكسر الأرض يختطها الرجل لنفسه وهو أن يعمل عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها دارا. ومنه خطط الكوفة والبصرة. قال الشيخ أبو الاسحاق التونسي: ما اختط المسلمون من أرض فلهم أن يبنوا ويتملكوا مثل القيروان التي اختطها العرب حين نزلوا لا شك في جواز بيعها. وأما أرض الصلح فعلى وجهين، الأول يعمرها الخراج. وأما أرض العنوة فهي المأخوذة من أيدي الكفار الحربيين قهرا، وهي أيضا للمسلمين لا تقبل النقل للملك بسبب من أسبابه، فيمتنع فيها الابتياع والإقطاع.

فأما الأرض الأولى فقد اتفقت المالكية على منع إحداث الذمي فيها كنيسة. ففي المدونة ولا يجوز لمسلم أن يكري داره أو يبيعها ممن يتخذ كنيسة. وفي رسم يسلف في المتاع والحيوان من سماع ابن القاسم من كتاب السلطان من العتبية: سئل مالك عن الكنائس التي في الفسطاط المحدثة التي في خطط الإسلام إن أعطوهم العراص واكروها يبنون فيها الكنائس، قال مالك أرى أن تغير وتهدم ولا يتركوا وذلك لا خير فيه. قال القاضي ابن رشد في البيان عند شرحه لهذه المسألة: هذا مثل ما في المدونة ولا خلاف أعلمه فيها.

قلت: وليس في المدونة ما يماثل مسألة العتبية التي حكى القاضي ابن رشد فيها الاتفاق تصورا وتصديقا إلا قولها: ولا يجوز لمسلم أن يكري داره أو يبيعها ممن يتخذها كنيسة أو بيت نار.

فإن قلت: لعله أراد قولها: ليس لأهل الذمة أن يحدثوا ببلاد الإسلام كنيسة.

قلت: لا يصح أن يريد ذلك، لأن الراد ببلاد الإسلام عند شارحيها بلاد العنوة لا غيرها، والخلاف في إحداث الذمي فيها كنيسة منصوص عليه في المدونة عند ابن القاسم وغيره. وقد أشار ابن رشد إليه في آخر كلامه.

ولا يقال: مراده الأرض المختطة لأن الغير لم يخالف فيها ابن القاسم كما خالفه في أرض العنوة حسبما هو ظاهر المدونة.

لأنا نقول: قد نقل الشيخ أبو الحسن اللخمي الخلاف فيها وفي العنوية صريحا، إلا أنه لم يعزه في المختطة للغير المخالف لابن القاسم في أرض العنوة، ولفظه: اختلف في الكنائس في بلاد المسلمين في العنوة إذا أقر فيها أهلها، وفيما خطه المسلمون فسكنه أهل الذمة على ثلاثة أقوال، فقال ابن القاسم ليس لهم أن يحدثوا كنيسة في شئ من بلاد المسلمين، كانوا عنوة فأقروا فيها أو اختط ذلك المسلمون فسكنها أهل الذمة معهم، إلا أن يكونوا أعطوا ذلك فيوفي لهم. وقال غيره لهم أن يتخذوا ذلك في أرض العنوة إذا أقروا فيها. وظاهر قوليهما أن القديم منها يترك، قال ابن القاسم: وأما أهل الصلح فلا يمنعون من أن يحدثوا كنائس لأنها بلادهم، وقال ابن الماجشون في كتاب ابن حبيب: أما أهل العنوة فلا يترك لهم عند ضرب الجزية كنيسة إلا هدمت ثم لا يحدثون كنيسة وإن كانوا منعزلين عن بلاد الإسلام. قال: وأما أهل الصلح فلا يحدثون كنيسة في بلاد المسلمين وإن شرط ذلك لم يجز ويمنعون من رم كنائسهم القديمة إذا دثرت إلا أن يكون شرط لهم ذلك فيوفي لهم. ويمنعون من الزيادة الظاهرة والباطنة. وإن كانوا منقطعين عن بلاد المسلمين وليس بينهم مسلمون كان لهم أن يحدثوا انتهى. فما نقله ابن عرفة منسوبا إليه فيه قلق ونظر واضح.

وأما الأرض التي اتفق أهل المذهب على جواز الإحداث فيها فهي الأرض العنوة والمختطة، وكذلك أرض الصلح التي بين أظهر المسلمين، فقال القاضي ابن رشد لهم الإحداث إن شروطه. ونقل الشيخ ابن أبي زيد عن عبد الملك في النوادر: ليس لهم الإحداث وعن شرطوه. وكلاهما لم يعرج على قول ابن القاسم في المدونة كما نقله الشيخ اللخمي. وقوله في الكتاب إلا أن يكون لهم أمر أعطوه فسره الشراح بإذن الأمام.

ونقل الشيخ أبو الحسن عن الشيوخ جواز الإذن للإمام في الإحداث إذا كانت مصلحته أعظم من مفسدته. فظهر بما ذكرناه وقررناه أن الأرض التي بنيت فيها الكنائس المسؤول عنها ليست من الأرض المتفق على منع الإحداث فيها، إذا لم يثبت أن المسلمين ملكوا الذميين الأرض أو منفعتها على أن يبنوا فيها تلك الكنائس، فاحتمل أمرها وجها واحدا فاسدا ووجوها كثيرة من الصحة، إذ يحتمل أن يكون التمليك للسكنى ثم بدا للذميين بناء الكنيسة لإقامة دينهم، والملك المعتبر للذمي مصحح لإحداثه الكنيسة فيه على مقتضى قول

ابن القاسم في المدونة، إذ به فرق بين أرض الصلح يجوز فيها الإحداث وبين العنوة فمنعه فيها. وكذلك يعتبر المالك على قول ابن الماجشون أيضا، غير أنه جعل شرط تأثيره السلامة من مخالطة الذميين للمسلمين خشية الفتنة على الضعفاء، ولذلك أجاز الإحداث للمنقطعين عن المسلمين إن لم يسكنوا معهم. إلا أن الإمام المازري قال إنه خلاف المذهب، ومما يحتمل إذن جماعة المسلمين للذميين في الإحداث وهي قائمة مقام الإمام في الموضع الذي لا إمام فيه، أو تكون الأرض محياة فملك الذميون بالإحياء على القول بصحة إحياء الذمي في غيره جزيرة العرب وهو مختار الباجي، أو تكون الأرض مختطة وأذنت الجماعة لمصلحة في الإحداث هي أرجح من المفسدة، ويصير ذلك كحكم من حاكم في محل الخلاف فيرفعه، أو قدم الذميون على الموضوع للسكنى فيه عن عهد معتبر سابق كما تقدم.

وقد لاح في أصول الفقه أن وقوع واحد من شيئين فأكثر أقرب من وقوع واحد بعينه. ثم إن الحوز الثابت للذميين على ما ذكر مانع من اعتبار الفساد وإن احتمل بمقتضى ما تقرر في الفقه، فلو قدر الترافع في الكنائس الموصوفة إلى حاكم موصوف بالعلم والعدالة لا يقضي فيها سوى بالصحة، ولو قضى فيها بالفساد لاحتماله مع قيام موجب الصحة لنقص حكمه. ولم يخرج عن حكم الأصل سوى مسألة واحدة نبه مشايخ المالكية عليها، وهي إذا ادعت المرأة على زوجها الوطء في خلوة الاهتداء وهي محرمة أو حائض أو في نهار رمضان وأنكره الزوج، قال في المدونة: فالقول فيه كالقول في الوطء الصحيح في وجوب جميع الصداق. وقيل القول قول الزوج عملا بالأصل المقرر. وإنما لم يعتبره في المدونة في هذه المسألة من أجل الوازع الطبيعي فقدمه على الوازع الشرعي. هذا كله مما يتعلق بالمقدمة الصغرى من القياس وهي قولنا هدم الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذمة.

وأما ما يتعلق بالمقدمة الثانية وهي الكبرى القائلة: وظلم أهل الذمة لا يجوز شرعا، فنقول: قد أمر الله بالوفاء بالعهد، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا بيوت المعاهدين إلا أن يأذنوا لكم. وقد تظافرت الأحاديث عنه عليه السلام بالنهي عن ظلم أهل الذمة فلا سبيل إلى استباحته، فلزم صدق النتيجة وهي: هدم الكنائس الموصوفة لا يجوز شرعا، ثم خروج أهلها إن خرجوا عن الحد الواجب عليهم لا يستلزم استباحه أموالهم إلا أن يكون ذلك مما نص أيمتنا أنه نقض للعهد، كما إذا تمردوا على الأحكام ومنعوا الجزية

أو برزوا لقتال المسلمين لا بالحرابة على المشهور. وعليه فحكم المحارب منهم حكم المحارب من المسلمين، أو يثبت إكراه الذمي حرة مسلمة على الزنى، فمكرهها ناقض للعهد، أو غرها بأنه مسلم فتزوجها. وكذلك إن خرج لدار الحرب يريد السكنى بها ما لم يكن خروجه لظلم لحقه فإنه لا يسترق على المشهور. وفي الجواهر عقد الذمة يقتضي وجوبا علينا وعليهم، فحكمه علينا وجوب الكف عنهم وأن نعصمهم بالضمان نفسا ومالا ولا نتعرض لكنائسهم ولا لخمورهم ولا لخنازيرهم ما لم يظهروها، فإن أظهروها الخمر أرقناها عليهم وإن لم يظهروها وأراقها مسلم فقد تعدى ويجب عليه الضمان. وقيل لا يجب.

قلت: مبنى الخلاف في هذه المسألة وما يشبهها اختلاف الأصوليين في خطاب الكفار بالفروع، وهكذا يكون حكم الأمور التي هي من شرعهم فإنا لا نتعرض لهم فيها ما لم يظهروها فيتقدم إليهم فيها، فالتغيير عليهم كتغيير المنكر على المسلمين بشروط ثلاثة:

الأول: العلم بالمعروف والمنكر، والجاهل لا يصح منه أمر ولا نهي، لأنه قد ينهي عن المعروف ويأمر بالمنكر. وقد نص بعض المتكلمين على أن المنهي عنه والمأمور به لا بد أن يكونا مجمعا عليهما بالأمر بالوجوب والنهي بالتحريم، فيخرج المندوب وما اختلف في وجوبه، وكذلك المكروه وما اختلف في تحريمه.

الثاني: الأمن من أن يؤدي إنكار المنكر أكبر منه، كمن ينهي عن شرب الخمر بحيث يؤل نهيه إلى قتل نفس. فإن لم يؤمن ذلك لم يجز التغيير كما ذكر من أراد هدم الكنائس المسؤول عنها. فبتقدير أن يكون بقاؤها منكرا لم يجز تغييرها على أهلها وهم أهل الذمة. وقد اتفق العلماء على تحريم قتال الذميين وهم لم ينقضوا العهد، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إلا أن ينقضوا عهد الذمة، وحيث لم ينقضوا عهد الذمة يكون قتالهم حرابة ومن باب السعي في الفساد في الأرض، فالساعي في ذلك مندرج في آية الحرابة وهي قوله تعالى: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا الآية.

الثالث: أن يعلم المنكر أو يغلب على ظنه لم يجب التغيير، الشرطان الأولان في الجواز، والثالث في الوجوب، فإذا عدم الشرط الأول والثاني لم يجز الأمر ولا النهي، وإذا عدم الثالث ووجد الأول والثاني جاز أن يأمر وينهي. ويدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشروط الثلاثة قوله تعالى: " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء

بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر". وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي بنفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليصرفن الله قلوب بعضهم على بعض ويلعننكم كما لعن بني إسرائيل كان إذا عمل العامل منهم بالخطيئة نهاه الناهي تعزيزا فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه وكأنه لم يره على الخطيئة بالأمس فلما رأى الله في ذلك صرف قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيه داوود وعيسى" صلى الله على نبينا وعليهما وعلى سائر النبيئين والمرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وكل ما وقع من السؤال من الحجج والمحاجة صواب أرانا الله الحق حقا ورزقنا إتباعه، وجنبنا طرق الباطل وأشياعه، بمنه وفضله، وجوده وطوله. وكتب عبد ربه أحمد بن محمد بن زكري التلمساني لطف الله به.

ملحـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـق رقم 17

جواب أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (الفتوى الثانية)[3]

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا ومولانا محمد رسول الله. من عبد الله أحمد بن محمد بن زكري التلمساني خار الله له، وانجح في رضاه قصده وأمله، إلى الأخ في الله أبي محمد عبد الله بعد السلام عليكم، قد وردت علي أسئلتك وأنا مشغول البال، من أجل كثرة الأشغال، ووردت على إثرها كتب وسؤال من قبل المغيلي طالبا الجواب في قضية الكنائس التي سألت عنها، فأما أجوبة أسئلتك فقد حصلت والحال على ما وصفت اك، وسيقع الجواب له عن سؤاله إن شاء الله عز وجل. وما عندي في القضية إلا ما وقع به الجواب اك، وكان ذلك إثر جوابي في قضية وردت علي من المشرق مثل قضيتك.

وحاصل سؤالها: كنيسة في بيت المقدس لأهل الذمة أراد بعض الفقهاء هدمها، فهل تهدم أم لا؟

فأجب عن السؤال وهو مكتوب في رق بما حاصله: أن بيت المقدس قد استفتحه الصحابة رضي الله عنهم صلحا من غير خلاف بين أهل السيرة والتاريخ. وما استفتح صلحا للصلحي الإحداث على مذهب المدونة، فكيف يهدم ما هو مبني من قبل الفتح؟ وقد طاب صاحب السؤال تسجيله في كل بلد إلى أن يصل فسجل علي وسافر حامله في طرائد البنادقة في هذه السنة. وأما كنائس البلاد الصحراوية فأقرب شئ في تلك البلاد أنها مملوكة لأهلها بالإحياء والاختطاط، ويبعد فيها أن تكون عنوية أو صلحية. ولا سبيل إلى هدم ما وجد فيها من الكنائس إلا إذا اثبت أن أهل تلك البلاد ملكوا الذميين الأرض على أن يبنوا فيها الكنائس. وإثبات هذا هو المتفق على منع الإحداث به وعلى وجوب الهدم، ولا خفاء في عدم ثبوت ذلك. وأما سواه لا يصح معه الهدم بوجه من الوجوه إلا بوجه العدوان والظلم لأهل الذمة، اللهم إلا إن كان القائم عليهم ينكر مشروعية ضرب الجزية وإعطاء الذمة المعلوم ضرورة من دين الأمة، فحينئذ يكون خارقا للإجماع القطعي، وقد

[3] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص228-229.

علم كفر منكره، ولا خلاف بين المسلمين في سائر الأعصار وفي جميع الأمصار في مشروعية ضرب الجزية وإعطاء الذمة إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض فحينئذ لا تعطى لكافر ذمة. وسلام منا على شيوخ الموضع وفرهم الله وكان في عونهم على الحق ودفع الباطل، ونطلبهم في الدعاء لنا، فإن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب مستجاب. ختم الله لنا ولهم بالحسنى والزيادة، وبلغ كل واحد منا في مرضاة مولاه منتهى الإرادة، وختم لنا ولهم بالسعادة.

ملحـــــــق رقم 18

جواب أبي مهدي عيسى بن أحمد الماواسي (الفتوى الأولى)[4]

الحمد لله وحده دائما. الجواب والله سبحانه الموفق للصواب بفضله، إن منزلة توات وغيرها من قصور الصحراء هي كلها ديار إسلام، فلا تنبغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، وإن قال به جماعة من العلماء، إلا أن يكون ذلك شرطا لهم في عقود جزيتهم فيوفي لهم بما عهد لهم في جزيتهم. هذا هو مذهب المدونة وهو قول ابن القاسم المعمول به والمعروف له، فلا يحسن العدول عنه مع ظهوره ووضوح وجهه، إلا أن يثبت عند هذا المفتي بتقرير الكنائس المذكورة أن حدوثها كان شرطا لليهود في عقد جزيتهم كما جرى العمل بذلك في كثير من بلدان الإسلام فتصبح فتياه ويحسن تقريره لموافقته للمشهور. وأما ما ذكره حفظه الله تعالى من الأقوال المسرودة فحسن مساقها، وما حكاه المخالف من الإجماع المنعقد على هدم كنائسهم، فإن كانوا بالحالة المعروفة لأهل الذمة من أداء الجزية عن يد وهم صاغرون، فذلكم من تحكاماته. وإن خالفوا الحالة الموصوفة وكانوا ناقضين للعهد فقوله حسن. وكذلك كل ما ضربه القائل المذكور من الأمثال لا ينبغي إجراؤها إلا فيمن نقض العهد من الذميين، وإما غيرهم فلا. وما نقله الشيخ أبو محمد صالح أن أرض الإسلام ليس لأهل الشرك إحداث كنيسة فيها فقد جرى في نقله على المشهور المشار إليه قبل هذا الاتفاق للعلماء على الحكم في المسألة بما قرره، فلا حجة فيه لمخالفكم ولا في نظير هذا النص مما يعضد فيه ناقله الوقوف مع المشهور. وما ذكره صاحب السؤال من الاحتجاجات على مختاره جله صحيح لا يكاد يسقط منه شئ في النظر والاستدلال سوى محال يسيرة ينبغي مراجعة النظر فيها وإعادته إليها. والله سبحانه أعلم.

وقد ذكر الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي في الفرن الثامن عشر والمائة من قواعده عن ابن حزم في مراتب إجماعه الشروط المشترطة في أداء الجزية

[4] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص225-226 .

شروطا ذكر فيها ألا يحدثوا كنيسة ولا يجددوا ما خرب منها الخ. وهذا كان لا يمس محل النزاع فقد اعتنى الايمة باشتراط الجريان في عقد الجزية على المشهور المنصوص، والله سبحانه أعلم، وهو الموفق للصواب بفضله. وكتب مسلما على من يقف عليه العبد الفقير إليه عيسى بن أحمد الماواسي انتهى.

ملحـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـق رقم 19

جواب أبي مهدي عيسى بن أحمد الماواسي (الفتوى الثانية)[5]

الحمد لله تعالى حق حمده، والصلاة والسلام الأكرمان على سيدنا محمد المصطفى نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان من بعده.

وبعد أيد الله الجميع بالتقوى، وصرف عنا في الدنيا والآخرة كل محنة وبلوى، فإني وقفت على السؤال المشتمل على ما تضمنته من المقال والفتوى، بقول واضح السبيل، راجح الدليل، لموافقته ظاهر المدونة حيث تكلم على المسألة في كتاب الجعل والإجازة منها وترجمة من آخر داره ممن يتخذها كنيسة فقال فيها ما نصه، مالك: وليس لأهل الذمة أن يحدثوا ببلاد الإسلام كنائس إلا أن يكون لهم أمر أعطوه. ثم قال في الترجمة بعد ذلك عن ابن القاسم: وما اختطه المسلمون عند فتحهم ويسكنونه كالفسطاط والبصرة والكوفة وافريقية وشبهها من مدائن الشام فليس لهم إحداث ذلك فيها إلا أن يكون لهم عهد فيوفي لهم به انتهى نصه. فكلام صاحب التهذيب إنما هو في إحداث الكنائس لا في هدم ما وجد منها مبنيا منذ زمان متطاول. فأما ما وجد منها مبنيا قد تطاول زمن بنائه فلا يتعرض لهدمه، لأنهم محمولون على أن ذلك أمر أعطوه حتى يثبت تعديهم في بنائهم، فإن ثبت ذلك وجب هدمه، لأن دوامه كابتدائه، وإن لم يثبت ذلك وجب بقاؤه. ، وبهذا المفهوم من المسألة أخذ الشيخ أبو الحسن اللخمي في تبصرته على المدونة فقال في ترجمة من أجر داره لمن يتخذها كنيسة في الفصل الأخير منها فراغه من نقل كلام ابن القاسم وكلام غيره في المسألة ما نصه: وظاهر قوليهما أن القديم منها يترك، انتهى.

وهذا الظاهر صحيح نقله الشيوخ وسلموه كالشيخ أبي الحسن الصغير وغيره ممن تكلم على المدونة. وهذا الظاهر المفهوم من كلام أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه يؤخذ مثله من كلام ابن القاسم وهو القول الثاني من القولين اللذين أشار إليهما الشيخ أبو الحسن اللخمي بقوله: وظاهر قوليهما أن القديم من البناء يترك لأنه يحتمل لأنهم إنما

[5] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص226-227.

بنوا الكنيسة لأنه عهد وفي لهم به، فيجب بقاؤه حتى يثبت أنهم تعدوا في البناء فيجب هدمه. واحتمال بنائه أنه وقع منهم على وجه التعدي مرجوح بعيد في النظر لأنهم ذميون أذلة صاغرون، ويبعد في حقهم التعدي لصغارهم وذلتهم، فيبعد في النظر وجود التعدي منهم على بنائها مع طول ذلك بعد بنائه ودوامه من غير نكير عليهم، فيبعد لذلك تعديهم كما ذكرناه.

وتوات ونحوها من مدن الصحراء مما اختطه المسلمون. والاختطاط عطية الإمام لهم موضعا يبنون فيه وإباحة ذلك لهم. والخطة بكسر الخاء هي الأرض التي يعلم عليها الرجل علامة بخط يدل على اختيار المعلم بناء الموضع المعلم واختياره. ومنه خطط الكوفة والبصرة قاله الجوهري في صحاحه. ومدن الصحراء ونحوها كلها راجعة إلى الاختطاط، فإن شرط الذميون شرط اتخاذ كنيسة لهم جاز ذلك إن كانت مصلحة ذلك أعظم من مفسدته، ويوفي بذلك كما قال مالك وابن القاسم رضى الله عنهما، وليس ما ذكر بأثر المسألة التي قرر فيها ما ذكر بمعرض لما في بيان ابن رشد حيث قال: وأما إن كانت قراهم في بلاد الإسلام فليس لهم ذلك إلا أن يكون لهم أمر أعطوه، لأنا إنما ذكرنا إبقاء ما بني من الكنائس بشرط عدم تعديهم في بنائهم المذكور، وأما أن ثبت تعديهم فإنه يجب هدمه. ونحو من هذا المعنى لابن شاس في جواهره، ولا معارضة بين قوليهما وما ذكرناه، والله سبحانه أعلم وهو تعالى الموفق للصواب بفضله. وكتب مسلما على من يقف عليه عبد الله الفقير إلى الله عيسى الماواسي لطف الله تعالى به وسامحه بفضله.

ملحـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـق رقم 20

جواب فقيه تونس محمد بن قاسم الرصاع[6]

الحمد لله وحده. سلام الله الأتم، ورضوانه المبارك الأعم، يخص سادتنا وموالينا الفقهاء والعلماء ومن يقف عليه من الأجود حفظهم الله. سألني بعض الفضلاء من الإخوان عما يشتريه أهل الذمة من أراضي المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعانهم الله ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة، وليس للمسلمين أن يبيعوا الأرض المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه، ولا مانع لهم من شراء ما يبنونه لسكناهم إذ هم يؤدون الجزية وهم تحت ذمة المسلمين وجزيتهم بسنة المسلمين، تؤخذ منهم طوعا وكرها، ولا يقصدون بأذية، وإذا صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد فيها غير الله تعالى فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون والسلام.قاله محمد بن قاسم الرصاع لطف الله بالجميع بمنه.

---

[6] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص227.

ملحـــــــــــــــــــــــــــــــق رقم 21

جواب أبي زكرياء أبي البركات التلمساني[7]

الحمد لله. لا خفاء أن من معه أدنى مسكة من العقل فضلا عمن اتصف بالعلم إن تدبر الأوصاف المسطرة فوقه التي أحدها يقوم مقام جميعها لا يقول بهدم الكنائس المذكورة ولا يفوه به، لما تقرر من أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ولا سيما إذا بدت لذلك أمارات وقامت عليه دلالات تقضي تحريم الخوض في ذلك، كما هو المقرر في تغيير المنكر إذ كان مؤديا الى منكر أعظم منه ولو كان الذي يريد تغييره مجمعا عليه. وأي مفسدة أعظم مما يثير الهرج ويحدث الفتن المؤدية لقتل النفوس وسلب الأموال واشتعال نار الحرب بين الخلق في سائر الأفاق، إذ مثل هذا إذا تسومح فيه وحكم به في موضع لا ينفك في تطرقه منه الى غيره من سائر البلاد. لما تحقق من كون أهل الشر والفساد يتعلقون بأدنى شئ من الأسباب الموصلة إلى أغراضهم الفاسدة وإن كانت على غير وجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكيف بما يراد بناؤه على أصل ديني ولاسيما بين قلوب المشحونة بضغائن حتى بين العلماء المتعاطين للتكلم في ذلك؟ إذ لا امتراء في عدم اتفاقهم، واختلافهم آيل الى التعرض للأخذ في أعراض بعضهم بعضا والغيبة والتكذيب حسب ما يقتضيه الاختلاف والجدال.

ومن أجل ذلك قال مالك رضي الله عنه: لا تخالف فإن الخلاف شر، أي إنه يجر إلى الشحنة أو يورث ما يحدث في النفس من الأضغان والبغضاء. قال بعض الأيمة ممن تكلم على سبه هذه النازلة: وربما جر الخلاف في مكروه أو مختلف فيه إلى الوقوع في الحرام البين المجمع عليه في باب المحرمات، والسكوت فيما يعلم أن خيره لا يقوم بشره هو الصواب. فحق العالم الطالب للسلامة ترك الخوض في مثل هذا إن كان ممن وفقه الله ورأى أن شر زمانه أغلب من خيره، كما وقع للإمام الغزالي رحمه الله في القضية المشهورة. والعاقل إذا أراد إحياء سنة وإماتة بدعة ينظر أولا إلى العاقبة والمآل، دون ما

[7] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص229-231 .

يقتضيه له الحال، فكثير من الأمور يكون خطبها في الحال يسيرا ويصير في المآل عظيما، فيندم حيث لا ينفعه الندم ويقول يا ليتني لم أفعل ومن أكبر حجة في ذلك سكوت العلماء والصالحين عليها في سائر أقطار الأرض وتغافلهم وتركهم لها على ما وجدوها عليه، إذ في مخالفتهم عين المنكر من حيث نسبهم به إما للقصور والتقصير، أو رميهم بالجهالة أو البدعة والموافقة على المنكر أو المداهنة. وفي ذلك ورد: من قال هلك الناس فهو أهلكهم، بالضم والفتح. والقادح في أيمة الهدى تصريحا أو تلويحا بسكوتهم بأي وجه كان هو الهالك في الحقيقة، فقد أدخل عليه الشيطان من التعجب بنفسه وفساد اعتقاده على أهل العلم ونسبتهم إلى مخالفة الشريعة ما فيه هلاك الأبد، وسكوت أهل زمان على أمر حجة، فكيف بأزمنة متصلة لا يدرك لها مبدأ؟ وقد جعل العلماء رضي الله عنهم تواطؤ العلماء على إقامة ليلة القدر في سائر الأقطار ليلة سبع وعشرين على أنها هي، فكذلك جواز نقش القبور والكتب عليها تمالأ أيمة المسلمين عليه شرقا وغربا بأخذ الخلف عن السلف مع مصادمته للأحاديث الواردة بمنعه جعلوه حجة، إلى غير ذلك من مسائل وقعت في المذهب تدل على ذلك.

والحاصل الذي عليه الاعتماد وإليه الاستناد في هذه القضية، أن لا سبيل إلى هدم الكنائس بحال حيث كانت، لأن ذلك على ما في السؤال حرام لا يسوغ شرعا ولا يخالف في هذا أحد من المسلمين. والمعترض كذلك عاص وإن كانت المفسدة مامونة في الموضع الذي منه السؤال، إذ لا يومن وقوع الفساد في غيره، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه. فيجب لأجل ذلك على من قلده الله حكما من الأحكام الشرعية وجعل له نظرا على عباده أن يضرب على يد القائم ولا يمكنه من هذا الغرض، فإن مفسدته أعظم من مصلحته فيما ظهر. والله سبحانه وتعالى أعلم. وكتب عبد الله سبحانه يحيى بن عبد الله بن أبي البركات الغماري لطف الله به.

ملحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــق رقم 22

جواب عبد الرحمن بن سعيد[8]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وسلام على عباده الذين اصطفى، وحسبنا الله وكفى.

وبعد، أبعد الله المحادين عن أمورنا وأمور المسلمين أجمعين، وجعلنا ممن يتبع ولا يبتدع ويتمسك بالطريق المستقيم، ويتبع سنن العلماء الماضين فيما وجدوه في الأمصار من كنائس وبيع أهل الكتاب وأقرب على ما هي عليه ولا نكير، وبهذا أخذ الناس ومضت عليه الأمصار والأعصار، وعمل بذلك الخاف بعد السلف. وهو عين ما أجاب به الفقيه المعظم النحرير فوق هذا المكتوب، وهو الحق وعليه العمل وعمل الناس أجمعين لا ينبغي التتبع والتعمق والتشديد والتشغيب على الناس فيما أقره العلماء وعمل به السلف، قال الله سبحانه: يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم إلى آخر الآية وكتب عبد الله الفقير إلى رحمة مولاه و مزيده عبد الرحمن بن سعيد لطف الله به.

[8] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص231-232 .

ملحـــــــــــــــــــــــــق رقم 23

رأي الونشريسي بوجوب هدم كنائس اليهود بتوات[9]

قلت: الحق الأبلج الذي لا شك فيه ولا محيد عنه أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامتة لتاول المغرب الأوسط المختطة وراء الرمال المتهيلة التي لا تنبت زرعا ولا ضرعا بلاد إسلام باختطاط، لا تتقرر الملاعين اليهود- أبعدهم الله – فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير، ولا حجة لهم في الحوز الأعم من الإذن الشرعي المعتبر وعدمه، لأن الأعم لا إشعار له بالأخص المعين، لأن حاصله تردد الحوز بين الإذن وعدمه، وذلك عين الشك في الشرط، والشك مانع من ترتب مشروطه عليه، فلا يتصور خلاف بين ابن القاسم والغير في المختطة للمسلمين كهذه إلا بعد تحقق الإذن من مشايخ المكان وسكان تلك الأوطان فيجب على محدث الكنائس الإثبات والبيان، لأنهم مدعون لأمر الأصل عدمه، وما سواه فإرجاف وهذيان. فإذا أثبتوا الأذن المنوط بالمصلحة إذ ذاك كانت المسألة خلافية وحكم الحاكم إذا اتصل بأحد قوليهما يرفع الآخر، وتصير المسألة بعد حكمه بأحدهما كأنها مسألة إجماع. ومتى لم يثبت الإذن لهم بالعدول والإثبات، فلا إقرار لكنائسهم ولا ثبات، والإذن المجرد بانفراده لا يرفع الخلاف، ومن قال به فقد أبعد في الجواب، وحاد عن مهيع الحق وطريق الصواب.

قال القرطبي في أحكامه عن ابن خويز منداد عند قوله تعالى: ولولا دفاع الله الناس الآية، تضمنت هذه الآية المنع من هدم كنائس أهل الذمة وبيعهم وبيوت نيرانهم، ولا يتركون أن يحدثوا ما لم يكن، ولا يزيدون في البنيان لا سعة ولا ارتفاعا، ولا ينبغي للمسلمين أن يدخلوها ولا يصلوا فيها، ومتى أحدثوا زيادة وجب نقضها. وينقض ما وجد في بلاد الحرب من البيع والكنائس. وإنما لم ينقض ما في بلد المسلمين لأهل الذمة لأنها جرت مجرى بيوتهم وأموالهم التي عاهدوا عليها في الصيانة، ولا يجوز أن يمكنوا من الزيادة، لأن في ذلك إظهار أسباب الكفر انتهى.

---

[9] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص232- 235 .

وفي سراج الطرطوشي: فأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة، وأمر ألا يظهر صليب خارجا من الكنيسة إلا كسر على رأس صاحبه. وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء. وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين. وشدد عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حادثة، وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحادثة، ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب انتهى.

وفي آخر الثاني من أحكام ابن سهل عن ابن لبابة وأصحابه: ليس في شرائع الإسلام إحداث أهل الذمة من اليهود والنصارى كنائس ولا شنوعات في مدائن المسلمين وبين ظهرانيهم. ابن سهل: ذكر ابن حبيب في ثالث جهاد الواضحة عن ابن الماجشون عن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا ترفعن فيكم يهودية ولا نصرانية. قال ابن الماجشون: لا تبنى كنيسة في دار الإسلام ولا في حريمه ولا في علمه غلا إن كانوا أهل ذمة منقطعين عن دار الإسلام وحريمه ليس بينهم مسلمون فلا يمنعوا من بنائها بينهم ولا من إدخال الخمر إليهم ولا من كسب الخنازير. وإن كانوا بين اظهر المسلمين منعوا من ذلك كله ومن رم كنائسهم القديمة التي صالحوا عليها إذا رثت إلا أن يشترطوا ذلك في صلحهم فيوفي لهم، ويمنعون من الزيادة فيها كانت الزيادة فيها ظاهرة أو باطنة، وإن شرطوا ألا يمنعوا من إحداث الكنائس وصالحهم الإمام على ذلك عن جهل منه فنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك أولى بالإتباع والانقياد، ويمنعون من ذلك في حريم الإسلام وفي قراهم التي قد سكنها المسلمون. ولا عهد في معصية الله إلا في رم كنائسهم أن اشترطوا ذلك لا غير فيوفي لهم به. قال ابن الماجشون: هذا كله في أهل الصلح من أهل الجزية، وأما أهل العنوة فلا يترك لهم عند ضرب الجزية عليهم كنيسة إلا هدمت، ولا يتركون أن يحدثوها وإن كانوا منعزلين عن جماعة المسلمين لأنهم كعبيد المسلمين وليس لهم عهد يوفي لهم به، وإنما صار لهم عهد حرمت به دماؤهم حين أخذت الجزية منهم.

وفي كتاب الجعل من المدونة قال ابن القاسم عن مالك: لا يتخذ النصارى الكنائس في بلاد الإسلام إلا أن يكون لهم أمر أعطوه. قال ابن القاسم عن مالك: لا يمنعون من ذلك في قراهم التي صالحوا عليها لأنها بلادهم يبيعون إن شاءوا أرضهم ودورهم، إلا أن

تكون بلاد عنوة فليس لهم أن يبيعوها ولا يرثوها، وهي فيء للمسلمين، وإن أسلموا انتزعت منهم، وقال غيره لا يمنعون من كنائسهم التي في قراهم التي أقروا فيها بعد افتتاحها عنوة، ولا من أن يحدثوا فيها كنائس، لأنهم أقروا فيها على ذمتهم وعلى ما يجوز لهم فعله، وليس عليهم فيها خراج، إنما الخراج على الأرض انتهى.

وفي وجيز الغزالي: الواجب الثالث الإهانة، وهي أن يطأطئ الذمي رأسه عند التسليم فيأخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهازمه، وهو واجب على أحد الوجهين حتى لو وكل مسلما بالأداء لم يجز، ولو ضمن المسلم الجزية لم يصح. لكن يجوز إسقاط هذه الإهانة مع اسم الجزية عند المصلحة بتضعيف الصدقة ويجوز ذلك مع العرب والعجم، فيقول الإمام أبدلت الجزية بضعف الصدقة، فيكون ما يأخذه جزية باسم الصدقة، فيأخذ من خمس من الإبل شاتين، ومن خمس وعشرين ابنتي مخاض، ومن عشرين دينارا، ومن مائتي درهم عشرة دراهم، ومما سقته السماء الخمس، وما سقي بآلة العشر، ويؤخذ من ست وثلاثين بنتا لبون. ثم قال وأما الحكم عليهم فخمسة أمور.

الأول في الكنائس، فإن كانوا في بلدة بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة، وكذلك لو ملكنا رقبة بلدة من بلادهم قهرا، لكن لو أراد الإمام أن يقرر كنيسة من الكنائس القديمة ويقرر منهم طائفة بجزية ففيه وجهان، والأصح وجوب نقض كنائسهم. أما إذا افتتحت بالصلح على أن يسكنوها بخراج ورقبة الأبنية للمسلمين وشرطوا بقاء كنيسة جاز، وإن أطلقوا ففي وجوب ذلك إتماما لما صالحنا عليه من التقرير وجهان. قوله إتماما لأنه يمتنع عليهم القرار دون متعبد وجامع، وأما إذا فتحت على أن تكون رقبة البلاد لهم وعليهم خراج فهو بلادهم ولا تنقض كنائسهم، والظاهر أنهم لا يمنعون من إحداث كنيسة، ويجوز لهم فيه إظهار الخمر والناقوس وغيره. وحيث ما منع من الإحداث فلا يمنع من عمارة القديمة إذا استرمت، فلو انهدمت ففي جواز إعادتها وجهان، وفي توسيع حيطانها وجهان. ولا يلزمهم إخفاء العمارة، وضرب الناقوس يمنع منه كإظهار الخمر، وقيل هو تابع للكنيسة.

قلت: تأمل قوله فإن كانوا في بلدة بناها المسلمون فإنه دليل واضح في أن ما أحدثه ملاعين اليهود من الكنائس بالقصور التواتية وغيرها من بلاد الجريد المسامتة لتلول المغرب الأوسط لا تقر بل تهدم، وليست من متعلق خلاف ابن القاسم والغير الواقع في

كتاب الجعل والإجازة بحال كما توهمه من أفتاهم بذلك من فقهاء تلمسان وفاس حسبما سطرناه عنهم قبل هذا، وهو غلط فاحش عصمنا الله من الزلل، ووفقنا لصالح القول والعمل.

ثم قال الغزالي: الثالث يمنعون من ركوب الخيل والبغال النفيسة ولا يمنعون من الحمير، وليكن ركابهم من الخشب. ويمنعون من جادة الطريق ويضطرون إلى المضيق إذا لم يكن الطريق خاليا.

الرابع: ويلزمهم الغيار، وكذلك المرأة في الحمام وخارجه، وفيه وجهان، وهل ذلك واجب أو مستحب فيه وجهان. وأما ترك الكنيسة وما يتعلق بها فواجب. انتهى محل الحاجة منه.

ملحـــق رقم 24

جواب الفقيه الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني[10]

ولصاحبنا الفقيه الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي جواب على مسألة كنائس اليهود المحدثة بالقصور التواتية رأيت إثباته هنا لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه:

الحمد لله الذي لا يستحق الحمد المطلق سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مختاره من الخلق ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا منهاجه القويم واهتدوا بهداه، ومن تبعهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله. من عبد الله تعالى المعترف بذنبه، الراجي غفران ربه، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي لطف الله به إلى جماعة أهل تمنطيط وفقهم الله وسددهم وهداهم لقبول الحق وأرشدهم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد. فقد ورد علينا من ناحيتكم سؤال نصه بعد الافتتاح : ما تقولون وفقكم الله في مسألة تمنطيط مدينة توات أحيى المسلمون أرضها بإخراج مياهها وغرس نخلها وبناء قصورها مدة ، ثم قدم عليهم اليهود ونزلوا عليهم في المدينة المذكورة وأحدثوا فيها كنيسة لإقامة دينهم وأقاموا على ذلك مدة إلى ألان ، فهل تهدم تلك الكنيسة وإن كانوا ملكوا أرضها قبل بنائها بشراء من المسلمين أو غيره ؟ أو لا تهدم ؟ أفتونا في ذلك بجواب صريح ولكم الأجر فإن المسلمين في حيرة من هذه المسألة ، فإن كان الحق هدمها هدموها بلا فتنة ولا اختلاف ، وإن كان الحق إبقائها أبقوها بلا فتنة . والله الموفق والسلام عليكم والرحمة والبركة .

فاعلموا، نور الله بصائركم، وطهر من إتباع الهوى سرائركم، أن الشريعة المحمدية نسخت كل ملة، وشفت القلوب السقيمة من كل علة، إذا برزت شموسها ساطعة، وبدت براهنها قاطعة، وقام بحفظها العلماء الأعلام، مكلفين بحراستها على مرور الأيام، واعتنوا

[10] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص235-252 .

ببيان حكم مسألة السؤال عصرا فعصرا من زمن الصحابة إلى هلم جرا. وسنورد عليكم من كلامهم ما لا يبقى معه لبس، ولا تتشوف إلى غيره نفس. وأصل ذلك أحاديث مروية عن خير المرسلين، وآثار وردت على وفقها عن الصحابة والتابعين، اعتمد عليها قديما وحديثا علماء المسلمين. فقد روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اهدموا الصوامع واهدموا البيع. وروى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى عليه وسلم قال لا تحدث كنيسة في الإسلام ولا يجدد ما هدم منها. وروى ابن العباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا خصاء في الإسلام ولا بنيان كنيسة. ذكر هذه الأحاديث ابن حبان في كتابه الذي ألفه في شروط أهل الذمة وأبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال، وكل من هذين الإمامين في طبقة أيمة الحديث الخمسة المشهورين. وروى ابن عباس أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تكون قبلتان في بلدة واحدة ذكره أبو داود. وأخرج البغوي نحوه بلفظ: لا تصلح قبلتان في أرض واحدة، وساقه ابن المناصف في كتابه الإنجاد في آداب الجهاد محتج به على مسألة السؤال وروى ابن حبيب عن ابن الماجشون قال: سمعت مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية، وقال يعني الكنائس والبيع. وهذه الأحاديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم إذ هو مما أخبر به قبل وجوده فوجد كذلك. وأما الآثار فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا كنيسة في دار الإسلام. ذكره أبو عبيد. وروى سالم بن عبد الله عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن تهدم كل كنيسة لمتكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة ذكره ابن بدران وهو من أقران الباجي.

ولما ساق ابن حبان الأحاديث المتقدمة بأسانيده قال: أخبرنا أبو يعلى الموصلي قال: حدثنا الربيع بن ثعلب قال: حدثنا يحي بن عقبة بن أبي العيزار، عن سفيان الثوري والربيع بن نوح السدي عن طلحة بن مصرف، عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم انه كتب إلى عمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى الشام، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذريتنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدائننا ولا في ما حولها ديرا ولا كنيسة وبيعة ولا صومعة راهب

ولا نجدد ما خرب منها، وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من مرة بها من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن ننزل من مرة من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نأوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوس، ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرءان ولا نظهر شرعنا ولا ندعو إليه أحد، ولا نمنع أحد من دوي قربتنا الدخول في الإسلام أن أراده، وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا أن أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شئ من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم, ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا,ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر, وأن نجز مقادم رؤوسنا, وأن نلازم زينا حيثما كنا, وأن نشد الزنانير على أوساطنا, وأن لا نظهر صلباننا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم, وأن نضرب بنواقيسنا إلا ضرب خفيفا، وأن لا نرفع صوتا بقراءة في كنائسنا في شئ من حضرة المسلمين، ولا نخرج سعانينا ولا ياغوثنا، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شئ من طرق المسلمين وأسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق من جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطلع على منازل المسلمين.

فلما بلغ الكتاب عمر زاد فيه ولا نضر بأحد من المسلمين، شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا، وقبلنا عليه الأمان. فإن نحن خالفنا في شئ مما شرطنا لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق.

فكتب إليه عمر أن امض ما سألوه وألحق به حرفين اشترطهما عليهم مع ما اشترطوه على أنفسهم: ألا يشتروا شيئا من سبايا المسلمين، ومن ضرب منهم عمدا فقد خلع عهده وانتهى.

وقد ذكر أيضا هذه القضية من أيمة الحديث أبو عبيد، واعتمد عليها الفقهاء من أهل كل مذهب في الأحكام المتعلقة بأهل الذمة. فقد ذكرها من المالكية شيخ الإسلام أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك، والشيخ أبو عبد الله بن المناصف في كتابه الإنجاد، والحافظ ابن خاف الغرناطي في تنبيه ذوي الألباب على أحكام خطة الاحتساب، وذكر بعضها المحدث أبو الربيع بن سالم الكلاعي في كتابه الاكتفاء، وذكرها من الشافعية ابن

المنذر وابن بدران، ومن الظاهرية ابن حزم وغيرهم، وسقناها تامة لاعتماد العلماء عليها حيثما تكلموا على فصل من فصولها. والذي يخص السؤال منها إنما هو الفصل الأول فقط. والمقصود من الأحاديث والآثار المتقدمة ما يحكم به من البلاد أنه للمسلمين لتعبيره بقوله في الإسلام وبقوله فيكم خطابا للمسلمين وبقوله في دار الإسلام، ويحمل المطلق على المقيد، فتناول بهذا التفسير ما اختطه المسلمون الذي هو محل السؤال، وما ملكه المسلمون عنوة ولا يتناول بلاد الصلح، إذ هي لأهل الصلح دون المسلمين. وقد جاء هذا التفصيل بينا عن ابن العباس رضي الله عنه، فقد روى أبو عبيد وابن حبان، واللفظ له، عن عكرمة أنه قال: سئل ابن عباس هل للعجم أن يحدثوا في أمصار العرب شيئا؟ فقال أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه بيعة ولا يظهروا فيه خمرا ولا يدخلوه فيه خمرا ولا يدخلوه خنزيرا ولا يضربوا فيه بناقوس.

قال أبو عبيدة بأثر كلام ابن عباس تفسيرا لقوله مصرته العرب: التمصير على وجوه: منها البلاد يسلم عليها أهلها مثل المدينة والطائف واليمن؟

ومنها كل ارض لم يكن لها أهل فاختطها المسلمون ونزلوها كالكوفة والبصرة.

ومنها كل قرية فتحت عنوة فلم ير الإمام ردها إلى الذين أخذت منهم. قال فهذه أمصار المسلمين لأهل الذمة فيها إلى إظهار شئ من شرائعهم، يعني باتخاذ الكنائس وإظهار الخمر والخنزير وضرب الناقوس، قال وأما البلاد التي لهم فيها السبيل إلى ذلك، فما كان منها صلحا صولحوا عليه فلم ينزع منهم، وفيه قال ابن العباس: يحق على المسلمين أن يوفوا لهم قال وذلك كأرض حجر والبحرين وآيلة ودومة الجندل. وكلام ابن العباس هذا الذي فصل هذا التفصيل هو الذي اعتمده علماء الأمة من أول الزمان إلى الآن وجعلوه مفسرا للأحاديث النبوية المتقدمة. وقد ورد عن علماء التابعين نحوه، فروى ابن عباس عن النخعي قال: جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز ونحن بأرض العدو يقول فيه: ولا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحوا عليه، ولا تحدثوا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار. وروى أبو عبيد الله مثله. قال ابن بدران: مذهب عمر بن عبد العزيز ألا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حادثة، وكذا ذكره الطرطوشي. والمراد بذلك غير ما في شرطهم حين الصلح، لما تقدم عنه في قوله لا تهدموا ما صولحوا عليه. ولما ذكر أبو عبيد أن حسان بن مالك خاصم عجم أهل دمشق على عمر بن عبد العزيز

في كنيسة أقطعه إياها بعض الأمراء، فقال عمر إن كنت من الخمس العشرة التي في عهدهم فلا سبيل إليها. وروى عبد الرزاق عن معمر سمع الحسن البصري يقول: من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة، يعني التي ليست في شرطهم، وروي عن طاوس اليماني أنه قال: لا ينبغي لبيت الرحمة أن يكون عند بيت العذاب. قال أبو عبيد. يعني أن الكنائس لا ينبغي أن تكون مع المساجد في أمصار المسلمين. وهذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: لا تكون قبلتان في بلدة واحدة. ولا ينبغي في كلام طاوس محمول على المنع. وقول أبو عبي في أمصار المسلمين يشير إلى أرض الصلح خارجة عن ذلك.

وأما ما جاء عن علماء الأمة ممن بعد الصحابة والتابعين في شأن الكنائس فكثير جدا، وها نحن ذاكرون ما جاء من ذلك في مذهب مالك وما جاء في غيره من الذاهب مما يعلم منه اعتماد الجميع على الآثار والأحاديث المتقدمة. ففي كتاب الجعل والإجازة من المدونة: قال مالك وليس لأهل الذمة أن يحدثوا ببلاد الإسلام كنائس إلا أن يكون لهم أمر أعطوه، قال ابن القاسم ولهم أن يحدثوا بلد صولحوا عليه، وليس لهم أحداث ذلك فيه، إلا أن يكون لهم عهد فيوفي به، وقال غيره كل بلد فتحت عنوة فأقروا فيها فليس لهم فيها إحداث الكنائس. انتهى محل الحاجة منه باختصار. ومسألة السؤال هي ما اختطه المسلمون فلا خلاف في منعها، إذ قول الغير إنما هو بلد العنوة التي أقروا فيها خاصة، ولهذا قال شراح الكتاب كأبي محمد صالح والصرصري واليزناسي والشوشاوي والطنجي والمغربي، وكذا جماعة من الشافعية، إن الأراضي ثلاث:

(1) أرض الإسلام لا يجوز إحداث الكنائس فيها. وفي كلام بعضهم باتفاق وبعضهم بإجماع. ومراد من عبر بالاتفاق الإجماع.

(2) وأرض صلح يجوز الإحداث فيها على ما في الكتاب خلافا لعبد الملك ومن وافقه فيما إذا كانوا مع المسلمين.

(3) وأرض العنوة ألحقها ابن القاسم بأرض المسلمين، وألحقها الغير إذا اقروا فيها بأرض الصلح. وظاهر قول الغير أن العنوة إذا لم يقروا فيها بل انفرد بها المسلمون ثم جاءها أهل الذمة بعد ذلك انه يوافق على أن ليس لهم الإحداث

لاشتراطه ذلك أولا والتعليل به ثانيا، إذ صارت بعد إقرارهم فيها أولا في حكم بلاد المسلمين فتكون محل وفاق، وهو مقتضى تفسير أبي عبيد لكلام ابن عباس كما سبق.

وقوله في الكتاب إلا أن يكون لهم أمر أعطوه، قال أبو حفص العطار في تعليقه على المدونة وهو من أقران التونسي وابن محرز ونظائرهم، إنما يكون ذلك الإعطاء عند الفتح لا بعده، يعني في العنوة، وأما بلاد المسلمين فالمعتبر وقت النزول بها. فلو لم يعط لهم ذلك عند الفتح أو النزول لم يكن لهم إحداث ولو أذن لهم فيه بعد ذلك، ولذلك لما أحدث النصارى الذين نزلوا بتونس كنيسة في فندقهم وأنكر ذلك عليهم استظهروا بالعهد الذي نزلوا به فوجد ألا يحال بينهم وبين بناء بيت لتعبدهم، ولو كان الأذن المتأخر يفيد لما صح الإنكار عليهم لإمكان الأذن حينئذ. وسيأتي عن أحكام ابن سهل نحو ذلك.

قال الشيخ أبو الحسن المغربي: وإنما يجوز للإمام إعطاء ذلك لهم إذا كانت مصلحته أعظم من مفسدته، يعني كما لو كانوا عارفين بالبناء والغرس والإحياء، ولا يحسن ذلك المسلمون ولا يتفرغون له كما في خيبر، فتغلب هذه المصلحة رعيا لحصول العمارة. وكما لو كان إقرارهم أو نزولهم مع المسلمين يوجب وهنا وضعفا في أهل الحرب، كما فعل المرابطون حين نقلوا المعاهدين إلى بر العدوة، وطلبوا حينئذ بناء متعبداتهم فأفتاهم ابن الحاج بالجواز تغليبا لمصلحة توهين أهل الحرب. وكما لو كان نزولهم يقتضي تحصيل أموال عظيمة يستعان بها على حرب العدو كما فعل صاحب تونس، إذ كان لا يفتر عن غزو العدو، فتغلب هذه المصلحة لذلك. فعلى تقدير أن مسألة السؤال كان فيها التزام ذلك لهم حين النزول ما جاز ذلك، إذ ليس فيهم مصلحة تغلب على مفسدة إظهار شرائعهم الموجب للثلم في الشريعة والمعرة على المسلمين والله أعلم.

وفي ثالث الجهاد الواضحة لابن حبيب: قال ابن الماجشون ومطرف وأصبغ وغيرهم لا تبنى كنيسة في بلاد الإسلام ولا في حريمه ولا في عمله، ولو كانوا منقطعين عن المسلمين، وكذا أهل العنوة لا يترك لهم عند ضرب الجزية عليهم كنيسة إلا هدمت، ثم لا

يحدثون كنيسة وإن كانوا منعزلين عن المسلمين. وأما أهل الصلح فإن كانوا منقطعين عن المسلمين فلا يمنعون من إحداثها ولا من رم القديم منها، شرطوا ذلك أو لم يشترطوه. وإن كانوا بين المسلمين منعوا من الإحداث ولو شرطوه والتزم لهم لم يوف لهم به، ويمنعون من رم كناسهم القديمة إلا أن يشترطوا ذلك في عهد صلحهم فيوفي لهم به، ويمنعون من الزيادة فيها، كانت الزيادة باطنة أو ظاهرة انتهى.

وهذا الكلام أورده الشيخ أبو محمد في نوادره مقتصرا عليه كأنه عنده المذهب، وكذا ابن المناصف في كتاب الإنجاد، ودلالة هذا الكلام على منع الإحداث في مسألة السؤال صريحة، إذ نص على المنع في بلاد الإسلام وعلى هدم ما وجد في بلاد العنوة مع المنع من الإحداث، وإلزام هدم القديم في العنوية يوجب هدم المحدث فيها وفي بلاد الإسلام إيجابا أحرويا، لكنه رأى أن المنع من الإحداث يقتضي عدم وجودها. ولا معنى للكلام على هدم ما ليس بموجود، بخلاف ما كان قديما في العنوية فإن الفرض وجوده فاحتيج إلى الكلام على هدمه. ولهذا المعنى لم يتكلم في المدونة على الهدم اكتفاء منه بالكلام على منع الإحداث.

وفي كتاب السلطان من مستخرجة العتبي: وسئل مالك عن الكنائس التي في الفسطاط المحدثة في خطط الإسلام إن أعطوهم العراص أو أكروها منهم يبنون فيها الكنائس. قال مالك: أرى أن تغير وتهدم ولا يترك ذلك ولا خير فيه. قال ابن رشد في الكلام عليها: هذا مثل ما في المدونة وغيرها وهدمه لا اختلاف فيه أعلمه. والأصل في ذلك ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا ترفعن فيكم يهودية ولا نصرانية، يعني البيع والكنائس ثم ذكر ما في الواضحة واختلاف قول ابن القاسم والغير في أرض العنوة، فانظر جواب مالك هنا فيما أحدث من الكنائس فيما اختطه المسلمون، وهو معنى خطط الإسلام، وهي مسألة السؤال بلا شك لفرضها في الفسطاط.

وقد صرح في المدونة بأنه مما اختطه المسلمون، ولقوله المحدثة في خطط الإسلام فيخرج بذلك ما هو تحت حكم الفسطاط من العنوية والصلحية فيبقى محل الاتفاق الذي

صرح به ابن رشد، وهو ما اختطه المسلمون، وقول ابن رشد هذا الموضع الذي وقع فيه التصريح بالهدم أنه مثل ما في المدونة وغيرها، ومقصوده الواضحة، دليل على صحة ما أشرنا إليه إثر كلام ابن حبيب في الدلالة على الهدم حيث لم يصرح به في الواضحة والمدونة. وقوله في السؤال إن أعطوهم العراص أو أكروها منهم يبنون فيها الكنائس، سأل فيه عن حكم ما إذا ملكوا رقبة موضع، وهو المراد بقوله أعطوهم العراص، أو ملكوا منفعة وهو المراد بقوله أكروها منهم فبنوا في كل منها كنيسة. وملك المعطي إنما يكن إذا كانت العطية لا على بناء الكنيسة لأنها إذا كانت على ذلك ردت إذا هي من تحبيس المسلم على الكنيسة، وهو مردود على ما نص عليه صاحب الاستغناء وغيره. وكذلك الكراء إنما يوجب ملك المنفعة إذا لم يكن على شرط بناء الكنيسة، إذ لو كان على ذلك لفسخ حسبما في المدونة وغيرها. فلما كانت العطية المطلقة والكراء المطلق إنما يقصد بهما الوجه الجائز حمل ملك السؤال على ذلك ولم يحكم سوى بهدم الكنيسة، ويبقى الأمر على الصحة فيما سوى ذلك من التصرفات. ولو كانت العطية أو الكراء على الوجه الذي لا يقتضي ملك الرقبة أو المنفعة لكان الجواب لزوم الفسخ ورد ذلك إلى أربابه فيأمرون بنقض ذلك. وفي معنى العطية المقتضية للملك البيع الصحيح المقتضي للملك. فإنه لا يسوغ معه بناء الكنيسة في بلد الإسلام، إذ لا فرق بين ملك الرقبة بالعطية وملكها بالشراء. فقوله في السؤال إن أعطوهم العراص معناه أو باعوها منهم، والمراد الوجه الجائز الموجب للملك.

وسبب المنع في الجميع إنما هو إظهار شرف الإسلام حتى لا يظهر معه غيره كما وقعت الإشارة إليها بالحديث الذي احتج به ابن رشد وهو قوله صلى الله عليه وسلم: لا ترفعن فيكم يهودية ولا نصرانية، إذ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه. وأما لو كان بيع الرقبة على شرط البناء فقد نص ابن رشد في الجامع على أن مذهب ابن القاسم وروايته عن مالك في المدونة الفسخ، فيكون الحكم ما قدمناه في العطية على ذلك، وذكر ابن كنانة أن البيع على ذلك مكروه ويمضي إن وقع، فعلى هذا يكون البيع الواقع على الوجه الصحيح

يملك فيه جميع التصرفات إلا بناء الكنيسة لما فيه من حق الإسلام، ولذلك لم يتكلموا هنا إلا على ما يتعلق بالثمن، هل يتصدق به أو ببعضه أو لا يتصدق به؟ وتركوا الكلام على ما يتعلق ببناء الكنيسة وهدمها اعتمادا منهم على محل الكلام فيها بأنها بلاد الإسلام. مع أن اللخمي أشار إلى ذلك في آخر كلامه على مسألة بيع الدار لتتخذ كنيسة فقال: ولا أرى أن يحرم عليه ثمن الدار، يعني إذا مضى البيع، قال لأن إباحة عمل الكنيسة ليس إلى البائع، لأنهم إن كانوا أعطوا ذلك وعوهدوا على ذلك منعوا، فأنت تراه كيف جعل حكم الكنيسة في هذه الصورة الخاصة حكم الكنائس على الإطلاق. ولكون معنى المسألة العتبية ما قلناه لم يقل في السؤال على أن يبنوا، وإنما قال يبنون فيها الكنائس، أي يقع منهم بعد الإعطاء أو الكراء بناء الكنائس. ولو كان جوابا لشرط لجزمه بحذف النون فثبوت النون دليل على صحة ما قلناه، وإن كان ابن مالك وجماعة جوروا جزم جواب الماضي، فقد نص غيرهم على منعه في غير كان إلا في الضرورة وهو الصحيح، إذ لم يقع في القرى وفصيح الكلام اختيار غلا بالجزم. ومن رفعه فهو عنده مرجوح، وما كان هكذا لا يستعمل، والمدار على أن حكم الكنيسة مع الشرط ومع عدمه سواء حسبما قدمناه عن اللخمي والله الموفق.

ولما تكلم التونسي على مسألة إحداث الكنائس أتى بما في المدونة معتمدا عليه، وصوب قول ابن القاسم في العنوية دون قول الغير، وليس عنده فيما اختطه المسلمون خلاف. وأما ابن يونس فبعد إتيانه بما في المدونة أتى بما في الواضحة مقتصرا عليهما، وكلا الكلامين صريح في منع الإحداث في مسألة السؤال، ويقتضي اتفاق الكتابين على ذلك وهو صحيح حسبما صرح به ابن رشد.

وأما اللخمي فقال ما نصه: اختلف في الكنائس في بلاد المسلمين في العنوية إذا أقر فيها أهلها، وفيما اختطه المسلمون فسكنه أهل الذمة معهم على ثلاثة أقوال، فقال ابن القاسم ليس لهم أن يحدثوا كنيسة في شئ من بلاد المسلمين كانت عنوة وأقروا فيها أو اختط ذلك فيوفي لهم. وقال غيره لهم أن يحدثوا ذلك في أرض العنوة إذا أقروا فيها.

وظاهر قوليهما أن القديم منها يترك. وقال ابن الماجشون في كتاب ابن حبيب: أما أهل العنوة فلا يترك لهم عند ضرب الجزية كنيسة إلا هدمت، ثم لا يحدثوا كنيسة وإن كانوا منعزلين عن بلاد الإسلام. قال وأما أهل الصلح فلا يحدثوا كنيسة في بلاد المسلمين، وإن شرط لهم ذلك لم يجز، ويمنعون من الزيادة الظاهرة والباطنة. وإن كانوا منقطعين عن بلاد الإسلام وليس بينهم مسلمون كان لهم أن يحدثوا الكنائس انتهى. بلفظه. وهو معنى ما في المدونة و الواضحة من غير زيادة ولا نقصان. فمن تأمله علم منه الاتفاق على منع الإحداث فيما اختطه المسلمون الذي مسألة السؤال منه.

واختصر ابن عرفة كلام اللخمي بما يوهم إطلاق الخلاف في الإحداث حتى فيما اختطه المسلمون إن لم يعطوا ذلك، وليس ذلك في كلام اللخمي بوجه، وكل من نقل كلام اللخمي من المتأخرين نقله على الصواب ولم يذكروا الخلاف أن يعطوا ذلك إلا في العنوية، ومراد اللخمي بقوله واختلف في الكنائس ذكر الخلاف على الجملة، لن ما اختطه المسلمون تارة لا يكون فيه إعطاؤهم ذلك وتارة يعطونه، وبلد العنوة تارة تكون فيها كنائس قديمة وتارة لا تكون، وفي كل منهما تارة يعطون الإحداث وتارة لا يعطونه. وكلامه شامل لهل كلها، إذ هو معنى المدونة عنده. وموضوع الكلام عنده النظر في إبقاء القديمة في الإحداث وفي التمكين إذا أعطوا، ولذلك عبر بقوله واختلف في الكنائس ولم يقل في إحداث الكنائس، ولشمول عباراته المعاني الثلاث، فذكر في الجميع ثلاثة أقوال، وهي مأخوذة مما في المدونة والواضحة:

الأول قول ابن القاسم إن تترك القديمة في العنوية ويمنع الإحداث في المختطة والعنوية إلا مع الإعطاء.

والثاني قول غيره، وهو مثله إلا أنه لا يشترط في الإحداث في العنوية الإعطاء.

والثالث لعبد المالك تهدم القديمة ويمنع الإحداث في المختطة والعنوية مطلقا أعطوه أو لم يعطوه. وفهم هذه الأقوال من كلام اللخمي إنما يلوح بعد تأمل، ويتبين ذلك بأن يجعل قوله وأن شرط لهم ذلك لم يجز راجعا إلى المسالتين قبله، وهما العنوية والصلحية التي

فيها المسلمون، لأنه إذا لم يوف بذلك في الصلحية فالعنوية أحرى. فإذا تأملت هذه الأقوال علمت منها أن الإحداث في المختطة إذا لم يعطوه متفق على منعه. ولما عبر ابن عرفة بقوله واختلاف في إحداث الكنائس بأنه ما عرج عليه اللخمي، فلزمه التعقب بمخالفة عبارة اللخمي وعدم موافقته النقل. وحكاية اللخمي الخلاف على الوجه الذي ذكرناه صحيحة، إذ هي كذلك عند أيمة المذهب حسبما فهموه من المدونة والواضحة، غير أن كثيرا منهم لم يفرقوا في العنوية بين القديمة وغيرها على ما سنشير إليه بعد، وهو مقتضى ما تقدم عن عمر بن عبد العزيز وغيره.

ولا يقال لعل ابن عرفة وقف على ما لم يكن عند اللخمي.

لأنا نقول: لما أسند ابن عرفة نقله اللخمي سقطت هذه الدعوى والله الموفق.

وفي نوازل ابن سهل بعد مسائل نسب صدرها إلى أحكام ابن زياد، أن رجلا قام على أهل الذمة في شنوغة لهم اثبت أنها محدثة. فسئل عن ذلك أهل الشورى بقرطبة.

فأجابوا بما هذا نصه: فهمنا وفقك الله الشهادات الواقعة في أن الشنوغة محدثة، فرأينا شهادات توجب هدمها بعد الأعذار إلى أهلها. وليس في شرائع الإسلام إحداث أهل الذمة من اليهود والنصارى كنائس ولا شنوغات في مدائن الإسلام ولا بين ظهرانيهم. قاله عبيد الله بن يحي ومحمد بن لبابة، وابن غالب، وبان الوليد، وسعد ابن معاذ، ويحي بن عبد العزيز، وأيوب بن سليمان، وسعيد ابن جبير انتهى.

فهؤلاء الأيمة عليهم المعول في الشورى بقرطبة وقد اتفقوا ولا مخالف لهم على هدم الكنائس المحدثة في مدائن الإسلام وذلك يتناول مسألة السؤال قطعا، وكلامهم يقتضي أن هذا الحكم مجمع عليه، لأن قولهم ليس في شرائع الإسلام إحداث معناه ليس في مذاهب الإسلام إحداثها، لأن المذاهب هي المقررة للشرائع وكون ذلك مجمعا صحيح وسيأتي مصرحا به. وفي قولهم في مدائن الإسلام إشارة إلى إخراج الصلحية إذا انفردوا بها. إذ ليس الحكم فيها كذلك حسبما تقدم.

ولما ذكر ابن سهل فتيانهم هذه سلمها واحتج للصحة بكلام الواضحة والمدونة مشيرا إلى أن اعتمادهم فيها إنما هو على الكتابين المذكورين، ولما فرغ ابن سهل من هذه المسألة عقبها بمسألة أخرى يعلم منها حسن إشارته لمن له بصر، وفي الكافي للحافظ أبي عمر بن عبد البر ما نصه: وليس لأهل العنوة إحداث كنيسة وهم بمنزلة أهل الذمة. وليس لأهل الذمة إحداث كنيسة لم تكن لهم ببلاد الإسلام، وما كان من كنائسهم التي عوهدوا عليها وصولحوا فلا يمنعون منها ولا يغير عليهم. وما اختط المسلمون من المدن وسكنه معهم أهل الذمة فلا يجوز لهم فيه إحداث كنيسة، وقد قيل إنهم إذا كانوا ساكنين مع المسلمين في موضع لهم فيه كنيسة فينتقلون معا متعاونين فإنهم يكونون على ما كانوا عليه ولا يمنعون من كنيسة واحدة إلا أن يشترط ذلك عليهم انتهى بلفظه. وقد صرح بمنع الإحداث فيما اختطه المسلمون، وظاهره أنه متفق عليه إذ لم يحك الخلاف في صورة خاصة وهو حيث كان لأهل الذمة كنيسة مع المسلمين ثم انتقلوا جميعا واختطوا موضعا، وليست مسألة السؤال من هذا لأنه موضع اختطه المسلمون بانفرادهم. وفي جواهر ابن شاس ما نصه: فإن كانوا، يعني أهل الذمة، في بلدة من بلادهم قهرا وليس للإمام أن يقر فيها كنيسة بل يجب نقض كنائسهم بها. فأنت تراه كيف صرح بأنهم لا يمكنون من بناء كنيسة في بلدة بناها المسلمون، وهو يتناول مسألة السؤال قطعا.

وفي الذخيرة للقرافي ما نصه: البحث السابع فيما يلزمهم، يعني أهل الذمة، بمقتضى عقد الجزية. وهو ثلاثة أنواع: النوع الأول الكنائس لا يمكنون من بنائها في بلدة بناها المسلمون أو ملكوها عنوة، ويجب نقض كنائسها. وفي العمدة لابن عساكر البغدادي، وهو من مشاهير المالكية، نقل عنه الشيخ خليل في مواضع من التوضيح ما نصه: ولا يمكنون من إنشاء كنيسة في دار الإسلام، وتنقض كنائس بلادهم المأخوذة عنوة. وقال في شرحه لكلامه هذا: إن كانت بلادهم فتحت عنوة وجب هدم ما بها من كنيسة وبيعة ودير كأنها صارت في حكم دار الإسلام. وإن رحلوا عن بلادهم إلى دار الإسلام لم يمكنوا من إنشاء شئ من ذلك. وهذا الكلام الأخير هو مسألة عين السؤال، لأنهم انتقلوا فيها إلى دار كان

المسلمون انفردوا بها، فقد صرح فيه بأنهم لا يمكنون من إنشاء شئ من ذلك. وظاهره ولو كان لهم في الموضع الذي انتقلوا عنه كنيسة، فكيف إذا لم تكن ومن تأمل كلام ابن شاس والقرافي وابن عساكر علم منه مخالفتهم للخمي في حمل المدونة، فإنهم لا فرق عندهم في العنوية بين القديمة حسبما تقدم والحادثة.

وبالجملة إن العلماء رضي الله عنهم تكلموا على المسالة قديما وحديثا، وليس عندهم في ذلك إلا ما قدمناه حتى شراح الرسالة مثل الزناتي وابن عمر وغيرهما فليس عندهم إلا ما قلناه، وآخر من تكلم عليها القاضي العقباني في كتابه تحفة الناظر في تغيير المناكر، جاب فيها نصوص المتقدمين والمتأخرين، وهي كلها غير خارجة عما ذكرنا، وذكر فيه أن الشيخ أبا الفضل قاسم بن سعيد العقباني سئل عن يهود توات هل تسقط عنهم الضيافة والأرزاق التي كان عمر فرضها، وجاء عن مالك إسقاطها عن أهل الذمة لكونهم لم يوف لهم، فقال بما تجب على يهود توات الجزية والضيافة الأرزاق لأنهم خرجوا عن حد ما وجب لهم من الإذلال، ولم يمنعهم من ذلك مؤاخذة عظيمة يوم الحشر والجزاء وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

قال وما يفعله اليهود اليوم في الأسفار من ركوب الخيل والسروج الثمينة ولبس فاخر اللباس والتحلي بحلية المسلمين في لبس الخف والمهماز والتعمم بالعمائم فمحظور شنيع، ومنكر فظيع، يتقدم في إزالته بما أمكن. وربما يجعلون لذلك محللا زعمهم أنهم يخافون على أنفسهم وأموالهم إن ظهر عليهم زيهم الذي يعرفون به، وهم في ذلك كذابون، لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم، فيرضي العربي أن يستأصل هو وجميع أهله في نجاة اليهودي الذي معه، فلم يبق إلا أنهم لما وجدوا السعة عند من لا ينكر عليهم من جفاة العرب وطغاتهم تزيوا بأفخر زي المسلمين إذ كانوا لا يفعلون ذلك في الحواضر. أخمد الله ظهورهم وأعز الإسلام بذلتهم وصغارهم، بل هم اليوم على أعظم من ذلك، جبر الله صدع الإسلام، فإن قلوب الملوك بيده.

ورحم الله الشيخ الإمام حافظ المغرب أبا القاسم العبدوسي مستوطن تونس، فقد أفتى في مسألة من معنى السؤال بما يشفي الصدور، لما عليه من الضياء والنور. وهذا نص السؤال: الحمد لله. سيدي رضي الله عنكم ومتع المسلمين بحياتكم، جوابكم عن قرية محدثة البناء في بلد المسلمين أحدث فيها اليهود أخزاهم الله كنيسة فجعلوا يتعبدون فيها بما هم عليه من الشرك إلى أن ألهم الله بعض من أراد الله به خيرا من فضلاء المسلمين من أهل العلم والدين، فرأى من الثلم في الدين والمعرة على المسلمين أن تقدم رسوم الشرك في بلاد المسلمين فأمر بأن تهدم الكنيسة المذكورة وأن يعفى أثرها، فانقطع بذلك منكر عظيم وخمدت البدعة، ثم أراد اليهود المذكورون أخزاهم الله أن يعيدوا بناءها ويرجعوا إلى ما هم عليه من إقامة دينهم وإحياء سنتهم، ولم تعقد لهم بذلك ذمة ولا ضربت عليهم بذلك جزية. فهل يمكنون من ذلك أم لا؟ جوابكم مأجورين والسلام.

ونص الجواب: الحمد لله. ليس لهم إحداث ولا إصلاح في شئ من بلاد المسلمين، قاله ابن القاسم عن مالك في كتاب الجعل والإجازة من المدونة. وإذا فعلوا ذلك بعد النهي عنه كان نقضا للذمة التي لهم، وهو مجمع عليه أن بلاد المسلمين ليس لأحد منهم أن يحدث فيها متعبدا ولا يصلحه، وإذا نهوا عنه ولم ينتهوا صار ذلك منهم نقضا للعهد، فتكون أموالهم للمسلمين وتكون ذراريهم مستباحة على حكم الحربيين في بلاد الحرب، وتكون أولادهم ونساؤهم للمسلمين.

وقد أفتى شيوخ المغرب قبل هذا أنهم لا ذمة لهم بدون هذا، فما ظنك بهذا، ومن تسبب لهم في رد الكنيسة وأعانهم في ذلك أو نصرهم فيه معتقدا حليته فهو كافر، وإلا ففاسق تلحقه لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقال: من رضي عمل قوم كان شريكا معهم، وقد قال مولانا جل جلاله: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم. الآية ويخشى عليه التبديل عند الخاتمة. والأحاديث والآثار في ذلك أكثر من أن تذكر هنا. وكتب أبو القاسم العبدوسي لطف الله

به. فانظر إلى جواب هذا الإمام رضي الله عنه فكأنه كوشف بأن ذلك لا يقع منهم إلا بمعين من المسلمين يتذرعون به إلى تحصيل مرادهم، فبين أن أمره في ذلك دائر بين الكفر والفسق الموجب للعنة الله والملائكة والناس أجمعين وخوف تبديل الخاتمة نعوذ بالله من موجبات الضلال. ألا ترى أنه لم يذكر له هذا الفصل في السؤال ولا أشير إليه فيه، لكنه لما منحه الله من نور البصيرة كوشف بأنه لا يكون ذلك إلا بذلك. ولو لم يكن في المذهب نص إلا ما وقع في جواب هذا الشيخ لكان قاطعا في مسألة السؤال كيف ونصوص المتقدمين والمتأخرين على ذلك؟

وما أشار إليه في الجواب أن شيوخ المغرب أنه لا ذمة لهم فيما دون هذا، هو بيعهم الخمر للمسلمين وتمالؤهم عليه بعد النهي عنه، اتفق ذلك في أيام يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني فقتلوا لذلك وسبوا ببلاد بني مرين كلها حسبما ذكره الخزرجي قاضي بادس وغيرها من بلاد الريف في أيام يوسف بن يعقوب المذكور. وليس ما جلبناه عن أيمة مذهب مالك في مسألة مما انفردوا به، بل ذلك هو الحكم عند جميع أهل المذاهب. فهذا الإمام الشافعي – رضي الله عنه – يقول: ينبغي للإمام أن يحدد بينه وبين أهل الذمة وهم صاغرون على أن تجري عليهم أحكام المسلمين إذا طالبهم بذلك طالب، وعلى أن لا تحدثوا في مصر من أمصار المسلمين كنيسة ولا مجتوعا لصلاتهم إلى آخر ما ذكره، سقنا منه محل الحاجة. ذكر ذلك ابن المناصف وابن المنذر عنه، وذكر الماوردي والغزالي نحو ذلك فيما يختص بمسألة السؤال، وقال الشيخ أبو الحسن القدوري من الحنفية في مختصره: ولا يجوز إحداث بيعة ولا كنيسة في دار الإسلام.

ولما ذكر ابن المنذر عن الشافعي ما ذكرناه عنه، ذكر نحوه عن أصحاب الرأي وهم الحنفية، وذكر عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال: ليس لأهل الذمة دينهم شيئا لم يكن في صلحهم. وهذا ابن حزم الظاهري ذكر في كتاب مراتب الإجماع له اتفاق العلماء على أخذ الجزية من أهل الكتاب على أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة. فهؤلاء علماء الإسلام مالكية وشافعية وحنفية وحنبلية وظاهرية ليس عندهم إلا منع إحداث الكنائس، فالمسألة إجماعية وقد قدمنا أن بعض شراح المدونة صرح بنقل الإجماع في ذلك، وأشرنا في إثر كلام بن سهل إلى مقتضى

فتوى أيمة الشورى بقرطبة أن المسألة إجماعية وصرح بالإجماع في ذلك أيضا أبو بكر الطرطوشي وابن بدران وابن حزم، وكذلك العبدوسي في فتواه المتقدمة. فالواجب على كل من له قدرة من المسلمين أن يسعى في هدم الكنيسة المسؤول عنها قدر طاقته، ويبذل جهده في ذلك ما استطاع، إذ ذاك من أكبر الجهاد. ومن تعرض للمنع من ذلك فجواب إمام المغرب أبي القاسم العبدوسي شامل له حيث جعله دائرا بين الكفر والفسق الموجب للعنة الله الملائكة والناس أجمعين.

ولا حجة لهم في طول الحيازة إذ غايتها أن تدل على ملك رقبة المحوز. وقد تقدم أن ملكهم للرقبة بإعطاء صحيح أو بيع لا يباح لهم معه بناء كنيسة رعيا لحق الإسلام، فكيف بالجوز الذي هو دون الملك الصريح؟ على أن نصوص المذهب متفقة على أن ما فيه حق الله تعالى لا تأثير للحيازة فيه كالأحباس، بل نصوا على أن الحجة لا تنقطع فيها ولو حكم فيها حاكم، فكيف ولا حكم كما لا حجة لهم في وجود ذلك كثيرا في البلاد الكبيرة، لأن دوام المنكر أو كثرته لا تغير حكمه، إذ لا منكر أعظم من ترك الصلاة الموجب للقتل كفرا أو حدا، وقد استمر كثير من الناس عليه غرباء وشرفاء ولم يغير ذلك حكمه، إذ لم يزل العلماء قديما وحديثا ينصون على وجوب قتله إما كفرا وإما حدا، ولا عبرة. كما يزالون ينصون على المنع في مسألة السؤال وعلى الهدم بعد البناء، ولا عبرة عندهم بكثرة وجود ذلك ولا استمراره. ولا ينكر النصوص المقتضية لذلك ويدفع في نحرها إلا من هو مكذب للشريعة ساع في مذهبها. أعادنا الله من الخذلان، والمروق عن دين المبعوث من خير بيت في معد بن عدنان، سيد الأنبياء والرسل، وموضح المناهج والسبل، الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأمر بقتال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما دامت الدنيا، وكانت كلمة الله هي العليا، وسلم عليه وعليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ملحـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـ-ـق رقم 25

جواب الفقيه محمد بن يوسف السنوسي التلمساني[11]

وتقيد بعقبة بخط الفقيه الإمام الصالح الناصح أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف السنوسي ما نصه:

والحمد لله رب العلمين، والصلاة وسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وسيد المرسلين، ومن ملته الشريعة السمحة باقية ظاهرة على جميع الملل إلى يوم الدين. من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي غفر الله تعالى له ولوالديه بلا محنة، إلى الأخ في الله الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتساع بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بشريف الإيمان السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، حفظ الله تعالى حياته، وبارك في دنياه، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه.

بعد السلام عليكم والرحمة والبركة، فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلهم الله تعالى وأخمد كفرهم للكنيسة في بلاد المسلمين، وأنكم حرضتم أهل تمنطيط على هدمة الكنائس التي لليهود ببلادهم، فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل هؤلاء، فبعثتم لأجل ذلك إلى بلدنا أسئلة ومكتوبات تستنهضون بها همم أهل العلم لينظروا في المسالة نظر أهل العدل والإنصاف، وبينوا الحق فيها بيانا شافيا قاطعا لكل تخليط وتشغيب يرد أهل الهوى والانحراف، فاعلم يا أخي أني لم أر من وفق لإجابة هذا المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفي غليل أهل الإيمان في هذه المسألة ولم يلتفت لأجل قوة إيمانه ونصوع إيقانه إلى ما يشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تتقي شوكته، ويخشى أن يقع على يده إضرار أو حط في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة على الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله بن عبد الجليل التنسي، بارك الله تعالى له ومتعه ومتع المسلمين ببقائه، فإنه جزاه الله خيرا قد مد في إبانة الحق ونشر أعلامه

[11] - الونشريسي ، مصدر سابق ، ج02 ، ص252-254 .

النفس، وحقق نقلا وفهما وبالغ في ذلك حتى أبدى من نور إيمانه الماحي لظلمات الكفر وآثاره أعظم قبس، على ما تقفون عليه في جوابه المكتوب هذا بآخره. فليعول أهل تمنطيط وغيرهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب، ولنبذوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام وإعزازه وإصابة وجه الصواب، الله سبحانه المسؤول أن يوقفنا وسائر المسلمين للتمسك بالحق، وإخماد الباطل وإعزاز دين الإسلام، وأن يمحو الكفر وآثاره من جميع بلاد محمد صلى الله عليه وسلم. والسلام عليكم وعلى من يقف على هذا المكتوب ورحمة الله وبركاته.

ملحـــــــــــق رقم 26

رسالة استخلاف المغيلي لإبنه محمد عند سفره إلى بلاد التكرور

مضمون الملحـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـق رقم 26

النص:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله: من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى جميع المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعالى أما بعد:

فإن المؤمنين إخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وقد علمتم ما كنت فيه من الجهاد في الكفرة وأهل الفساد. حتى توليت بالولاية الشرعية على جميع ناحية توات. وغيرت فيها من المنكرات ما لا يحصى، ثم استخلفت إبني محمد عند سفري، لعلمي أنه أهل لذلك إن وفقه الله وأعانه، وقد أوصيته بتقوى الله في جميع أمره وأكدت عليه وعلى جميع إخوانه أن تكون جميع أمورهم من قتال وغيره على نصر ثلاثة أشياء وهي: دين الله ومن ينصر دينه ومن لا ناصر له إلا الله.

ولم أسمع عنه في غيبتي إلا الخير والعزم والنصر.

إلا أن الكلام ترجمان الشيطان، لا يزال يطفي على أئمة العدل والإحسان بالكذب والبهتان في كل زمان، فلا يصرفهم عاقل صحيح الإيمان، وكيف يصرفهم عاقل وقد سبقت إذايتهم في لأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله أجمعين انتهى.

المصادر :

القرآن الكريم .

الكتاب المقدس .

- المخطوطات :

1-البداوي (محمد بن عمر) ، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات ، مخطوط بخزانة زاوية سيدي حيدة – بودة - ادرار.

2-البلبالي (محمد بن عبد الرحمن) ، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل ، مخطوط بخزانة المطارفة - ادرار .

3-بن أبي حفص (عبد القادر) ، الدرر الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ، مخطوط بخزانة باعبد الله (ادرار) .

4-التمنطيطي (محمد بن عبد الكريم) ، درة الأقلام في تاريخ المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة المطارفة - ادرار.

5- " " ، جوهرة المعاني في ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني ، مخطوط بخزانة زاوية المهدية (ادرار) .

6-التنبكتي (أحمد بابا) ، الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان ، مخطوط بمكتبة الأستاذ مبروك مقدم .

7-المغيلي (محمد بن عبد الكريم) ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، مخطوط بمكتبة الأستاذ مبروك مقدم.

8- " " ، رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ، مخطوط بمكتبة الأستاذ مبروك مقدم .

9- " " ، رسالة في الإمارة ، مخطوط بمكتبة الأستاذ مبروك مقدم.

10- " " ، ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلوم أهل الذمة من الجزية والصغار ، مخطوط بمكتبة الأستاذ مبروك مقدم .

11- - " " ، رسالة الاستخلاف ، مخطوط بمكتبة الأستاذ مبروك مقدم .

- المصادر:

12- الإدريسي ، نزهة المشتاق في إختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

13- الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق عبد العال الجني ، القاهرة ، 1961م .

14- الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ودار الكتاب المصري ، القاهرة ، الرقم 1699 .

15- الأنصاري (أبو عبد الله محمد) ، فهرست الرصاع ، تحقيق وتعليق محمد العنابي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، طبعة 1976م .

16- الايلاني (علي صالح بن عبد الحليم) ، مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق ، الرباط ، الطبعة الثانية ، 2008م .

17- ابن الآبار ، الحلة السيراء ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، 1381هـ/1962م .

18- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، 1385ه/1965م.

19- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فآس

20- ابن أحمد (إياس محمد) ، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطابع الشعب ، 1960م .

21- ابن بابا حيدة (محمد) ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تحقيق فرج محمود فرج ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977 .

22- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تعليق محمد السعيد محمد الزيني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر .

23- ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، عنى به هيثم جمعة هلال ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1425هـ/2004م .

24- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة المثنى ، بغداد .

25- " " ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيـق عبـد السـلام هـارون ، دار المعارف ، مصر ، 1382هـ/1962م .

26- ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ب ت .

27- ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد .

28- ابن خلدون (عبد الرحمن) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1413هـ/1992م .

29- - " " ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ، 1424هـ/2003م .

30- ابن خلدون (يحي) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1400هـ/1980م .

31- ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1978 .

32- ابن رقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق عبد العلي وعز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990م .

33- ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

34- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م .

35- ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز ، الجزائر ، 1986م .

36- ابن عبد الحكم ، فتوح أفريقية والأندلس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1987م .

37- ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ، تحقيق مأمون بن محي الدين الخبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1417هـ/1996م .

38- ابن قدامه ، المغنى ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو ، دار عالم الكتاب ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، 1419هـ/1999م .

39- ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415هـ/1995م .

40- ابن مريم (أبي عبد الله) ، البستان في ذكر الأولياء من تلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، طبعة 1986م .

41- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1414هـ/1994م .

42- أبو الفدا ، تقويم البلدان ، دار السلطانية ، باريس ، 1830م .

43- أبو يوسف ، كتاب الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، لينان .

44- البرتلي (الولاتي) ، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور ، تحقيق محمد حجي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1401هـ/1981م .

45- البكري (أبو عبيد) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1368هـ/1949م .

46- البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (جزء من المسالك والممالك) ، مكتبة المثنى ، بغداد .

47- البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق عبد القادر محمد علي ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1420هـ/2000م .

48- التونسي (محمد بن عمر) ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد السعيد ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1965م .

49- التنسي (محمد بن عبد الله) ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الجزائرية ، 1985م .

50- الثعالبي ، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية ، تحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد بن إدريس ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م .

51- الحموي (ياقوت) ، معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ب ت .

52- الحميري (محمد بن عبد المنعم) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، 1984م .

53- الحنبلي ، الاستخراج لأحكام الخراج ، تحقيق عبد الله الصديق ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

54- الرصاع (أبو عبد الله محمد الأنصاري) ، فهرست الرصاع ، تونس ، 1967م .

55- الزركلي (خير الدين) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، مـ ـاي 1980م .

56- - " " ، ترتيب الأعلام على الأعوام ، رتبه وعلق عليه زهير ظاظا ، دار الأرقم ، بيروت ، لبنان .

57- الدباغ ، معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق عبد المجيد خيالى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1426هـ/2005م .

58- السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

59- السيوطي (جلال الدين) ، تاريخ الخلفاء ، تقديم عبد الله مسعود ، دار القلم العربي ، سورية ، حلب ، 1411هـ/1991م .

60- الشفشاويني (محمد ابن عساكر) ، دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من أهل القرن العاشر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ،1417هـ/1996م .

61- العياشي (محمد أبو سالم) ، رحلة العياشي ، طبعة فاس الحجرية .

62- الفاسي عبد الكبير ، تذكرة المحسنين لوفيات الأعيان وحوادث السنين (موسوعة أعلام المغرب) ، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط01 ؛ 1996م .

63- الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز) ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط ، 1972م .

64- القادري (محمد بن الطيب) ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط01 ، 1417هـ/1996م .

65- القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

66- القرافي بدر الدين ، الدرر النفائس في شأن بناء الكنائس، تحقيق حسن حافظي علوي، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى، 2003م.

67- القضاعي (أبي عبد الله محمد بن سلامة) ، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، تحقيق عبد الرحيم محمد عبد الحميد ، دار الينابيع ، 1997م .

68- الماوردي ، الأحكام السلطانية ، والولايات الدينية ، تحقيق سمير مصطفى رباب ، المكتبة العصرية ، صيدا-بيروت ، الطبعة الأولى ، 1421ه/2000م .

69- مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1987م .

70- مخلوف (محمد بن محمد) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر .

71- المراكشي (ابن عذاري) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1406هـ/1985م .

72- المراكشي (عبد الواحد) ، المعجم في تلخيص أخبار المغرب ، ضبط محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، دار الكتب ، الدار البيضاء ، ط6 ، 1978م .

73- المسعودي (أبو الحسن) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ، ط02 ج 1327هـ

74- المغيلي (محمد بن عبد الكريم) ، رسالة في اليهود ، تحقيق عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة ، دار أبي الرقراق ، الرباط ، الطبعة الأولى ، 2005م .

75- المقري (أحمد) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1418هـ/1998م .

76- الناصري (السلوي) ، الاستقصا في أخبار دول المغرب الاقصا ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1956م .

77- الوزان (حسن) ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1983م .

78- الونشريسي (أحمد) ، المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق جماعة من العلماء تحت إشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، طبعة 1981م .

79- اليعقوبي ، البلدان ، تحقيق محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1422هـ/2002م .

80- " " ، تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت ، 1390هـ/ 1990م .

- المراجع باللغة العربية :

81- أبو الأعلى (المودودي) ، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، دار الفكر .

82- أبوضيف (مصطفى أحمد عمر) ، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبنومرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م .

83- أبو ريه (عطا) ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر ، ايتراك للنشر والتوزيع ، مصر الجديدة ، الطبعة الأولى ، 2005م .

84- أتيجر (صموئيل)، اليهود في البلدان الإسلامية (1850م/1950م) ترجمة جمال أحمد الرفاعي ، مراجعة رشا عبد الله الشامي ، عالم المعرفة ، يناير 1978م .

85- الحمدي (أحمد) ، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مكتبة الرشاد ، سيدي بلعباس ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 1433هـ/2012م .

86- الخالدي (صلاح عبد الفتاح) ، الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 1407هـ/1987م .

87- الخوند (مسعود) ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الشركة العالمية للموسوعات ، لبنان ، طبعة ثالثة ، 2005م .

88- الدشراوي (فرحات) ، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ / 909-975م) ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1994م

89- السائح (عبد الحميد) ، مدخل إلى معاملة غير المسلمين في الإسلام ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ، 1409هـ/1989م .

90- السعيد (جودت) ، أوهام التاريخ اليهودي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1998م .

91- السيد عبد العزيز سالم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م.

92- السيد (محمود) ، تاريخ اليهود القديم والحديث ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، 2007م .

93- الصمادي (إسماعيل ناصر) ، التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الثانية ¡ 2008م .

94- الفقي (عصام الدين عبد الرؤوف) ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، 1990م .

95- المطوي (محمد العروسي) ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م .

96- إلياس (سليم) ، الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والأديان(كتب الشريعة اليهودية ، والتلمود) ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، الطبعة الأولى ، 1428هـ/2008م .

97- بروكلمان (كارل) ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعليكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1988م .

98- برنشفيك (روبار) ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1988م .

99- بشير (عبد الرحمن) ، اليهود في المغرب العربي (22هـ/462هـ) (642م/1070م) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولي ، 2001م .

100- بكري (عبد الحميد) ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر ، الطبعة الثانية ¡ 2007م .

101- بل (الفرد) ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م .

102- بلعالم (محمد باي) ، الرحلة العلية إلى منطقة توات ، دار هومه ، الجزائر ، بدون ط، 2005م.

103- بليل (رشيد) ، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية ، ترجمة عبد الحميد بورايو ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر ، 2008م .

104- بنعبد الله (عبد العزيز) ، الموسوعة المغربية في الأعلام البشرية والحضارية ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، طبعة 1976م .

105- بن صحراوي (كمال) ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2009م .

106- بن نعمان (أحمد) ، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر ، منشورات دار حلب ، الجزائر ، 1900م .

107- بوساحة (أحمد) ، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر ، دار هومه ، الجزائر ، 2007م .

108- بوعزيز (يحيى) ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1995م .

109- التل (عبد الله) ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989م .

110- تواتي (دحمان) وآخرون ، دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية (1956م/1962م) ، دار الشروق للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2008م

111- جواد (علي) ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جامعة بغداد ، الطبعة الأولى ، 1413هـ/1993م .

112- جعفري (أحمد أبا الصافي) ، رجال في الذاكرة (محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وآثاره) ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 1428هـ/2007م .

113- جغلول (عبد القادر) ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط ، ترجمة فضيلة الحكيم ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1982م .

114- جمال زكرياء قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1416هـ/1996م.

115- جودت (عبد الكريم يوسف) ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 ¡ 10م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

116- جوليان (شارل أندري) ، تاريخ إفريقيا ، ترجمة طلعة عوض أباظة ، نهضة مصر للطباعة ، القاهرة .

117- الجيلالي (عبد الرحمن) ، تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط06 ¡ 1983م .

118- حاج أحمد (الصديق آل المغيلي) ، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ ، دار الحبر ، بني مسوس ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2011م .

119- حجي (محمد) ، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1417هـ/1996م .

120- حركات (إبراهيم) ، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، 1405هـ/1985م .

121- حسن (إبراهيم حسن) ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، 1963م .

122- الحفناوي (أبو القاسم) ، تعريف الخلف برجال السلف ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر ، 2007م .

123- حاطوم (نور الدين) ، تاريخ العصر الوسيط في أوربا ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1386هـ/1967م .

124- حمادي (عبد الله الإدريسي) ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني ، صدر بدعم من وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، 1432هـ/2011م .

125- حمودة (عبد الحميد حسين) ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية ، الدار الثقافية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1428هـ/2007م .

126- حوتية (محمد الصالح) ، آل كنتة (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة) ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2008م .

127- - " " ، توات الازواد (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية) خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18م / 19م) ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 م .

128- رشاد (يوسف) ، بداية النهاية – اعتراف حاخام يهودي " السبي الأخير لبني إسرائيل سيكون على أيادي أبناء إسماعيل عليه السلام " ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2009 م .

129- ريمون (فيرون) ، الصحراء الكبرى ، ترجمة جمال الناضوري ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1968م .

130- ريه (عطا علي محمد شحاتة) ، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين ، دار الكلمة ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 1999م .

131- زبادية (عبد القادر) ، مملكة سنغاي في عهد الاسقين ، الجزائر ، 1971م .

132- - " " ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

133- دنييت (دانييل) ، الجزية والإسلام ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله ، مراجعة إحسان عباس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

134- دوس (كريستوفر) ، تكوين أوربا ، ترجمة سعيد عبد الفتاح عاشور و محمد مصطفى زيادة ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، 1967م .

135- دونالد ويدنر ، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة راشد البراوي ، دار الجيل ، الفجالة .

136- سالم (عبد العزيز) ، تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981م.

137- سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م .

138- سعد الله (فوزي) ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1996م .

139- السعدي (عبد الرحمان) ، تاريخ السودان ، طبعة هوداس 1964م .

140- سنقراط (داود عبد العفو) ، أبناء يهوذا في الخفاء (جذور الفكر اليهودي) ، دار الفرقان ، ط1 ؛ 1403هـ ، 1983م ، عمان ، الأردن ، ص191 .

141- سوسة (أحمد) ، العرب واليهود في التاريخ ، دار العربي ، دمشق ، الطبعة الثامنة.

142- سيدي عمر (محمد عبد العزيز) ، قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، دار هومه ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2002م .

143- شاوش (الحاج محمد بن رمضان) ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995م .

144- - " " والغوثي بن حمدان ، إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر ، طبع وإشهار داود بريكسي ، تلمسان ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 1426هـ /2005م .

145- الشعباني (مصطفى أمحمد) ، يهود ليبيا ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، الطبعة الأولى ، 2006م .

146- شقير (نعوم) ، جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1967م .

147- شنوف (عيسى) ، يهود الجزائر " 2000 سنة من الوجود " ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2008م .

148- شنيتي (محمد البشير) ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب – سياسة الرومنة 146ق.م – 40م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م .

149- - " " ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني- بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور ، ديوان المطبعات الجامعية ، الجزائر ، 1999م .

150- شهاب الدين (نهلة) ، تاريخ المغرب العربي ، دار الفكر ، المملكة الأردنية ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1430هـ /2010م .

151- الصديق (حاج أحمد) ، التاريـــخ الثقافي لإقليم توات من الـــقرن 11هـ إلى الـــــقرن 14هـ /17م إلى 20م ، مديرية الثقافة لولاية ادرار ، ط1 ، 2003م .

152- الطمار (محمد بن عمر) ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م .

153- طوبال (نجوى) ، طائفة اليـهود بمجتمع الجزائر ، دار الشروق ، الجزائر ، 2008م

154- العبادي (أحمد مختار) ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بدون تاريخ .

155- عبد العليم (مصطفى) كمال و(سيد فرج) راشد ، اليهود في العالم القديم ، دار القلم ، دمشق و الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1416هـ/1995م .

156- عبد الرحمن (حسين محمد) ، العرب واليهود في الماضي والحاضر ، دار المعارف ، الإسكندرية .

157- العربي (إسماعيل) ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983م .

158- العظم (صادق) ، الصهيونية والصراع الطبقي ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1975م .

159- علي (محمد) ، الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية (الرسالة الأولى) ، مطبعة المنار ، الطبعة الأولى ، مصر.

160- عمر موسى (عز الدين) ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1424هـ/2003م

161- عويس (عبد الحليم) ، دولة بني حماد ، بيروت ، 1980 م .

162- غانم محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992م .

163- فرج (محمود فرج) ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2007م .

164- فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، تعريب محمد مصطفى زيادة والسيد ألباز العريني ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة السادسة ، 1976م .

165- قداش (محفوظ) ، الجزائر في العصور القديمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1993م .

166- كربخال (مارمول) ، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة ، الرباط ، 1409هـ/1989م .

167- كواتي (مسعود)، اليهود في المغرب الإسلامي ، دار هومه ، الجزائر ، 2000م .

168- لقبال (موسى) ، عقبة بن نافع – أساس نظام الفهريين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب ، دار هومه ، الجزائر ، طبعة 2002م .

169- محمود مقديش ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار ، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1988.

170- محمد سعيد القشاط ، أعلام من الصحراء ، دار الملتقى ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى، 1997م.

171- المخزومي ، تاريخ ميورقة ، تحقيق محمد بن معمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1428هـ/2007م .

172- مقدم (مبروك) ، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، دار هومه ، الجزائر ، 2008م .

173- مؤنس (حسين) ، تاريخ المغرب وحضارته ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1412هـ/1992م .

174- الممي (حسن) ، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1998م .

175- المنوني (محمد) ، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، بدون طبعة ، 1979م .

176- ناعمي (مصطفى) ، الصحراء من خلال بلاد تكنة (تاريخ العلاقات التجارية والسياسية) ، منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب ، 1988م .

177- وافي (علي عبد الواحد) ، اليهودية واليهود ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط5 ؛ 2005م .

- المراجع باللغة الأجنبية :

178 - A . G . P . Martin , Quatre Siècles D'histoire Marocaine , Imprimerie El-maarif El-Jadida , Rabat (1994) .

179 - A . G . P . Martin , Les Oasis Sahariennes (Gourara-Touat-Tidikelt) , Imprimerie Algérienne , Alger , 1908 .

180 - André chouraqui . la saga des juifs en Afrique du nord . Edition hachette littérature . 1972.

181 - Bisson , Jean .Le Gourara , Etude de géographie humaine , Université D'Alger .

182 - Echallier , (j .c) , villages désertes et structures agraires anciennes du touat , Gourara algérien , paris , AMG , s.d , 1972 .

183 - Gerhard Rohlfs, Voyages & Exploration au Sahara, (Draa – Tafilalet – Sud-oranais – Touat –Tidikelt – Rhadamès) 1861-1864, Editions Karthala, Paris, 2001.

184 - Jean Charles Humbert . la découverte du Sahara en 1900 . Edition L harmattan . paris . France . 1996.

185 - L . Vinot , Le Tidikelt Etude sur la géographie L'histoire et les mœurs du pays , Oran (1909) .

186 - M.Abitbol , Tombouctou et les armas , Paris 1978 .

187 -M , jean bisson , le Gourara mémoire n 03 , institut des recherches sahariennes , 1957 .

188 - M , abitbol , le passe d'une discorde , juifs et arabe du 07 siècle a nos jours , Perrin , paris , 1999.

189 - Oleil (Jacob), Les Juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, CNRS,Paris,1994.

190 - Oleil (Jacob), Les Juifs de Colomb-Béchar et des villages de la Saoura 1903-1962.

191 - Réda Daoud brixi , un algérien a Tombouctou (récit de voyage 2004-2005) , Alger – livres éditions , Alger , 2009.

192 - S . Gsell , histoire ancienne de l'Afrique du nord , tome 1 , paris 1955 .

193 - Taïeb Jacques , être Juif au Maghreb a’ la Veille de la Colonisation , Albin Michel S. A , Paris , 1994 .

194 - Zafrani , H , juifs d’Andalousie et du Maghreb , Maisonneuve et larose , paris , 1996.

المقالات والمجلات باللغة العربية:

195 - أبو ضيف (مصطفى) ، ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية بأفريقيا ، مجلة الرسالة ، ادرار ، العدد 10 ؛ 1988 م .

196 - بلعالم (محمد باي)، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، أعمال الملتقى للتعريف بتاريخ منطقة ادرار (الشيخ بن عبد الكريم المغيلي)، ادرار في 85-14 شعبان 1405هـ الموافق ل 03-04 ماي 1985م .

197 - بلهواري (فاطمة)، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا السوداء خلال القرن الرابع الهجري / 10م ، مجلة عصور (يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم)، جامعة وهران ، الجزائر ، الأعداد 08 – 09 – 10 – 11 ، 2006 - 2007م .

198 - البوعبدلي (المهدي) ، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات، أعمال الملتقى للتعريف بتاريخ منطقة ادرار(الشيخ بن عبد الكريم المغيلي)، ادرار في 13-14 شعبان 1405هـ الموافق ل 03-04 ماي 1985م.

199 - جعفري (أحمد أبا الصافي) ، الفقارة نظام السقي الصحراوي العجيب ، مجلة تراث ، أبو ظبي ، الإمارات المتحدة العربية ، العدد 131 ، أغسطس 2010م .

200 - دوبالي (خديجة) ، طبقات المجتمع التواتي من خلال الهجرات البشرية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، الملتقى الوطني الأول – العلاقات

الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي – جامعة أحمد دراية ، ادرار ، 14-15 أبريل 2009م .

201 - شترة (خير الدين) ، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، الملتقى الوطني الأول – العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي – جامعة أحمد دراية ، ادرار ، 14-15 أبريل 2009م .

202 - منقلاتي (عبد الله) ، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات ، مجلة الحقيقة ، عدد06 ، ماي 2005 م .

203 - العربي (إسماعيل) ، دور اليهود في التجارة في صدر الإسلام ، مجلة الثقافة ، عدد32 ، الجزائر .

204 - مارك (كوت) ، اختيار فضاء اختيار مجتمع ، مجلة معالم المدينة وتنظيمها الحضري، العدد رقم 03 ، دار النشر مارينور ، الجزائر ، 1999 .

205 - المصري (المبروك) ، الوضع الاجتماعي والثقافي ليهود توات ودور المغيلي في تصحيحه ، الملتقى الوطني الأول – العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي – جامعة أحمد دراية ، ادرار ، 14-15 أبريل 2009م.

- المقالات والمجلات باللغة الأجنبية:

206 - Abderrahmane , Selka , Notice sur le Touat –(1913),Bulletin de la société de géographie d’Alger et du l’Afrique du nord, 03eme trimestre, 20-11-1922.

- الرسائل الجامعية:

207 - أعفيف (محمد) ، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لواحات الجنوب المغربي توات في القرن 19م ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، تحت إشراف جرمان عياش ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، شعبة التاريخ ، 1982م .

208 - بحفيد (عبد القادر) ، الزيارة في ادرار – الوظيفة والتوظيف – بحث في واقع النظام التراتبي الاجتماعي بتوات ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم علم الاجتماع ، تحت إشراف عمار يزلي ، جامعة وهران ، 2011/2010م .

209 - بن عبد المؤمن (بهية) ، الأوضاع الاجتماعية لإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، تحت إشراف محمد بن معمر ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2011/2010م .

210 - تياقة (الصديق) ، النمط المعماري للمدينة الصحراوية (القصر) ووظيفته الاجتماعية ، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع ، جامعة وهران ،2006/2005م .

211 - الحمدي (أحمد) ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات ، عصره وأثره ، رسالة ماجستير تحت إشراف بن نعمية عبد المجيد ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2000م .

212 - داده (محمد) ، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18م حتى 1830م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف محمد خير فارس ، جامعة دمشق ، كلية الأدب ، قسم التاريخ ، دمشق 1985م .

213 - العبودي (عبد الكاظم) ، أخلاقيات البحث العلمي – البيولوجيا وأسلحة الدمار الشامل نموذجين ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراة ، إشراف البخاري حمانة ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، 2010م/2011م .

الدوريات :

214 - آبادي (الفيروز) ، القاموس المحيط ، دار أحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1417هـ/1997م .

215 - البستاني (المعلم بطرس) ، محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة 1987م .

216 - تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ/1962م .

217 - دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشناوي وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

فهرس الأعلام والشخصيات

-أ-

-ح-

- ر -

-ز-

-س-

-ش-

-ع-

-م-

-ن-

-ه-

-و-

-ي-

فهرس الشعوب والقبائل

-أ-

-ب-

-غ-

-ف-

-ق-

-ل-

-م-

-ن-

-و-

-هـ-

-ي-

فهرس الأماكن والبلدان

-أ-

-ب-

-ت-

-ج-

-ح-

-ر-

-ز-

-د-

-س-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

فهرس الموضوعات

الفهرس	الصفحة
الإهداء	
كلمة شكر	
المقدمة	
الفصل الأول : اليهود في شمال إفريقيا .	08
1- هجرات اليهود إلى شمال إفريقيا	10
1-1- نظرة مجملة في تاريخ اليهود	10
1-2 - بداية الشتات	15
1-3- هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا	16
2 - مواطن استقرارهم في شمال إفريقيا	19
2-1- أسباب استقرارهم	19
2-2- مواطن استقرارهم	22
أ- المغرب الأدنى	23
ب- المغرب الأوسط	29
جـ - المغرب الأقصى	35
3- أوضاعهم العامة في شمال إفريقيا	40
3-1 - في العهد الفينيقي - القرطاجي	40
3-2- في العهد الروماني	41
3-3- في العهد الوندالي	43
3-4- في العهد البيزنطي	43
3-5- إشكالية تهويد القبائل البربرية	44

ملخص

قمنا في هذه المذكرة بدراسة " دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين (9هـ/10هـ ، 15م/16م) "، وذلك بتسليط الضوء على فئة مهمة من المجتمع التواتي والتي لا تذكر من طرف الباحثين إلا في سياق حديثهم عن حياة الإمام المغيلي ومعركته معهم وقد قسمت البحث إلى أربعة فصول وكل فصل إلى ثلاثة عناصر، ففي الفصل الأول تطرقت فيه إلى " اليهود في شمال إفريقيا " أما الفصل الثاني فخصص لدراسة " اليهود في إقليم توات " أما الفصل الثالث فقمنا ببيان " دور الطائفة اليهودية في إقليم توات " أما الفصل الرابع تناولنا فيه " قضية يهود توات " أو ما عرف عند الفقهاء " بنازلة يهود توات " ، كما استعرضنا النتائج التي ترتبت عنها على مستوى الإقليم واليهود والإمامين المغيلي و العصنوني.

الكلمات المفتاحية:

توات؛ اليهود؛ تمنطيط؛ الطائفة؛ المغيلي محمد بن عبد الكريم؛ عبد الله العصنوني؛ الإقليم؛ النازلة؛ شمال إفريقيا؛ بوعلي.

نوقشت يوم 29 ماي 2014